جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورة الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

إعداد

ساهرة عبد الحفيظ محمد حمدان

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين

2010

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صورة الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

إعداد الطالبة

ساهرة عبد الحفيظ محمد حمدان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2010/6/24 م وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1- د. عبد الخالق عيسى (رئيساً)	.....
2- أ- د. وائل أبو صالح (ممتحنا داخليا)	.....
3- د . فيصل عواودة (ممتحنا خارجيا)	.....

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى روح والدي رحمه الله

إلى نبع الحنان الشمعة التي تذوب لتنير طريق من حولها أمي الغالية

إلى زوجي العزيز وأولادي الأحبة محمود ومجاهد وأحمد ومنال

إلى الإخوة الأحبة وزوجاتهم وأولادهم

إلى مديرتي العزيزة الأخت: إيمان اعمر

إلى أرواح شهدائنا الأبرار

وإلى كل العاملين المخلصين لإقامة حكم الله في الأرض

الشكر والتقدير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، قال تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم"، ومن هذا المنطلق فإنني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان للدكتور الفاضل: عبد الخالق عيسى، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة حيث بذل من جهده وضحى بوقته، فغمرني برعايته وتوجيهاته السديدة، فجزاه الله خيرا على عمله ونفع الأمة بعلمه.

كما وإنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة اللذين تشرفا بقبول مناقشة هذه الرسالة وهما:

الأستاذ الدكتور الفاضل: (وائل أبو صالح) جامعة النجاح الوطنية

والدكتور الفاضل: (فيصل غوادرة) جامعة القدس المفتوحة

كما وأتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى مديرتي الفاضلة: (إيمان اعمر)،

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر الأخ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العزيز: (أبا البراء) لما بذله من نصح وتوجيه وإرشاد، فجزاهم الله خير الجزاء.

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: **Student's**

Name:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوقيع:

Signature:

التاريخ: / /2010م **Date:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
التواقيع	ب
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
مسرد المحتويات	ح
الملخص	ر
المقدمة	1
تمهيد في معنى الخلافة	4
الفصل الأول: الخلافة عند شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين	5
تمهيد في نشأة الدولة العباسية	6
المبحث الأول: الخلافة عند شعراء الدولة العباسية	16
من شعراء الدولة العباسية:	20
مروان بن أبي حفصة	20
سلم الخاسر	23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو دلامة	28
علي بن الجهم	30
مروان بن أبي الجنوب	33
البحتري	35
المبحث الثاني: صورة الخلافة عند شعراء الشيعة	38
السيد الحميري	39
منصور النمري	45
دعبل الخزاعي	49
المبحث الثالث: صورة الخلافة عند شعراء الزهد	54
عبد الله بن المبارك	54
أبو العتاهية	56
المبحث الرابع: الخلافة عند شعراء المجون واللهو والزندقة	63
أبو نواس	63
مطيع بن إياس	71
الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في صورة الخلافة	73
المبحث الأول: العوامل الدينية والفكرية المؤثرة في الخلافة:	74
المطلب الأول: الخلافة عند أهل السنة والجماعة	74
المطلب الثاني: الخلافة عند الجماعات والفرق الإسلامية الأخرى	80
أولاً: الخلافة عند الشيعة	80
ثانياً: الخلافة عند المعتزلة	87
ثالثاً: صورة الخلافة عند أهل الزهد والتصوف	91
المطلب الثالث: الخلافة عند أهل الزندقة والمجون والشعوبية	98
المبحث الثاني: العوامل السياسية المؤثرة في صورة الخلافة	105

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: اضطراب أمر الخلافة	105
المطلب الثاني: قيام الثورات	111
أولاً: ثورة الزنج	111
ثانياً: ثورة القرامطة	116
المطلب الثالث: الثورات التقليدية	117
أولاً: ثورات الشيعة	117
ثانياً: ثورات الخوارج	119
المبحث الثالث: العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في صورة الخلافة	122
المطلب الأول: التركيب العرقي للدولة	122
المطلب الثاني: التفاوت الطبقي	125
الفصل الثالث: دراسة فنية لشعر صورة الخلافة	130
المبحث الأول: الصورة في شعر الخلافة	131
تمهيد في مفهوم الصورة	131
المطلب الأول: الصورة بمعناها العام	135
الجانب الأول: أنواع الصور	135
أولاً: الصور الإيجابية	135
ثانياً: الصور السلبية	140
ثالثاً: الصور الحيادية	141
الجانب الثاني: خصائص الصور	141
أولاً: الصورة المتكاملة	141
ثانياً: المبالغة في الصور	143
ثالثاً: هجاء الأعداء والخصوم	146
رابعاً: الازدواجية في الصورة	147

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الصور الفنية والمحسنات البديعية	147
الصور الفنية	147
الكناية	149
الاستعارة	150
المجاز المرسل	150
المبحث الثاني: الأسلوب واللغة	151
أولاً: أسلوب الخطاب	151
ثانياً: أسلوب الاحتجاج العقلي، والحوار والمناقشة	155
ثالثاً: أسلوب الشعر من حيث التقليد والتجديد	158
رابعاً: أسلوب الموازنة	162
خامساً: الأفكار ومصادرها	163
سادساً: الألفاظ والمعاني	167
المبحث الثالث: الموسيقا الشعرية	169
المطلب الأول: الموسيقا الخارجية	169
أولاً: الوزن العروضي	169
ثانياً: القافية	173
المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية	175
أولاً: التجسيم والتشخيص	176
ثانياً: السيولة والتدفق	177
ثالثاً: التكرار والمشتقات	179
رابعاً: ملاءمة اللفظ للمعنى	181
الخاتمة	184
فهرس الآيات القرآنية	187

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع	189
Abstract	b

الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

إعداد

ساهرة عبد الحفيظ محمد حمدان

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

الملخص

تتناول هذه الدراسة صورة الخلافة في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، في أشعار فئات مختلفة من الشعراء؛ منهم شعراء الدولة العباسية، ويلاحظ أنهم بالغوا في مديحهم للخليفة وأضفوا عليه هالة من القداسة. أما شعراء الشيعة، فقد تأثرت صورة الخلافة عندهم بموقفهم من الخلافة العباسية، ونظراً لتنوع طوائف الشيعة فقد تنوعت مواقفهم بين تأييد، أو مناهضة، أو حيادية. أما شعراء الزهد، فقد انقطعوا عن ملذات الحياة، وانصرفوا إلى شؤون الآخرة، وتأثرت صورة الخلافة عندهم بموقفهم من الدنيا وزهدهم فيها. أما شعراء المجون والزندقة، فقد أظهروا التأييد للخلفاء العباسيين بهدف التكسب طلباً للتستر على تجاوزاتهم.

وتناولت الدراسة العوامل المؤثرة في صورة الخلافة؛ ومن ذلك العوامل الدينية والفكرية، وأثرها في مفهوم الصورة، فقد اختلفت هذه الصورة عند أهل السنة والجماعة عما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي عليه عند الشيعة، كما اختلفت طوائف الشيعة فيما بينهم. أما الأحزاب الأخرى فقد تنوعت مواقفها كذلك.

وعالجت الدراسة أثر العوامل السياسية، وما أدى إليه ظهور الأحزاب والتيارات السياسية، في بيان هذه الصورة، وكشفت أثر العوامل الاجتماعية والعرقية، وما نجم عن هذا الخليط العرقي من تنوع في الطبقات، وأثر ذلك كله في صورة الخلافة. ومن خلال هذه العوامل مجتمعة تبين أن مفهوم الصورة قد تطور تبعاً لأثر هذه العوامل في نفوس الشعراء.

وقد خصص الفصل الأخير للدراسة الفنية من حيث تم توضيح مفهوم الصورة الفنية، والأسلوب واللغة والأفكار، وكان ذلك من خلال الأشعار التي وردت في هذه الدراسة. وختمت هذه الدراسة بخلاصة تبين أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

www.manaraa.com

المقدمة:

يعد الشعر العربي، على مر عصوره، مرآة لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، و يمثل من جهة أخرى، فلسفة من ينظمونه، وأفكارهم وتوجهاتهم. ولمّا ارتبط الشعر بالحياة العامة، وما تشتمل عليه من تعقيد أو بساطة؛ فإن الشعر في العصر العباسي، في القرنين الثاني والثالث الهجريين، قد تأثر بالحياة العامة التي كانت سائدة آنذاك.

وعندما نتكلم عن هذين القرنين، فإننا نتحدث عن أوج الحضارة الإسلامية، وما حققته من إنجازات على عدة أصعدة؛ فمن الناحية السياسية، بلغت الدولة العباسية، منتصف هذه الفترة، أوج قوتها، وسددت سهاماً مصمية إلى أعدائها على المستويين الداخلي والخارجي؛ فعلى المستوى الداخلي، شهد العصر العباسي احتضار العديد من الأحزاب التي استنفدت جهود الدولة في القرن الأول الهجري؛ كالخوارج والعلويين. أما على المستوى الخارجي، فإن الدولة العباسية، في هذه الفترة، حققت إنجازات مهمة على صعيد تأمين الثغور الإسلامية، وتأديب الإمبراطورية البيزنطية. والحكايات التي تروى عن هارون الرشيد، مثلاً، الذي كان يحج سنة، ويغزو أخرى؛ أشهر من أن تذكر. ولعل التاريخ الأدبي يسعفنا بالإشارة إلى الانتصارات التي حققها المعتصم على الروم، وفتحه لعمورية، على نحو ما خلده أبو تمام في رائعته البائية التي مطلعها:

السَّـيفُ أصْـدَقُ أنبـاءً مِـنَ الكُتُـبِ في حَدِّهُ الحَدُّ بَينَ الجَـدِّ وَاللعِـب[1]

[البسيط]

أما من الناحية الفكرية، فقد بلغت الحضارة الإسلامية، في هذين القرنين أوج تقدمها وازدهارها، حيث ازدهرت حركة الترجمة ونقل العلوم الأخرى إلى العربية، على نحو ما نجده في عصر المأمون. وكان من النتائج المباشرة لهذه النهضة العلمية، رقي الحياة العقلية، وظهور مختلف العلوم، كعلم الكلام، وما نجم عنه من مذاهب الاعتزال. كما وجدت بعض المذاهب الأخرى التي كانت بتأثير من الولاء السياسي أو الديني؛ فنشطت مذاهب الشيعة المختلفة.

---

[1] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوانه. بشرح الخطيب التبريزي**. ت محمد عبده عزام. دار المعارف. القاهرة. ط5. 40/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأدت التطورات الحضارية إلى ظهور الترف، وأقصد به ترف الطبقة الخاصة، على حساب الطبقة العامة المحرومة التي كانت تقاسي شظف العيش، ولا تجد ما يقيم أودها. وأدى التفاوت الطبقي إلى ظهور تيارين متضادين، وهما تيار الترف واللهو والمجون، وتيار الزهد والتقشف. ولكل فريق أنصاره وشعراؤه. وقد صدح شعراء هذين القرنين بأشعار تعبر عن مواقفهم السياسية، أو المذهبية، أو الاجتماعية، أو الفكرية. وتعددت مواقفهم من الخلافة، تبعاً لهذه المتغيرات.

وقد حاولت في هذه الدراسة، بيان مواقف هؤلاء الشعراء من الخلافة العباسية، من خلال توضيح صورة الخلافة لدى شعراء هذين القرنين. وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول، أتبعتها بالخاتمة؛ ففي الفصل الأول وعنوانه: صورة الخلافة عند شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين. وتكون هذا الفصل من تمهيد حول نشأة الدولة العباسية، وأربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: الخلافة عند شعراء الدولة العباسية

المبحث الثاني: الخلافة عند شعراء الشيعة

المبحث الثالث: الخلافة عند شعراء الزهد

المبحث الرابع: الخلافة عند شعراء المجون واللهو والزندقة

أما الفصل الثاني، فتحدثت فيه عن العوامل المؤثرة في صورة الخلافة، وتألف من ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: العوامل الدينية والفكرية المؤثرة في صورة الخلافة.

المبحث الثاني: العوامل السياسية المؤثرة في صورة الخلافة.

المبحث الثالث: العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في صورة الخلافة.

وفي الفصل الثالث وعنوانه: دراسة فنية لشعر الخلافة، وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: الصورة في شعر الخلافة.

المبحث الثاني: الأسلوب واللغة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الموسيقا الشعرية.

ثم ختمت الدراسة بخلاصة رصدت فيها أبرز النتائج.

ونظراً لأن الدراسة وصفية تحليلية، وتتعامل مع شعراء على مدار قرنين من الزمن، وبسبب اختلاف مذاهب هؤلاء الشعراء ووجهات نظرهم؛ فإن ذلك كله قد شجعني على التنويع في المصادر والمراجع لأتمكن من تغطية الموضوع على الوجه الذي يستحقه؛ فكانت من المصادر التي عدت إليها، مصادر في التفسير والحديث، ومصادر في التاريخ واللغة، ومصادر في تاريخ الأدب وكتب الأدب العامة، بالإضافة إلى كتب التراجم ودواوين الشعراء.

فمن كتب التاريخ اعتمدت بالدرجة الأولى على كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، نظراً لموثوقيته. أما كتب الأدب العامة، فاعتمدت بالدرجة الأولى، على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، نظراً لاهتمام مؤلفه بالفترة التي أدرسها من ناحية، وكون هذا الكتاب، من أهم المصادر التي استند إليها محققو دواوين شعراء هذه الفترة. ولم أنس أن أرجع باستمرار إلى تراجم الأعلام، وبشكل خاص إلى معجم الأعلام للزركلي؛ لأهمية هذا الكتاب، وإشارته إلى مراجع ومصادر يمكن الرجوع إليها. ومن أهم المراجع الحديثة التي عدت إليها، كتب الدكتور شوقي ضيف، مثل العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني، والفن ومذاهبه في الشعر العربي.

وإنني إذ أقدم لهذه الدراسة، لأرجو من الله أن أكون قد قدمت فيها كل ما هو جديد ومفيد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد في معنى الخلافة:

الخلافة لغة: مأخوذة من الفعل "خلف"، ومن معاني الفعل ومشتقاته[1]: خلف فلان فلاناً، إذا كان خليفته، وفي التنزيل: (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي)[2]. وخلفتُه، إذا جئتُ بعده. ويقال: خلَّفْتُ فلاناً أخلِّفه تخليفاً واستخلفتُه أنا، جعلتُه خليفتي. واستخلفه: جعله خليفة. والخليفة: الذي يستخلف ممن قبله. والجمع خلائف جاؤوا به على الأصل، مثل كريمة وكرائم. وأما سيبويه، فقال: خليفة وخلفاء، كسروه تكسير فعيل لأنه لا يكون إلا للمذكر. وقال ابن سيده: وأما خلائف فعلى لفظ خليفة. ونقول ثلاثة خلفاء، لا غير. ونقول: ثلاث خلائف أو ثلاثة خلائف؛ فمرة يذهب به إلى المعنى ومرة يذهب به إلى اللفظ.

والخلافة: الإمارة وهي الخِلِّيفَى، وإنه لخليفة بَيِّن الخلافة والخِلِّيفَى. الخَلَف: ما استخلفْتَه من شيء، والولد الصالح يبقى بعد الإنسان. والخَلْف: القَرْن يأتي بعد القرن، والرديء من الكلام، نقول: سكت ألفاً ونطق خلْفاً. ولا يكون الخَلَف إلاّ من الأخيار، قرناً كان أو ولداً، ولا يكون الخلْفُ إلا من الأشرار.

الخلافة اصطلاحاً: ومن معانيها: رئاسة الدولة الإسلامية[3]. ويعرفها الماوردي في الأحكام السلطانية، بقوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[4]. وعرفها آخرون: "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا. أو بأنها خلافة الرسول في إقامة الدين، وحفظ حوزة الملة، بحيث يجب اتباع الخليفة على الأمة كافة"[5]. وعرفها ابن خلدون بقوله: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة. فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[6].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**. دار صادر. بيروت. مادة خلف.

[2] سورة الأعراف: آية (142).

[3] القاسمي، ظافر: **نظام الحكم في التشريع والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية)**. ط 2. دار النفائس. بيروت. 1977م. ص 119.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**. 9/ 83 – 85.

[5] موسى، محمد يوسف: **نظام الحكم في الإسلام**. ص 8 وما بعدها.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ت حامد أحمد الطاهر. ط1. دار الفجر للتراث. القاهرة. 2004م. 244.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الخلافة عند شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين

تمهيد في نشأة الدولة العباسية

المبحث الأول: الخلافة عند شعراء الدولة العباسية

المبحث الثاني: الخلافة عند شعراء الشيعة

المبحث الثالث: الخلافة عند شعراء الزهد

المبحث الرابع الخلافة عند شعراء المجون واللهو والزندقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد في نشأة الدولة العباسية:

مرت الدولة العباسية في نشوئها، بمراحل ثلاث، هي:

المرحلة الأولى: مرحلة التهيئة

لم تكن فكرة انتقال الخلافة إلى بني العباس واردة في الأذهان، أثناء الخلافة الراشدة، ولا فيما بعدها من خلافة بني أمية، ففي العصر الراشدي، كانت الخلافة تنتقل من خليفة إلى آخر بكل سلاسة ويسر، ومن دون أية مؤامرات أو ثورات.

فقد تولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وظل يحكم الأمة بأمر ربها ودينه، حتى وافته المنية[1]، ليصبح عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين. ولم تظهر في خلافة عمر أدنى ثورة، على الرغم من أنه قتل غيلة. وقد استدعى عمر عند وفاته نفراً من الصحابة الذين توفي الرسول وهو راض عنهم، وأوكل إليهم اختيار خليفة من بينهم، وتم اختيار الخليفة عثمان بن عفان[2].

وفي أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدأت الفتن بالظهور؛ وكانت الذرائع المعلنة ـ حينئذ ـ شكوى فساد العمال، وتحكمهم في رقاب المسلمين، وعلى الرغم من أن عثمان رضي الله عنه، قد رد عليهم رداً حسناً، ووعدهم خيراً، إلاّ أن الفتن، في نهاية المطاف، أودت بحياته لما اقتحم الثائرون بيته وقتلوه[3].

ولما تولى الخلافة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، سنة (35) هـ، ثار في وجهه بعض المسلمين، ممن لم يبايعوه؛ كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين. وقد كانت الدوافع التي تعلل بها هؤلاء الثأر لعثمان بن عفان. وتخللت هذه الفتن حربان ضروسان: هما معركة

---

[1] توفي أبو بكر في العام الثالث عشر للهجرة عن ثلاثة وستين عاماً. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**. ط 1. 2/ 348. 1407هـ

[2] اغتيل عمر بن الخطاب، في العام (23) للهجرة، على يد أبي لؤلؤة المجوسي. المصدر السابق. 2/ 360، 361.

[3] السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين: **تاريخ الخلفاء**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. 1989م. ص 179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجمل، ومعركة صفين. وإن كانت معركة الجمل[1] قد انتهت بانتصار علي وفرار أصحاب عائشة ــ رضي الله عنهما ــ إلا أن معركة صفين قد انتهت بقبول ما سمي حينئذ بالتحكيم[2].

وقد رأى الخوارج (الذين خرجوا على علي لقبوله التحكيم) أنه لا مفر من خلع علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص؛ من أجل حقن دماء المسلمين، فتعاهدوا على قتلهم، فقتل علي سنة (40) هـ، ونجا معاوية وعمرو من الاغتيال، فانتهى بذلك عهد الخلافة الراشدة[3].

وبعد مقتل علي بن أبي طالب انتهت الخلافة الراشدة ليبدأ عهد الخلافة الأموية بخلافة معاوية بن أبي سفيان، وعلى الرغم من أن الحسن بن علي بن أبي طالب بويع له بالخلافة بعد مقتل أبيه، إلا أنه تنازل عنها لمعاوية حقناً لدماء المسلمين. وبذلك بدأ عهد الدولة الأموية الذي استمر حتى أطاح بهم العباسيون في العام (132) هـ[4].

ولما أوصى معاوية ليزيد بالخلافة، أبى الحسين بن علي بن أبي طالب أن يبايعه، ودعا أهل العراق الحسين إليهم ليعهدوا إليه بالخلافة، فأرسل يزيد بن معاوية جيشاً كبيراً إلى الكوفة لقتال الحسين الذي خذله أصحابه كما خذلوا أباه من قبل، وقتل في يوم عاشوراء مع ستة عشر نفراً من أهل بيته[5].

وفي سنة (64) هـ، ثار أهل المدينة ومكة على يزيد لإتيانه المعاصي؛ فوجه إليهم جيشاً كبيراً، وحاصر جيش الأمويين مكة، فجاء الخبر بوفاة يزيد فانفض جيش الأمويين، وتسمى عبد الله ابن الزبير بالخلافة؛ فبايعه الناس إلا الشام ومصر، وظل خليفة حتى أرسل إليه عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً بقيادة الحجاج، فقتل ابن الزبير في العام (73) هـ[6].

---

[1] بلغ عدد القتلى في معركة الجمل (10) آلاف جندي. الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** . 3/ 58.

[2] لما شارف أصحاب معاوية على الهزيمة لجأ معاوية وجنده إلى حيلة رفع المصاحف، في تعبير عن تحكيمهم للقرآن في القضية. وانتهى التحكيم بحيلة عمرو بن العاص حينما انتظر فراغ أبي موسى الأشعري من خلع علي، فعهد إلى معاوية. وظهر بعد ذلك ما سمي بالخوارج الذين رفضوا التحكيم. المصدر السابق. 3/ 110، وما بعدها.

[3] قتل علي سنة (40) للهجرة على يد عبد الرحمن بن ملجم. المصدر السابق. 3/ 161.

[4] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص222. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 3/ 164.

[5] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 234، 235.

[6] ينظر في ذلك الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 3/ 360 وما بعدها. والسيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 237-241.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد مقتل الحسين، صار الشيعة ينادون بإمامة محمد بن الحنفية، وهو الابن الثالث لعلي ابن أبي طالب، ولم تفلح جهود أبناء علي في الوصول إلى الخلافة طوال العهد الأموي، في حين أن أحداً لم يكن ينادي بإمامة أحد من أبناء العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم.

ولم يصبح موضوع إمامة أحد من أبناء العباس مطروقاً إلا عندما لمع اسم " علي بن عبد الله بن عباس"؛ إذ كان " أبو هاشم ا بن محمد بن الحنفية " قد عهد بنصيبه من الخلافة إلى علي هذا عندما كانا مقيمين في "الحميمة"[1]، فصارت الشيعة الكيسانية في جانب علي بن عبد الله بن عباس[2].

وأوصى علي قبل وفاته بالخلافة من بعده لابنه محمد. وقد رأى محمد هذا، "أن نقل السلطان من بيت إلى بيت لا بد أن يسبق بإعداد أفكار الأمة إلى هذا النقل، وأن كل محاولة فجائية لا بد أن تكون عاقبتها الفشل، فرأى أن يسير الناس في المسألة بالأناة المصحوبة بالحزم؛ فعهد إلى شيعته أن يؤلفوا دعاة يدعون الناس إلى الرضا من آل البيت، دون أن يسموا أحداً خوفاً من بني أمية أن يقضوا على المدعو إليه إذا عُرِف، ورأوا أن أحسن منطقة يبثون فيها الدعوة، هي الكوفة وخراسان. أما الكوفة، فهي مهد التشيع لأهل البيت من قديم؛ فيمكنهم أن يأووا إليها، ويجعلوها نقطة مواصلاتهم. وأما خراسان، فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين: الأول: أن فكرة التشيع يفهمها الخراساني من المسلمين بسهولة؛ لأن مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي. والثاني: أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين؛ ولذلك فائدة كبيرة في حياة النفوس، وقد عاملهم بنو أمية معاملة السادة للعبيد[3].

ولما توفي محمد هذا انتقل ولاء الشيعة إلى ابنه إبراهيم. وكان من أبرز دعاة الشيعة في الكوفة آنئذ بكير بن ماهان[4].

---

[1] بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام. ينظر ذلك: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن ياقوت: **معجم البلدان**. بيروت: دار الفكر.

[2] الخضري، محمد بك: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. 1995م. ص 13.

[3] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 16، 17.

[4] بكير بن ماهان أبو هاشم الحارثي أحد دعاة بني العباس ؛ قدم على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس إلى البلقاء وأقام عنده وأخذ عنه. ينظر في ذلك **الوافي في الوفيات**. 1/ 1420.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما توفي بكير شيخ الشيعة بالكوفة، أقام إبراهيم بن محمد بن حفص بن سليمان المعروف بأبي سلمة الخلال مكانه[1].

وهكذا بدأت تظهر إلى الوجود الدعوة إلى أبناء العباس، ومن أجل تقوية الدولة عمل إبراهيم على تأمين مركزين للدعوة: أحدهما في الكوفة لوجود كثير من الشيعة هناك، والآخر في خراسان لبعدها عن مقر الخلافة من ناحية، ولكون الأمويين كانوا يعاملون غير العرب معاملة دونية، فأحفظهم ذلك، ورأوا أن الخلافة يجب أن تكون في بيت النبوة[2].

ثم اتصل إبراهيم بن محمد بشاب من خراسان، وهو أبو مسلم الخراساني، وكان ظاهر النجابة فولاه خراسان؛ فصار يعمل أبو مسلم على جعلها قاعدة للخلافة العباسية، وأوصاه بقوله: "يا عبد الرحمن، إنك رجل منا أهل البيت، فاحفظ وصيتي، وانظر إلى هذا الحي من اليمن، فأكرمهم، وحلَّ بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر إلى هذا البيت من ربيعة، فاتهمهم في أمرهم، وانظر إلى هذا الحي من مضر، فإنهم العدو القريب، فاقتل من شككت فيه، ومن كان في أمره شبهة... وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل "[3].

وهكذا، كانت الدعوة العباسية، ومنذ بداية عهدها، تعتمد اعتماداً كبيراً على العنصر غير العربي، وهي بذلك تلعب على الوتر الحساس الذي عاناه غير العرب من الاضطهاد زمن الدولة الأموية، وهو ما جعل أهل الأمصار يوالون الدعوات الخارجة على الدولة الأموية، ومنها الدعوة العباسية؛ فكانت خراسان مهد الدعوة العباسية ومنها انطلقت ثورتهم.

وقد جدَّت أمور مهمة في السنوات السبع التي سبقت الإطاحة بالدولة الأموية، ومنها استتاب الأمور في خراسان لأبي مسلم الخراساني، داعية العباسيين وقائد جيوشهم. واختلاف البيت الأموي وانشغال أقطابه بالصراعات بينهم. ويروي السيوطي[4] أنه لما توفي يزيد بن عبد الملك، كان ابنه الوليد ما زال صغيراً، فأوصى بالخلافة من بعده لأخيه هشام، على أن يكون الوليد ابن يزيد خليفة من

---

[1] الخضري، محمد بك: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 22.

[2] الخضري: مرجع سابق. ص 16.

[3] الخضري، مرجع سابق. ص 23.

[4] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 125 – 127.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعده. ولما توفي هشام في العام (125) هـ تقلد الخلافة الوليد بن يزيد، وكان فاسقاً ماجناً، وقد استغل العباسيون ذلك في دعوتهم ضد الأمويين. ثم ما لبث أن انقلب الأمويون على الوليد بن يزيد، وقتلوه، وتولى الخلافة من بعد يزيد بن الوليد الملقب بالناقص؛ لأنه نقص الجند من أعطياتهم[1]، ولم يمتع بالخلافة كثيراً؛ فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة، وأوصى من بعده إلى أخيه إبراهيم بن الوليد الذي لم تستمر خلافته أكثر من سبعين ليلة؛ إذ ثار عليه مروان بن محمد ابن الحكم، الملقب بمروان الحمار[2] في العام (127) هـ، وهكذا، بلغ التفكك في الأسرة الأموية حداً بحيث تعاقب على الخلافة خلال سنتين فقط (125–127) أربعة خلفاء. واستمرت خلافة مروان بن محمد حتى أطاح به العباسيون في العام (132) هـ.

المرحلة الثانية: مرحلة قيام الدولة

على الرغم من أن الدعوة العباسية كانت، في بادئ أمرها، سرية؛ إلا أن اتساع رقعتها، وكثرة أتباعها جعلت من بقائها سرية أمراً غير واقعي. وقد ترددت الأخبار إلى مروان آخر خلفاء بني أمية، وإن كانت في وقت متأخر جداً، أن هناك دعوة لخلافة بني العباس، وتحقق من الأمر؛ فَدُلَّ على إبراهيم بن محمد.

ويذكر ابن كثير أن مروان اطّلع على كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني يأمر فيه بأن لا يبقي أحدا بأرض خراسان ممن يتكلم بالعربية إلا أباده، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم: فقيل له: هو في البلقاء؛ فكتب إلى نائب دمشق أن يحضر، فبعث نائب دمشق بريدا ومعه وصفته ونعته، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح، فاعتقد أنه هو فأخذه فقيل له إنه ليس به إنما أخوه، فدل على إبراهيم فأخذه، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة فارتحلوا من يومهم إليها... فلما دخلوا الكوفة، أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم، وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة عن القواد والأمراء، ثم ارتحل بهم

---

[1] أول من لقبه بالناقص هو مروان بن محمد الملقب بالحمار، ثم لقبه الناس بذلك. الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 252.

[2] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 6/ 247.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى موضع آخر، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان، حتى فتحت البلاد، ثم بويع للسفاح، أما إبراهيم بن محمد الإمام فانه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان بن محمد وهو بحران فحبسه، وما زال في السجن إلى أن مات في صفر منها في السجن عن ثمان وأربعين سنة[1].

أما ما كان من أمر الدعوة العباسية في خراسان، فإن الأمور هناك، استتبت لأبي مسلم الخراساني بعد أن أوقع العداوة والحرب بين القبائل المضرية واليمنية حتى وهن الطرفان؛ فثار حينئذ أبو مسلم على والي خراسان للأمويين الذي استنجد بدوره بالخليفة مروان وعامله على العراق ابن هبيرة، ولكنهما كانا في شغل عنه في حروب الخوارج، فصارت الحواضر الخراسانية تسقط الواحدة تلو الأخرى في يد أبي مسلم الخراساني، حتى تم له الأمر هناك، ثم أرسل بقائده قحطبة[2] لمنازلة عامل الأمويين على العراق ابن هبيرة، وقتل قحطبة في إحدى المعارك[3]، وخلفه ابنه الحسن، وما لبثت أن دارت الدوائر على ابن هبيرة، فهرب هو وقائده ابن نباتة، مخلفين وراءهم غنائم كثيرة، احتملها الحسن وأصحابه على السفن إلى الكوفة، لتظهر هناك الحكومة السرية لبني العباس، بقيادة وزيرهم أبي سلمة الخلال[4].

وقد نودي في الكوفة بأبي العباس السفاح (وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب) خليفة، وذلك ليله الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر[5].

أما مروان، فإنه لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه وما جرى بأرض خراسان، تحول من حران، فنزل على نهر قريب من الموصل، يقال له الزاب من أرض الجزيرة، ثم لما أبلغ أن السفاح قد بويع له بالكوفة، والتف عليه الجنود واجتمع له أمره، شق عليه جدا وجمع جنوده، فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف، وهو أحد أمراء السفاح، فنازله على الزاب وجاءته الإمداد من جهة السفاح ثم ندب السفاح الناس ممن يلي القتال من أهل بيته، فانتدب له عبد الله بن علي فقال: سر على بركة الله، فسار في جنود كثيرة ... وتقدم عبد الله بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان، ونهض مروان

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 39، 40.

[2] اسمه زياد بن شبيب. ينظر في ذلك الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 320.

[3] يرى الطبري أن معن بن زائدة قتل قحطبة في إحدى المعارك. المصدر السابق. 4/ 340.

[4] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 23 – 27.

[5] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 340.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في جنوده وتصاف الفريقان في أول النهار، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مئة ألف وخمسون ألفا، ويقال مئة وعشرون ألفا وكان عبد الله ابن علي في عشرين ألفا فقال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعة فقال عبد الله كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادي الآخرة من هذه السنة ... وبدأ القتال ثم ما لبث أن انهزم أهل الشام، واتبعتهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل، وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع[1].

ويذكر السيوطي: أنه لما انكسر مروان قرب الموصل "رجع إلى الشام، فتبعه عبد الله، ففر مروان إلى مصر، فتبعه صالح أخو عبد الله، فالتقيا بقرية بوصير، فقتل مروان بها، في ذي الحجة من السنة نفسها"[2].

المرحلة الثالثة: مرحلة توطيد دعائم الدولة

اتسمت الدولة العباسية، منذ بداية نشأتها، بتغلغل الصراعات فيها؛ نتيجة لتعدد مراكز القوى المتنافسة فيما بينها، وقد ظهرت هذه المنافسة في وقت مبكر، حتى قبل قيام الدولة في العام (132) هـ. ومن أهم الأقطاب التي تخلص منها العباسيون منذ بداية عهدهم:

أبو سلمة الخلال:

يعد أبو سلمة الخلال، أحد أهم دعائم الدعوة العباسية، وكان يميل إلى جعل الخلافة في آل علي بن أبي طالب، ويروي الخضري أن أبا سلمة قد راسل بعض أعيان آل علي، وهم جعفر الصادق، وعبد الله المحض، وعمر الأشرف، وعرض عليهم البيعة للخلافة، ولكنهم رفضوا طلبه؛ لعلمهم بأن

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 42، 43.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 296.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر سيسير إلى العباسيين[1]، وقد أحس أبو مسلم بذلك، فحقد عليه منذ ذلك الحين. ويذكر ابن كثير أنه "لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد، "أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي ابن أبي طالب فغلبه بقية النقباء والأمراء وأحضروا أبا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة وذلك بالكوفة وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال"[2].

ولما تولى الخلافة أبو العباس السفاح، أراد أن يفتك بأبي سلمة الخلال، ولكنه أراد إطلاع أبي مسلم الخراساني، والوقوف على حقيقة موقفه من ذلك؛ فأرسل إليه أخاه أبا جعفر المنصور، فأخبره بخبر أبي سلمة. فقال أبو مسلم: أنا أكفيكموه، وبعث إليه برجل وطلب إليه قتله أينما وجده، ففعل[3]. ولم يتم الاكتفاء بذلك بل أرسل أبو مسلم الخراساني من يقتل عمال أبي سلمة كافة، فتم له ما أراد[4]. وبذلك تم التخلص من أهم المنافسين للخليفة العباسي في عهد أبي العباس السفاح.

عبد الله بن علي عم أبي العباس السفاح:

وقد كان عبد الله بن علي قدم على ابن أخيه السفاح الأنبار، فأمره على الصائفة فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعا إلى حران ودعا إلى نفسه وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده[5].

ولما علم عبد الله بن علي بأن المنصور أخذ البيعة بالخلافة لنفسه، أبى ذلك وتسمى بالخلافة وهو في حران آنذاك[6].فما كان من المنصور إلا أن وجه إليه أبا مسلم الخراساني في جيش كثيف. وقد التقى الطرفان في حران واقتتلوا خمسة أشهر، وعلى الرغم من أن جيش عبد الله كان أوفر عدداً وعدة، إلا أن الجيش الخراساني بقيادة أبي مسلم تمكن من الفتك به وإلحاق الهزيمة به وذلك سنة (137) هـ[7].

---

[1] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 28.

[2] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 40.

[3] الخضري: مرجع سابق. ص 52. وابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 53.

[4] ابن كثير: مرجع سابق. 10/ 55.

[5] ابن كثير: مرجع سابق. 10/ 61. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 377.

[6] الخضري: مرجع سابق. ص 56.

[7] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 377-379.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يجد عبد الله بداً من الفرار، ففر إلى البصرة، وتخفى عند أخيه سليمان بن علي. ولما علم المنصور به، أرسل إلى أخيه سليمان بإشخاصه إليه، فجاءه به، فحبسه حتى مات سنة (147) هـ[1].

أبو مسلم الخراساني:

بعد هزيمة عبد الله بن علي، أصبح أبو مسلم الخراساني صاحب الشوكة والسلطان في الدولة العباسية؛ فعلى يديه تم إخضاع خراسان وانضوائها تحت لواء العباسيين، وهو الذي هزم عبد الله بن علي، كما ورد سابقاً، وقد راودت المنصور كثير من الشكوك حول نفوذ أبي مسلم، فصمم على هدم هذا الصرح الذي يهدد ملكه. ويروي الخضري أنه بلغ المنصور أن "أبا مسلم لا يحترم كتبه ويستهزئ بها إذا وردت إليه؛ فصمم على الفتك بأبي مسلم"[2]. ويذكر الطبري كذلك أن أبا مسلم" يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرؤه ويضحكان استهزاء"[3].

ومهما تكن الأسباب؛ فإن أبا جعفر المنصور صمم على التخلص من أبي مسلم؛ ليسهل عليه سياسة الناس، من دون منافسة. أما الحادثة التي جعلت المنصور يعجل بتنفيذ قرار التخلص من أبي مسلم، فهي أنه لما جاء رسول من المنصور إلى أبي مسلم لإحصاء الغنائم التي كسبها بعد هزيمته لجيش عبد الله بن علي؛ غضب أبو مسلم، وهم بقتل الرسول، وقال: أأكون أميناً على الدماء، ولا أكون أميناً على الأموال. ولمّا علم المنصور بذلك اتخذ قراراً بالتعجيل في حسم قضية أبي مسلم[4].

فخشي المنصور أن يتوجه أبو مسلم إلى خراسان، ويصبح القضاء عليه أمراً عسيراً؛ فكتب إليه أنه يوليه مصر والشام ليكون قريباً من أمير المؤمنين، فغضب أبو مسلم، وكتب إلى المنصور: " أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء"[5].

عند ذاك لجأ المنصور إلى الحيلة، متخذاً من الترغيب والترهيب وسيلة لإحضار أبي مسلم إليه، فجاء إليه أبو مسلم، وكان المنصور قد أعد أربعة من الحرس خلف الرواق، وأمرهم بالخروج

---

[1] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص57.

[2] الخضري: مرجع سابق. ص 58.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 381.

[4] الطبري: مصدر سابق. 4/ 381. والخضري: مرجع سابق. ص 58.

[5] الطبري: مرجع سابق. 4/ 382.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقتل أبي مسلم فور سماعهم تصفيق الخليفة[1]. وبهذه الطريقة تم التخلص من الرجل الذي وهب حياته لخدمة الدعوة العباسية، والإطاحة بأعدائها.

محمد بن عبد الله من آل الحسن بن علي بن أبي طالب:

كان محمد بن عبد الله، وأخوه إبراهيم قد تخلفا عن الحضور إلى الرشيد عام حج في عهد ولاية أخيه السفاح، ولم يكونا من بين الهاشميين الذين حضروا إليه، فأضمر المنصور ذلك في نفسه[2].

وقد اختفى محمد وإبراهيم عن المنصور الذي حاول جاهداً التعرف إلى أخبارهما دون جدوى؛ فحبس آل الحسن[3]. ويذكر الطبري أنه لما "ولى أبو جعفر رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة، أمره بالجد في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وقلة الغفلة عنهما"[4].

وقد لجأ المنصور إلى الحيلة لإخراج محمد، فكان يكتب له الكتب على ألسنة قواده يدعونه فيها إلى الخروج، وأن الناس والقواد معه؛ فوقع محمد في الفخ؛ فظهر في المدينة ونادى بنفسه خليفة، وكان قد اتفق مع أخيه إبراهيم بالظهور في البصرة على نحو متزامن، لكن إبراهيم تأخر لعلة أصابته. ومهما يكن من أمر، فإن المنصور وجه جيشاً لمحمد ثم لإبراهيم وقضى على ثورتهما، وكان ذلك في العام (145) هـ[5]. وبمقتلهما استقر ملك العباسيين، وبذلك عُدَّ المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية.

---

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 384.

[2] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 61.

[3] المصدر السابق. ص 62.

[4] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 420.

[5] الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ص 68، 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الخلافة عند شعراء الدولة العباسية

تأثرت الخلافة عند شعراء الدولة العباسية بأمور عدة من بينها: اهتمام الخلفاء العباسيين بالشعر والشعراء، وازدهار الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي سادت في تلك الفترة.

فمن ناحية اهتمام الخلفاء العباسيين بالشعر والشعراء فإن الشواهد على ذلك من الكثرة بمكان بحيث لا يسعني في هذا المقام أن أعمد إلى ذكرها أو حصرها، ولا أدل على ذلك من أن الخلفاء والأمراء في تلك الحقبة كانوا يوكلون مهمة تربية أبنائهم إلى كبار اللغويين والأدباء، ولا يفوتنا أن نذكر أن المفضليات (القصائد المختارة التي جمعها المفضل الضبي) قد جمعت من أجل تأديب المهدي ولي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. وتشتمل هذه المجموعة الرائعة على نحو من (128) أو (130) قصيدة من شعر الشعراء الفحول[1].

ومن الأمثلة على عناية الخلفاء العباسيين بالشعر كذلك ما ذكره الأصفهاني في كتابه الأغاني: "قال مروان بن أبي حفصة[2] قدمت البصرة فأنشدت بشارا[3] قصيدة لي واستنصحته فيها فقال لي: ما أجودها تقدم بغداد فتعطى عليها عشرة آلاف درهم فجزعت من ذلك، وقلت: قتلتني. فقال: هو ما أقول لك، وقدمت بغداد، فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم. ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي: (طَرَقَتْكَ زائرةً فحيّ خيالها ...) فقال تعطى عليها مئة ألف درهم. فقدمت، فأعطيت مئة ألف درهم. فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرتين، وقلت له: ما رأيت أعجب من حدسك"[4].

ويورد شوقي ضيف قصصاً أخرى منها، أن "خلفاء بني العباس أظهروا محافظة شديدة على لغة القرآن الكريم، وبعثوا العلماء على مدارستها والتعمق فيها، ورواية كل ما يتصل بها من أنساب وأخبار وأشعار. وقد جعلوا مقياس وظائفهم الكبرى التفوق فيها؛ فكانوا لا يستوزرون ولا يستكتبون إلا

---

[1] جامعة القدس المفتوحة: **مصادر الدراسة الأدبية واللغوية**. ص54، 55. 2007م.

[2] شاعر مجيد من شعراء العباسيين سيرد تفصيل ذكره في الصفحات القادمة بإذن الله.

[3] هو بشار بن برد وسيأتي ذكره.

[4] الأصفهاني، أبو الفرج: **كتاب الأغاني**. ت سمير جابر. ط2. دار الفكر. بيروت. 3/ 219.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من حذقها وبرع في أدائها...وبذلك سرى في القصر العباسي ذوق محافظ كان له أثره في الشعراء، إذ كانوا يمثلون بين أيدي الخلفاء مادحين لهم"[1].

وذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه "الآداب العربية في العصر العباسي الأول" أن "أبا دلامة[2] أقبل على المنصور فأنشده:

لَو كانَ يَقعُدُ فوقَ الشَّمسِ مِنْ كَرَمٍ قومٌ لَقيلَ اقعدُوا يا آلَ عَبَّاس
ثُمَّ ارتَقُوا في شُعاعِ الشَّمسِ كُلِكُمُ إلى السَّماءِ فَأَنتُم أَظْهَر النَّاس[3]
[البسيط]

فهزَّ أريحيته، وأنساه حرصه وتشدده، فقال له: بأي شيء تجد أن نعينك؟ فقال: تملأ لي هذه الخريطة دراهم، فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم"[4].

وقد أدى اهتمام الخلفاء العباسيين بالشعر والشعراء إلى ازدحام الشعراء على بلاطهم وأبوابهم، ونيلهم مكانة مرموقة من قلوب الخلفاء ومن جيوبهم أيضاً، ويذكر أنه لم يجتمع على باب أحد من الملوك ما اجتمع على باب المأمون والرشيد من الشعراء. وقد بلغ من منزلة الشعراء أنهم كانوا يحتكمون في أموال الخلفاء ويفرطون في الدالة عليهم، ويشفعون فيما لا ترجى الشفاعة فيه، فيفكون رقاب العناة، ويجيرون من الموت. ويروى أن الرشيد أجاز مروان بن أبي حفصة مرة على قصيدة له خمسة آلاف دينار، وخلعة وفرساً من مراكبه، وعشرة من رقيق الروم. ويقول الجاحظ: اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره: وزراؤه البرامكة، وقاضيه أبو يوسف رحمه الله، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه، وحاجبه الفضل بن الربيع[5].

وقد أدت المبالغة في الجوائز والهبات للشعراء إلى المبالغة في المدح، ومن الأمثلة على ذلك قول الحسين بن مطير مادحاً المهدي:

---

[1] ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**. ط2.. القاهرة: دار المعارف. ص139.

[2] سيأتي ذكره.

[3] السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تاريخ الخلفاء**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. 1989م. ص 229.

[4] خفاجي، محمد عبد المنعم: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ط1. بيروت: دار الجيل. 1992م. ص 90.

[5] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ت محمد محيي الدين عبد الحميد. ص329.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَو يعبدُ النـــاسُ يـــا مَهـــديُّ أفضـــلهم ما كانَ في النَّاسِ إلا أنتَ معبودُ
أضْحَتْ يَمينُـــكَ مِـــن جـــودٍ مُصـــوّرة لا بَل يمينُكَ مِنها صُوِّر الجُودُ
لَـــو أن مِـــنْ نـــورِهِ مثقـــالَ خردلـــةٍ في السُّود طراً إذن لابْيَضَّتِ السودُ[1]
[البسيط]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانوا يشترطون في الجواري التي تعيش فـــي قصـــورهم أن تكون على جانب من الثقافة والأدب، وربما شاعرة أيضاً، ويذكر السيوطي موقفاً على ذلك بقوله:

أهديت إلى المتوكل جارية شاعرة اسمها فضل، فقال لها: أنشدينا من شعرك، فقالت:

اســـتقبلَ الملـــكُ إمـــامُ الهُـــدى عـــــامَ ثـــــلاثٍ وثلاثينـــــا
خِلافَـــــةٌ أفضَـــتْ إلـــى جعفـــرٍ وهُـــو ابـــنُ سَـــبعٍ بعـــدَ عِشـــرينا
إنـــا لنَرْجـــو يـــا إمـــامِ الهشـــدى أنْ تملـــكَ المُلـــكَ ثمانينـــا
قـــدَّس اللهُ امـــرأً لَـــم يَقتـــلْ عنـــدَ دعـــائِي لَـــكَ: آمينـــا[2]
[المديد]

أما من ناحية ازدهار الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فإن حركـــة التـــدوين التـــي نشطت في مرحلة مبكرة، قد أمدت الشعراء بالنماذج الشعرية القديمة، فضلاً عـــن الســـماح لهـــؤلاء الشعراء بالتعرف إلى مدى ملاءمة التقاليد الموروثة في الشعر للبيئة الحضرية الجديدة فـــي القـــرنين الثاني والثالث الهجريين. فقد "انشغل علماء اللغة والرواة بجمـــع اللغـــة مـــن مصـــادرها المختلفـــة، واستخدموها في دراسة القرآن الكريم... على أن الشعر الذي كان عنصراً أساسياً من عناصر تفســـير القرآن الكريم، يمثل أيضاً قيمة في ذاته؛ فقد كان يحفل بتاريخ العرب ومآثرهم، مثلما هـــو مســـتودع أخبارهم"[3].

وكان الرواة واللغويون يؤمنون بأن تهذيب سليقة الشعراء أو أهل الحضر عموماً لا يتـــأتّى إلا إذا أمدوهم بالنماذج اللغوية القديمة الأصيلة ؛ لإيمانهم بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى "ولم يعـــرض

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ترجمة محمد يوسف نجم. ت إحسان عباس. دار مكتبة الحياة. بيروت. 1959م. ص77.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 400.

[3] جامعة القدس المفتوحة: **مناهج النقد الأدبي عند العرب**. ط1. عمان 1997م. ص 65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء اللغويون على شعراء الحاضرة نماذج الشعر القديم السهلة فحسب، بل كان همهم الأول أن يعرضوا عليهم نماذجه العويصة المليئة بالحوشي والألفاظ الغريبة، ومضوا فجعلوها مدار إملاءاتهم ومحاضراتهم"[1]. ويقول الجاحظ: "لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إغراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج"[2].

وقد أدى عمل اللغويين والرواة هذا إلى تثقيف الشعراء بالعربية والأصول القديمة في الشعر، حتى أننا صرنا نجد شعراء من أصول غير عربية ولكنهم يتقنون اللغة العربية كأبي نواس مثلاً الذي حذق العربية وبرع فيها، وبشار بن برد الذي نشأ في بني عقيل وأخذ عنهم الفصاحة. لذلك صار الشاعر العباسي يحول إلى نفسه كل نماذج الشعر القديم، يعينه في ذلك اللغويون بما يعرضون عليه منها، لدرجة أن اللغويين لم يضعوا للشعراء أقيسة اللغة في الاشتقاق والتصريف والنحو، بل أساليب التعبير وفنون القول. ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن اللغويين هيؤوا للشاعر العباسي من العلم بالشعر القديم ما لم يكن يتهيأ لأصحابه أنفسهم[3].

ومن الجدير ذكره أن إتقان غير العرب كبشار بن برد، وأبي نواس للغة العربية، لا يقتصر أثره في هذين الشاعرين، أو ما شاكلهما، بل إن أثر ذلك ظهر في الشعر العربي كله، وبخاصة أن العناصر غير العربية التي أتقنت العربية، تمكنت من نقل ثقافات شعوبها وأممها إلى العربية، وهو ما أدى إلى تطور المعاني الشعرية وعمق الأفكار الفلسفية في العصر العباسي على نحو ما يظهر عند أبي تمام مثلاً أو ابن الرومي.

وبذلك يكون الشعر في العصر العباسي وبخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين قد شهد ازدهاراً وتطوراً كبيرين، في موضوعات الشعر القديمة وما تم تجديده فيها، وفي استحداث موضوعات جديدة لم تكن مطروقة من قبل. وتطورات متعلقة باستهلال القصيدة العربية ومطلعها، وما أثير من قضايا تتعلق بذلك، ناهيك عن التطورات المتعلقة بمعاني الشعر وأفكاره[4].

---

[1] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 138.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**. 4/ 138.

[3] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 145، 146.

[4] ينظر في ذلك ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 138 وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيما يتعلق بالظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي سادت العصر العباسي؛ فإن تلك الظروف قد ألقت بظلالها على صورة الخلافة في تلك الفترة؛ فمن ناحية نجد شعراء قد نذروا أنفسهم لخدمة الخلفاء العباسيين ومدحهم، والرد على خصومهم كأبي تمام، ومروان بن أبي حفصة، والبحتري، وعلي بن الجهم، ومن ناحية أخرى نجد شعراء آخرين يقفون ضد الدولة العباسية، ويتمثلون أفكاراً معادية لخلفائها، كالعلويين الذين كان لهم شعراؤهم، والمذاهب والأفكار الخارجة عن الدولة التي كان لها شعراء ينظرون لهذه المذاهب والأفكار ومن ذلك الزنادقة والشعوبيون[1].

وبين هذه الفئة وتلك، نجد شعراء قد ترددوا بينهما؛ فتارة نراهم يمتدحون الخلفاء، وأخرى نراهم في موقف آخر. ومما لا شك فيه أن إغداق الأموال والعطايا على الشعراء كان له أثر كبير في ذلك عند بعض الشعراء، وربما كان السبب عند شعراء آخرين هو التحفظ والتخوف، وبشكل خاص عند شعراء الزندقة والمجون الذين لا يستطيعون البوح بصريح أفكارهم.

وقد رأت الباحثة أن تحصر مصطلح شعراء الدولة العباسية في الشعراء الذين كان أغلب شعرهم في خدمة الدولة وخلفائها، أو بشعراء البلاط والحظوة. ويمكن أن يضاف إلى هذه الفئة، أشعار شعراء نالوا حظوة عند الخلفاء ونظموا قصائد في مدحهم، كما رأت أن صورة الخلافة اختلطت كثيراً بصورة الخليفة، حتى أصبح من العسير الفصل بينهما؛ فالخليفة يمدح لمنصبه لا لشخصه، علماً أن من بين الجوانب التي مدح بها الخلفاء جوانب شخصية بحتة؛ كالشجاعة والكرم، ورفعة الأصل والنسب.

ومن شعراء الدولة العباسية:

مروان بن أبي حفصة:

هو "مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسمه يزيد مولى مروان بن الحكم . وأصلهم يهود من موالي السموأل بن عادياء وهم يدّعون أنهم موالي عثمان بن عفان وإنما أعتق مروان بن الحكم أبا حفصة يوم الدار . ويقال إن عثمان اشتراه غلاما من سبي اصطخر ووهبه لمروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة يكنى أبا السمط وكان يلقب بذلك ببيت قاله . وكان شيخا متدانيا يستبشع منظره

[1] ينظر في ذلك نفسه. ص 202 وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنازل أهله باليمامة، وهو شاعر مفلق مدح معن بن زائدة في أيام المنصور. ووفد على المهدي وولديه ومدحهم. وكان ذا منزلة بينهم يجزلون عطاءه ويقدمونه على سائر الشعراء. ولد سنة خمس ومئة في شهر ربيع الأول، وهي السنة التي مات فيها هشام. وفد على الوليد بن يزيد وهو حدث مع عمومته وهلك في أيام الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومئة في ربيع الأول ودفن ببغداد"[1].

ومن أروع ما قاله في المديح قصيدته التي مطلعها:

طَرَقَتكَ زائِرَةً فَحَيِّ خَيالَها بَيضاءُ تُخلِطُ بِالحَياءِ دَلالَها[2]

[الكامل]

وفي هذه القصيدة التي يستهلها بمقدمة غزلية تقليدية تستغرق الأبيات السبعة الأولى، ينبري لمديح الخليفة المهدي، ويصفه بأنه أحيا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمتدح أصله الكريم؛ فهو من آل هاشم، وفي ذلك يقول:

أَحيا أَميرُ المُؤمِنينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرامَها وَحَلالَها
مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبعُهُ مِن هاشِمٍ مَدَّ الإِلهُ عَلى الأَنامِ ظِلالَها[3]

[الكامل]

ولا ينسى الشاعر أن يمدح الخليفة بالصفات التقليدية للممدوح كالشجاعة والكرم، فيقول:

لَم تَغشَها مِمّا تَخافُ عَظيمَةٌ إِلّا أَجالَ لَها الأُمورَ مَجالَها
حَتّى يُفَرِّجَها أَغَرُّ مُبارَكٌ أَلفى أَباهُ مُفَرِّجاً أَمثالَها
ثَبتٌ عَلى زَلَلِ الحَوادِثِ راكِبٌ مِن صَرفِهِنَّ لِكُلِّ حالٍ حالَها
حَتّى إِذا وَرَدَت أَوائِلُ خَيلِهِ جَيحانَ بَثَّ عَلى العَدُوِّ رِعالَها
أَدمَت دَوابِرَ خَيلِهِ وَشَكيمُها غاراتُهُنَّ وَأَلحَقَت آطالَها[4]

[الكامل]

---

[1] الأصفهاني: أبوالفرج: **كتاب الأغاني**. ت سمير جابر. دار الفكر. بيروت. 13/ 219.

[2] المرزباني، أبو عبد الله بن محمد بن عمران: **معجم الشعراء**. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان 1/ ص 99. 1982م.

[3] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 97.

[4] المرجع السابق. ص 97، 98.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يلتفت إلى العلويين، وينكر حقهم في الخلافة، ويرى بأنها من حق العباسيين فهم أبناء عمومة النبي الكريم، والعمومة مقدمة على أبناء البنات في الشريعة الإسلامية، مستدلاً بذلك على آية من سورة الأنفال[1]، فيقول:

هَل تَطمِسونُ مِنَ السَماءِ نُجومَها بِأَكُفِّكُم أَم تَستُرونُ هِلالَها
أَم تَجحَدونَ مَقالَةً عَن رَبِّكُم جِبريلُ بَلَّغَها النَبِيَّ فَقالَها
شَهِدَت مِنَ الأَنفالِ آخِرُ آيَةٍ بِتُراثِهِم فَأَرَدتُمُ إِبطالَها
فَذَروا الأُسودَ خَوادِراً في غيلِها لا تَولِغُنَّ دِماءَكُم أَشبالَها[2]
[الكامل]

وقد سبقت الإشارة إلى أن الخليفة أعطاه على هذه القصيدة مئة ألف درهم (لكل بيت ألف درهم) [3]. ويمضي هذا الشاعر في دفاعه عن العباسيين على هذا النحو، فيقول في قصيدة أخرى، مطلعها:

طافَ الخَيالُ وَحَيِّهِ بِسلامِ أَنّى أَلَمَّ وَلَيسَ حينَ لِمامِ
[الكامل]

وفي هذه القصيدة يقرِّر أحقية العباسيين بالخلافة، وهو لا يعدو كونه تكراراً لما قاله في القصيدة السابقة من أن أبناء العمومة أحق بالوراثة من أبناء البنات، مستشهداً بالوحي، فيقول:

يا ابنَ الَّذي وَرِثَ النَبِيَّ مُحَمَّداً دونَ الأَقارِبِ مِن ذَوي الأَرحامِ
الوَحيُ بَينَ بَني البَناتِ وَبَينَكُم قَطَعَ الخِصامَ فَلاتَ حينَ خِصامِ
ما لِلنِساءِ مَعَ الرِجالِ فَريضَةٌ نَزَلَت بِذلِكَ سورَةُ الأَنعامِ
أَنّى يَكونُ وَلَيسَ ذاكَ بِكائِنٍ لِبَني البَناتِ وِراثَةُ الأَعمامِ

---

[1] الآية هي: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ) الأنفال: آية (75).

[2] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 99.

[3] **الرسالة** . ص. 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَلغــى سِــهامَهُمُ الكِتــابُ فَحــاوَلوا أَن يَشــرَعوا فيهــا بِغَيــرِ سِــهامِ
ظَفِرَت بَنو ســاقي الحَجــيجِ بِحَقِّهِــم وَغُــــررتُمُ بِتَــــوَهُّمِ الأَحــــلامِ
خَلّــوا الطَريــقَ لِمَعشَــرٍ عــاداتُهُم حَطمُ المَناكِــبِ كُــلَّ يَــومِ زِحــامِ
وَارضَوا بِمــا قَسَــمَ الإِلــهُ لَكُــم بِــهِ وَدَعوا وِراثَةَ كُــلِّ أَصــيَدَ حــامِ[1]
[الكامل]

ولما عقد المهدي العهد لولده موسى قال مروان بن أبي حفصة:

عُقِــدَتْ لِموســى بالرَّصــافةِ بَيعَــةٌ شَــدَّ الإِلــهُ بِهــا عُــرى الإِســلامِ
موسى الذي عَرَفَــت قُــريشٌ فَضــلَهُ وَ لَهــا فَضــيلتها علــى الأقــوامِ
بِمُحَمَّــــدٍ بعــــدَ النَّبِــــيِّ مُحمَّــــدٍ حيَّ الحَــلالُ و مــاتَ كــلِّ حَــرامِ
مَهــدي أمتــه الــذي أمســتْ بِــهِ لِلــــذلِّ آمنــــة و للإعــــدامِ
مُوســى ولِــي عهــدَ الخِلافَــة بعــدَهُ جَفَّتْ بِذاك مواقعُ الأقــلامِ[2]
[الكامل]

وهكذا نجد الأحقية في الخلافة عند هذا الشاعر، لا تعدو كونها مسـألة وراثـة، دون اعتبـار لعوامل الكفاية والقدرة أو أية معايير موضوعية أخرى. ويرى شوقي ضيف أن الخليفة المهـدي "أول خليفة فتح أبوابه على مصاريعها للشعراء، فقد مضى يجزل لهم في العطاء، ومضوا يجزلون له فـي الثناء"[3].

سلم الخاسر:

هو" سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر"، ولد في البصرة لأسرة تنتسب إلى حمير، وقد سبيت في الردة وأعتقها أبو بكر الصديق،ويورد الأصفهاني سبب لقبه هذا، فيقول: لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه ؛ فلقب الخاسر بذلك. وقيل: ورث سلم الخاسر أباه مئة ألف درهم، فأنفقها على الأدب، ولم يبـق عنـده شيء؛ فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه، ثم مدح المهـدي أو

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 317.

[3] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 293

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرشيد، وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به؛ فأمر له بمئة ألف درهم، وقال له: كَذِّبْ بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال: لهم هذه المئة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب، فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر[1].

ويبدو أنه قضى فترة من شبابه متنسكاً، ثم رجع إلى حياة الخلاعة والمجون، وهناك من يسلكه فيمن يظهرون الإسلام ويخفون الزندقة، والثابت أنه صحيح الدين. وقد اتصل بالخلفاء العباسيين ومدح غير واحد منهم؛ كالمنصور، والرشيد، والمهدي والهادي، والمأمون، وغيرهم.

ومن روائع مدحه قصيدته في مدح الخليفة المهدي، ومطلعها:

حَـــــيِّ المَنـــــــابِرَ بِالسَّـــــــلامِ أَعَلَـــــــى وَداعٍ أو لِمـــــــــام [2]

مجزوء الكامل

وفي هذه القصيدة يرى أن الممدوح قد اختص بالخلافة، وهو لها أهل، واتصف بصفات الشجاعة والكرم ورفعة النسب، فيقول في هذه القصيدة:

وإلـــــى أميـــــرِ المُؤمنيـــــــــ نَ مُحَمَّـــــــدٍ خَيـــــرِ الأنـــــامِ

جَمَـــــعَ الخِلافَـــــةَ والسَّـــــما حَـــةَ والشَّـــجاعَةَ فـــي نِظـــامِ

مَلِـــــكٌ ضَـــــريبةُ رأيـــــهِ أمْضَـــى مِـــنَ السَّـــيفِ الحُسَـــامِ

يَقضِـــي أمُـــورَ المُؤمنيـــــــ نَ بِـــرأيِ حَـــزْمٍ واعتِـــزامِ

قالَـــــتْ قُـــــريشٌ كُلُّهـــــا وهُـــمُ الكـــرامُ بَنـــو الكِـــرامِ

وخيـــارُ مَـــنْ وَطِـــئَ الحَصَـــى مِـــنْ بَـــيْنِ كَهـــلٍ أو غُـــلامِ

فَضَـــلَ المُلـــوكَ مُحَمَّـــدٌ فَضْـــلَ الحَـــلالِ علـــى الحَـــرامِ

فاسْـــلَمْ أميـــرَ المُؤمنيـــــــ نَ فأنْـــتَ رَهـــنٌ بالسَّـــلامِ

كَـــمْ فـــي يَديـــكَ مِـــنَ النّـــدَى وَضُـــروبِ ألـــوانِ الحِمـــامِ[3]

[مجزوء الكامل]

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 19/ 277.

[2] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114.

[3] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114، 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يتضح أن الشعراء، ومنهم شاعرنا هذا، يحرصون على نعت ممدوحيهم بالكرم، وربما كان السبب في كل هذا المديح، هو الطمع في الجوائز والصلات، على نحو ما نرى من ضخامة الصلات التي تدفع للشعراء لقاء أبيات من الشعر. فيذكر الأصفهاني[1] أن المهدي قد أمر لسلم الخاسر بخمسمئة ألف درهم لقاء مدحه بقصيدة جاء فيها:

لَهُ شَيمةٌ عِنْدَ بَذلِ العَطاءِ لا يَعْرِفُ النَّاسُ مِقدارَهَا
وَمَهديٌّ أمَّتَنِا والَّذي حَماها وأدْرَكَ أوتارَها [2]

[المتقارب]

ومن مديحه للمهدي كذلك، قوله:

اسْمَعْ فِداكَ بَنو حَواءَ كُلِّهُمُ وقد يحورُ بِرأسِ الكاذِبِ الكَذبُ
فَقَد حلَفتُ يَميناً غيرَ كاذِبَةٍ يومَ المَغيبةِ لَم يُقطَع لَها سَببُ
ألاّ يُخالفَ مدحي غيرَكم أبداً ولَو تَلاقَى عليَّ الغَرضُ والحَقْبُ [3]

[البسيط]

ولا ينسى الشاعر أن ينتهز فرصة تولي الهادي الخلافة، بعد وفاة المهدي، فيقول جامعاً بين المدح والرثاء:

لقَدْ فازَ موسى بِالخِلافةِ والهُدَى ومَاتَ أميرُ المُؤمنينَ مُحَمَّدُ[4]
فَماتَ الذي عمَّ البَريةَ فقدُهُ وقَامَ الذي يَكفيكَ من يتفقَّدُ [5]

[الطويل]

وفي هذين البيتين، يجمع الشاعر بين الرثاء والمديح جاعلاً كل بيت يتضمن المعنيين معاً؛ فهو يرثي المتوفى ويمدح الحي (الخليفة الجديد).

---

[1] الأصفهاني: الأغاني. 19/ 294.

[2] المصدر السابق، ص 93. والغرض والحقب كناية عن الأزمات تخنق المرء.

[3] المصدر السابق، ص 93. والغرض والحقب كناية عن الأزمات تخنق المرء.

[4] موسى هو اسم الخلافة الملقب بالهادي.

[5] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 96.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مدحه للهادي، كذلك، قوله:

بِعيســـاباذَ حُـــرٌّ مِـــنْ قُـــرَيشٍ علـــى جَنباتِـــهِ الشَّـــربُ الـــرِّواءُ
يَعـــوذُ المُســـلمونَ بحقْوَتَيْـــهِ إذا مـــا كـــانَ خَـــوفٌ أو رجـــاءُ
وكَـــمْ مِـــنْ قائِـــلٍ: إنِّـــي صَـــحيحٌ وتأبـــاهُ الخَلائِـــقُ والـــرُّواءُ [1]

[الوافر]

وهو في هذه الأبيات يمدحه بنسبه القرشي الكريم. ويحرص الشـاعر علـى إظهـار موقفـه الصريح من العباسيين؛ فهو في صفهم، وينافح عنهم أمام الخصوم.

ويقول في تولي الرشيد الخلافة:

بهـارون قـرَّ المُلْـكُ فـي مُسْـتَقرِّهِ وأشْـرَقَتِ الـدُّنيا وأيْـنَ نُورُهَـا
ولَـيْسَ لأيـامِ المَكـارِمِ غايـةٌ تَـتِمُّ بهـا، إلاّ وأنـتَ أميرُهَـا [2]

[الطويل]

وعندما عقد الرشيد العهد للأمين، نظم الشاعر أبياتاً في ذلك مبيناً أحقية (الأمـين) بالخلافـة، موضحاً أن الثقلين (الإنس والجن) قد بايعوه أيضاً، فيقول في ذلك:

قُـلْ لِلمنـازلِ بالكثيـبِ الأعْفَـرِ أُسـقيتِ غاديـةَ السَّـحابِ المُمْطِـرِ
قَـد وُفِّـقَ اللهُ الخَليفَـةَ إذ بَنـى بَيـتَ الخَليفَـةِ للهجَـانِ الأزهَـرِ
فَهـو الخَليفَـةُ عَـنْ أبيـهِ وجَـدِّهِ شَـهِدا عليـهِ بمَنظَـرٍ وبمَخْبَـرِ
قَد بايَعَ الثَّقلانِ فـي مَهـدي الهُـدَى لِمُحَمَّـدِ بْـنِ زُبيـدَةَ ابنـةِ جَعفَـرِ
ولَّيْتَـهُ عَهـدَ الأنـامِ وأمْـرَهُمْ فَـدَمَغتَ بـالمَعروفِ رأسَ المُنْكَـرِ [3]

[الكامل]

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 92.

[2] المصدر السابق. ص 106.

[3] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 100.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات يدعو الشاعر بالسقيا للمنازل، ثم يمضي نحو موضوعه الرئيس، وهو تأييد مسعى الخليفة في عقد البيعة للأمين، مباركاً للاثنين هذه الخطوة، مؤكداً أحقية الأمين للخلافة. ولا يعدو الشاعر في الأبيات أن يكون شاعر البلاط والمتحدث باسم السلطان. ويذكر الأصفهاني أن زبيدة أم الأمين قد أعطت الشاعر على هذه الأبيات مئة ألف درهم.[1] ومن الجدير ذكره أن تولي أحد الخلفاء الخلافة، مناسبة لا تفوت الشاعر، فيقول بمناسبة تولي الهادي الخلافة:

لَمَّا أتَتْ خَيْرَ بَني هاشِمٍ خِلافَةُ اللهِ بِجُرجَانِ
شَمَّرَ لِلحَزْمِ سَرابيلَهُ بِرأيِ لا غُمْرٍ ولا وانِي[2]

[السريع]

ومن مكملات المديح عند الشاعر، الرثاء، وكأن الشاعر يمدح الخليفة حياً وميتاً؛ في سبيل نيل الجوائز، وبالنظر في ديوان الشاعر نجد له من الرثاء، ما نظمه في رثاء الهادي، إذ يقول:

لَولا المقابِرُ ما حَطَّ الزَّمانُ بِهِ لا بَلْ تَوَلَّى بِأنفٍ كَلْمُهُ دامِي[3]

[البسيط]

ومن رثائه للمنصور، قوله:

عَجَباً للَّذي نَعى الناعِيانِ كَيفَ فاهَتْ بِموتِهِ الشِّفَتانِ
مَلِكٌ إنْ غَدا علَى الدَّهرِ يوماً أصْبَحَ الدَّهرُ ساقِطاً لِلجِرانِ
لَيْتَ كفّاً حَثَتْ عَليهِ تُراباً لم تَعُدْ في يَمينِها بِبَنانِ[4]

[الخفيف]

وهو في هذه الأبيات يتعجب كيف تجرأ الناعي على نعيه، وهو يدعو على الأيدي التي حثت عليه التراب، ويمضي الشاعر مصوراً أثر وفاته في النفوس، فيقول:

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 19/ 294.
[2] المصدر السابق. ص 117.
[3] المصدر السابق. ص 115.
[4] المصدر السابق. ص 117، 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذَهَبَــتْ دونَــهُ النُّفُــوسُ حِــذاراً غيــرَ أن الأرواحَ فــي الأبــدانِ [1]

[الخفيف]

أبو دلامة:

هو" زيد بن الجون الشاعر الماجن أحد الظرفاء " أصله من الكوفة وأقام ببغداد ونال الحظــوة عند المنصور؛ لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه. ويروى أنه حضــر يومــا جنــازة امــرأة المنصور وكانت ابنة عمه يقال لها حمادة بنت عيسى، وكان المنصور قد حزن عليها. فلما سووا عليها التراب، وكان أبو دلامة حاضراً، فقال له المنصور ويحك يا أبا دلامة ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: ابنة عم أمير المؤمنين؛ فضحك المنصور حتى استلقى، ثم قال: ويحك فضحتنا.[2]

وقد أثر عن الشاعر هذا أنه كان يستجدي الخلفاء في مدحه لهم، وذلك بأسلوب فكاهي، ومــن ذلك قوله في مدح المنصور:

إنِّــــي رَأيْتُــــكَ فــــي المَنَــــا مِ وأنْــــتَ تُعطِينِــــي خِيــــارَهْ

مَملــــــــوءَةً بِــــــــدراهمٍ وَعَلَيــــكَ تفســــيرُ العِبــــارَهْ[3]

[مجزوء الكامل]

فطلب إليه الخليفة أن يأتي بخيارة ليملأها له دراهم كما رأى في منامه. ويروى أنه أقبل على المنصور يوماً وقال له:

رأيتُــك فــي المنــام كســوتَ جلــدي ثيابــاً جمَّــةً وقضــيتَ دَيْنــي

فكــان بنفســجي الخــزِّ فيهــا وســاجٌ نــاعمٌ فــأتمَّ زينــي

فصــدِّق يــا فــدتْكَ الــنفسُ رؤيــا رأتها في المنــام كــذاك عينــي[4]

[الوافر]

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 118.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: **البداية والنهاية**. مكتبة المعارف. بيروت. 10/ 134.

[3] أبو دلامة: **ديوانه**. تحقيق إميل بديع يعقوب. ط1. دار الجيل. بيروت. 1994م. ص 61.

[4] المصدر السابق. ص 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأمر له الخليفة بذلك، وقال له: لا تعد تتحلم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثاً. وله مع المهدي قصة مشابهة، إذ يقول:

إنِّـــي نَـــذرتُ لـــئن رأيتُـــكَ ســـالماً ... بقـــرى العِـــراق، وأنـــت ذو وَفْـــرِ
لتصـــلِّيَنَّ علـــى النبِـــيِّ مُحمَّـــدٍ ... ولَـــتملأنَّ دراهمـــاً حجـــري[1]

[الكامل]

وينتهز الشاعر فرصة تولي المهدي الخلافة بعد وفاة المنصور، فيقول مادحاً وراثياً، وذاكـراً الاثنين في كل بيت:

عَينـــانِ: واحـــدةٌ تُـــرى مَســـرورَةً ... بإمامِهـــا جَـــذلَى وأخـــرى تَـــذرِفُ
تَبكِـــي وتَضـــحَكُ مَـــرَّةً ويَسُـــوؤها ... ما أبصرتْ ويَسُـــرها مـــا تَعـــرفُ
فَيسُـــوؤها مـــوتُ الخَليفَـــةُ محرمـــاً ... ويســـرُّها أن قـــامَ هـــذا الأرأفُ
هَلَـــكَ الخَليفَـــةُ يـــا لأمَّـــةِ أحمـــدٍ ... فأتـــاكم مـــن بَعـــدِهِ مـــن يخلِـــفُ
أهْـــدَى لِهـــذا اللهُ فَضـــلَ خِلافَـــةٍ ... ولِـــذاكَ جنـــاتُ النَّعـــيم تتزخْـــرفُ
فـــابكُوا لِمَصـــرَعِ خيـــركم ووَلِـــيكُم ... واسْتَشرِفُوا لِمقـــامِ ذا وتَشَـــرَّفُوا[2]

[الكامل]

وهكذا نجد الشاعر يمدح الخليفة الحالي ويرثي الخليفة المتوفى، وهذه سنة لدى الشعراء؛ فعلى الشاعر، وإن رثى أحد الخلفاء، ألاّ ينسى مدح الخليفة الذي يتولى العرش من بعده؛ لذلك فإن الرشـيد غضب عندما رثى أبو دلامة أبا العباس السفاح، من دون أن يمدح المنصور، بقوله:

أمســـيتَ بالأنبـــارِ يـــا بـــنَ محمـــدٍ ... لم تســـتطع عـــن غيرهـــا تحـــويلا
ويلـــي عليـــك وويـــل أهلـــي كلهـــم ... ويلاً وعـــولاً فـــي الحيـــاة طـــويلا
فلتبكـــيَنَّ لـــك النســـاءُ بعبـــرةٍ ... وليبكـــين لـــك الرجـــال عـــويلا[3]

[الكامل]

---

[1] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 67.

[2] المصدر السابق: **ديوانه**. ص 82، 83.

[3] المصدر السابق. ص 90، 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبلغ الإخلاص للخلفاء، وربما التملق لهم، مرتبة تدفع الشاعر إلى هجاء الخصوم، وتقديم الأسباب الموجبة للتخلص منهم والقضاء عليهم؛ فبعد أن فتك أبو جعفر المنصور بأبي مسلم الخراساني، قال أبو دلامة:

أبا مُجرِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نِعمَةً عَلَى عَبدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَها العَبدُ
أبا مُجرِمٍ خَوَّفْتَني القَتلَ فَانتَحَى عَلَيكَ بما خَوَّفْتَنِي الأسَدُ الوَرِدُ
أَفي دَولَةِ المَهدِيِّ حَاوَلتَ غَدرَةً ألا إنَّ أَهلَ الغَدرِ آباؤُكَ الكُردُ [1]

[الطويل]

وفي هذه الأبيات يقول (أبا مجرم) ويقصد (أبا مسلم)، ويتحدث عن المهدي، ويقصد به أبا جعفر المنصور، وربما كان ذلك بقصد أنه يهدي الناس، أو الإشارة إلى المهدي المنتظر[2].

علي بن الجهم:

"علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن كعب بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة، يكنى أبا الحسن وأصله من خراسان"[3]. وقد مدح الخليفة الواثق بقصيدة بيَّن فيها نسب الخليفة بالنبي وصلة القرابة بينهما، موضحاً موقفه وموقف قومه من الخليفة، وهو موقف يشير إلى التأييد المطلق للخليفة؛ فما يقبله الخليفة يقبلونه، ويرفضون ما يرفضه أيضاً، وفيها يقول:

بارِكَ اللهُ للخليفةِ في العيـ دِ وفي كلِ طارِفٍ وتليدِ
صفوة الله وابن عم نبي اللـ ـه وابن المهدي وابن الرشيد
يا بني هاشم بن عبد مناف نسبة حبها من التوحيدِ
أنتم خير سادة يا بني العبا س فابقوا ونحن خير العبيدِ
نَحْنُ أشياعُكُمْ مِن أهْلِ خُراسا نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبأسٍ شَديدِ
إنْ رَضِيتُم أمراً رَضِينا وإن تَأ بَوْا أبَينا إباءَ الأسُودِ
حَسْبُنَا اللهُ والخليفةُ مِنْ بَعـ دُ وَمِنْ بَعدِهِ وُلاةُ العُهُودِ[4]

[الخفيف]

---

[1] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 52.

[2] المصدر السابق. هامش ص 52.

[3] المرزباني: **معجم الشعراء**. 1/ 44.

[4] ابن الجهم: **ديوانه**. جمع وتحقيق خليل مردم بيك. ط2. دار الآفاق: بيروت. 1959. ص34، 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان الخلفاء العباسيون السابقون للمتوكل يتبنون وجهة نظر المعتزلة القائلة بخلق القرآن؛ فنزلت المحن بعلماء السنة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل، وكادت هذه القضية تؤدي إلى فتنة عظيمة، وبخاصة أن جماهير المسلمين كانت تتعاطف مع علماء السنة. ولكن المتوكل سرعان ما أمر برفع المحنة، وأعلن التسنُّن وفرضه على الأقطار، وأرسل إلى الآفاق يطلب إليهم وقف القول بخلق القرآن؛ فسجل علي بن الجهم هذا الحدث في قصيدة قال فيها:

قامَ وأهلُ الأرضِ في رَجفَةٍ ... يَخبِطُ فيها المُقبِلَ المُدبِرُ

في فتنةٍ عمياءَ لا نارُها ... تَخبُو ولا مُوقِدُها يَفتُرُ

كلٌّ حنيفٍ منهُمُ مسلمٍ ... لِلكُفرِ فيه مَنظَرٌ مُنكَرُ

إمَّا قتيلٌ وإما أسيرٌ فلا ... يُرثَى لِمَن يُقتَلُ أو يُؤسَرُ

فَأمَّرَ اللهُ إمامَ الهُدى ... واللهُ مَنْ يَنْصُرُه يُنْصَرُ

وَجَرَّدَ الحقَّ فأشجَى بِهِ ... مَنْ كانَ عن أحكامِهِ يَنفِرُ

وانْفضَّتِ الأعداءُ مِنْ حولِهِ ... كَحُمْرٍ أنفَرَها قَسوَرُ

وَصاحَ إبليسُ بأصحابِهِ ... حَلَّ بِنا ما لَمْ نَزَلْ نَحْذَرُ

الرِّدَّةُ الأولَى ثَنَى أهلَها ... حَزْمُ أبي بَكرٍ ولم يَكفُروا

وهذِهِ أنتَ تلافيتَها ... فَعادَ ما قد كادَ لا يُذكَرُ

فاسْلَمْ لَنا يا خَيْرَ مُستَخلَفٍ ... مِنْ مَعشَرٍ ما مِثلُهُم مَعشَرُ[1]

[السريع]

وهكذا، فإن إشادة ابن الجهم لم تقف عند حد التأييد الإعلامي فقط، بل صبغها صبغة دينية، عندما أشار إلى أن هذه الفتنة كالردة في خطورتها على الدين، وجعل أنصارها والقائلين بها من الأعداء، وأن إبليس واحد منهم. ولا يخفى القول: إن ابن الجهم كان صادقاً في هذا التأييد؛ لأنه نفسه كان من السنة الرافضين لفكرة خلق القرآن، وهو ما جعله بعيداً عن بلاط الخليفة العباسي المعتصم على الرغم من مديحه له. ويعطي الشاعر أبياته مسحة دينية؛ إذ نراه يتأثر على نحو واضح بالقرآن

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريم في غير بيت؛ ففي البيت الخامس نراه يتأثر بقوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ)[1]. وفي البيت السابع يتأثر بقوله تعالى: (كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٍ)[2].

ولم يقف تأييد ابن الجهم للمتوكل في قضية خلق القرآن عند هذه الحدود، بل تعداها إلى الشماتة بالمعتزلة الذين نكّل بهم المتوكل، أمثال أحمد بن أبي دؤاد، إذ يقول فيه:

يا أحْمَدُ بنَ أبي دُؤاد دَعوَةً بَعَثْتُ إليكَ جَنادِلاً وَحَديدا
ما هذِهِ البِدَعُ التي سَمَّيْتَها بالجَهلِ مِنكَ العَدْلَ والتَّوحيدا
أفْسَدتَ أمرَ الدِّينِ حِينَ وَلِيتَهُ وَرَمَيْتَهُ بَأبي الوَلِيدِ وَليدا[3]
لا مُحْكَماً جَزلاً ولا مُسْتَطرَفاً كَهْلاً، وَلا مُستَحدَثاً مَحمُودا[4]

[الكامل]

ويرى الدكتور شوقي ضيف[5] أن ابن الجهم كان يقف مع العباسيين ضد خصومهم من العلويين، ثم المعتزلة أيام المتوكل، ومما قاله في مدح المتوكل وهجاء المعتزلة:

به سلمَ الإسلامُ من كلِّ ملحدٍ وحلَّ بأهل الزيغِ قاصمةُ الظهرِ[6]

[الطويل]

وكان يفضل العباسيين على كل الناس علويين وغير علويين، ومن ذلك قوله:

لنا في بني العباسِ أكرمُ أسوةٍ فهم خيرُ خلق الله طُرّاً وأفضلُ[7]

---

[1] سورة محمد: آية (7).
[2] سورة المدثر: آية (50، 51).
[3] أبو الوليد هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد كان قد تولى المظالم وعزله المتوكل.
[4] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 125، 126.
[5] ضيف: **العصر العباسي الثاني**. ص 263.
[6] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 222.
[7] المصدر السابق. ص 70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نال ابن الجهم حظوة عند الخليفة المتوكل، ومما قاله في مديحه:

بِسُـــرَّ مَـــن را إمـــامُ عـــدلٍ تغـــرِفُ مـــن بَحـــرِه البحـــارُ
المُلـــكُ فيـــهِ وفـــي بَنيـــهِ مـــا اختَلَـــفَ الليـــلُ والنهـــارُ
يُرْجـــى ويُخْشـــى لكُـــلِّ خطـــبٍ كأنَّـــهُ جَنَّـــةٌ ونـــارُ
يَـــداهُ فـــي الجـــودِ ضَـــرَّتانِ عليـــهِ كِلتاهُمـــا تغـــارُ
لـــم تـــأتِ منـــهُ اليمـــينُ شـــيئاً إلاّ أتـــتْ مِثلَـــهُ اليســـارُ[1]

[مخلع البسيط]

وفي هذه الأبيات، يمدح الشاعر الخليفة مدحاً تقليدياً؛ فيخلع عليه صفات الكرم والجود، ويصور ذلك تصويراً فريداً، عندما يشبه تسابق يديه إلى الكرم، وتنافسهما فيه، كما يحدث بين الضرائر من الغيرة والتنافس.

مروان بن أبي الجنوب:

هو" مروان بن أبي الجنوب واسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا السمط "، ويلقب غبار العسكر ببيت قاله، ويعرف بمروان الأصفر . وسلك سبيل جده في الطعن على آل علي بن أبي طالب مع قلة حظه من جيد الشعر، وحسنت حاله عند المتوكل وخص به ونادمه وقلده اليمامة والبحرين وطريق مكة، وكان يجسره ويخلع عليه ويكرمه. قال أبو هفان : كان مروان بن أبي الجنوب من المرزوقين بالشعر مع تخلفه فيه، أعطاه المتوكل مئتي ألف دينار من ورق وذهب وكسوة . وقد مدح المأمون والمعتصم والواثق وأخذ جوائزهم [2].

وأول اتصال للشاعر بالمتوكل كان بسبب نكبة المتوكل لابن الزيات، وفيها شمت الشاعر بابن الزيات حيث يروي الأصفهاني ذلك الخبر قائلاً: "قال ابن أبي طاهر حدثني مروان بن أبي الجنوب قال لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دؤاد بقصيدة مدحته فيها وذكرت فيها ابن الزيات ببيتين هما:

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 396.

[2] المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران: **معجم الشعراء**. 1 / 100. موقع الوراق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيـــل لـــيَ الزيـــاتُ لاقـــى حِمامَـــه فقلت أَتـــاني الله بـــالفَتْح وَالنصْـــرِ

لقـــد حفـــر الزيـــاتُ بـــالبغي حُفـــرة فألقـــاه فيهـــا الله بـــالكفر والغَـــدْرِ

[الطويل]

قال فذكرني ابن أبي دؤاد للمتوكل فأمر بإحضاري فقيل له نفاه الواثق إلى اليمامة وذلك لميلـــه إليـــك. فقال يحمل. فقال له ابن أبي دؤاد: عليه ستة آلاف دينار دين. فقال يكتب له بها إلى عامـــل اليمامـــة؛ فكتب لي بها وبالحملان والمعونة فقدمت عليه"[1]. ومن مديحه للمتوكل بعد قدومه إليه، قوله:

كانـــــت خلافـــــةُ جعفـــرٍ كنبـــوة جـــاءت بـــلا طلـــب ولا بتنحـــل

وهـــبَ الإلـــهُ لـــه الخلافـــةَ مثلمـــا وهب النبـــوةَ للنبـــيِّ المرســـلِ [2]

[الكامل]

وفي هذه الأبيات يشبه الشاعر خلافة المتوكل في مناسبتها له وأهليته لها، بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي مبالغة كان الطمع في الجائزة دافعاً لها. وله في المتوكل:

وكأنمـــا ســـيقتْ غـــداةَ وليتَهـــا للمســـلمين بمـــا وليـــتَ غنـــائمُ

تخشـــى الإلـــه فـــلا تنـــامُ عنايـــةً بالمســـلمين وكلُّهـــم بـــك نـــائمُ [3]

[الكامل]

والشاعر، في هذين البيتين، يرى في خلافة الممدوح، بشرى خير للناس، ولا غرو في ذلك، ما دام الخليفة ساهراً على مصالح الأمة، مفسحاً المجال أمام كل منهم لينام ملء جفنيه مطمئن البال. وقال فيه أيضاً:

أعـــادَ إلينـــا الفضـــلَ أيـــامُ جعفـــر وأحيا لنا بالعدل والجود جعفـــرا[4]

إمـــامٌ لـــه فـــي كـــلِّ قلـــب محبـــةٌ كوالـــده قـــولا وفعـــلا ومنظـــرا

ظفـــرتَ بحـــقٍّ طالمـــا قـــد ظُلِمْتَـــه ومن كان يبغي ذاك أمسى مُظَفَّرا[5]

[الطويل]

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. ج 23/ ص 218.

[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**. ج 5/ ص 339. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ.

[3] **معجم الشعراء**. جزء 1/ ص 100.

[4] جعفر الأولى، الخليفة المتوكل. والثانية، النهر الصغير.

[5] **معجم الشعراء**. 1 / 154، **والوافي بالوفيات** 1/ 596.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات، يرى الشاعر أن خلافة المتوكل كانت فاتحة خير على الناس، فالخليفة، بفعاله، قد أحيا الفضل والعدل والجود، لذا، فإن للخليفة محبة خاصة في كل قلب.

وروى الأصفهاني أن مروان بن أبي الجنوب قال: "لما صرت إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته ذلك في قولي:

سقَى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ... ويا حبذا نجدٌ على النَّاي والبعدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لعلي أرى نجداً، وهيهات من نجدِ
بلادٌ بها قوم هَواهُمْ زِيارتي ... ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي
[الطويل]

فلما استتممتها أمر لي بمئة ألف درهم وخمسين ثوبا من خاص ثيابه"[1].

البحتري:

هو" الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر ابن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر". ويكنى أبا عبادة شاعر فاضل فصيح حسن المذهب نقي الكلام مطبوع. وله تصرف حسن فاضل، نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء فإن بضاعته فيه نزرة، وجيده منه قليل[2].

ويرى الأصفهاني أن "البحتري يتشبه بأبي تمام في شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحبا وإماماً، ويقدمه على نفسه. ويقول في الفرق بين الأول والثاني قول منصف: إن جيد أبي تمام خير من جيده، ووسطه ورديئه خير من وسط أبي تمام ورديئه. وكذا حكم هو على نفسه"[3].

اشتهر البحتري بصلته بالخليفة المتوكل، ونظم أروع القصائد في مدحه، وجدير بالذكر أن البحتري كان يمدح هذا الخليفة من أجل العطاء فقط، ويرى الدكتور شوقي ضيف أن البحتري كان

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 23/ 216.
[2] المصدر السابق. 10/ 42.
[3] المصدر السابق. 10/ 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متقلباً مسرفاً في التقلب، فقد كان يدين بالاعتزال قبل خلافة المتوكل، ثم نزع عنه هذا المذهب لما أوقف المتوكل القول بخلق القرآن، وأفل حينئذ نجم المعتزلة. حتى أن بعضهم ذكره بقوله في بعض الخارجين:

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ويحرِّفون كلامه المخلوقا

[الكامل]

فسئل: أكنت معتزلياً؟ فقال: كان هذا ديني أيام الواثق[1].

وقد حرص البحتري على تسجيل خلافة المتوكل لحظة بلحظة؛ فمدحه غير مرة، وسجل له عقد ولاية العهد لأبنائه، ورثاه بعد مقتله، ومن نظمه في مدح المتوكل قصيدته التي وصف بها البركة ومطلعها:

مِيلُوا إلى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهليهَا [2]

[البسيط]

ويمضي في هذه القصيدة مصوراً أهليته للخلافة، بل عدم صلاحها إلا له، وكأنها قُدَّتْ على مقاسه، ضارباً الشواهد على ذلك؛ فهو ذو نسب رفيع وخلق كريم، وغير ذلك على نحو ما نجده في قوله:

إنَّ الخِلافةَ لمّا اهتَزَّ مِنبرُها بجَعْفرٍ أُعطيتْ أقصى أمانيها
أبدى التواضعَ لما نالها دعة عنها ونالتْه فاختالتْ به تيها
يا بنَ الأباطيحِ من أرضٍ أباطحُها في ذروةِ المجدِ أعلى من روابيها
ما ضيَّع الله في بدوٍ ولا حضر رعيةً أنتَ بالإحسان راعيها
وأمةً كان قبحُ الجورِ يسخطُها دهراً فأصبح حسنُ العدلِ يرضيها
أعطاكَها اللهُ عنْ حقٍّ رآك لهُ أهْلاً وأنتَ بحقِّ الله تعطيها[3]

[البسيط]

وقد نظم الشاعر قصيدة يمدح فيها المتوكل وبنيه الثلاثة عندما عقد لهم أبوهم ولاية العهد من بعده. وفي ذلك يقول:

---

[1] ضيف: **العصر العباسي الثاني**. ص 274.

[2] البحتري: **ديوانه**. 1/ 16.

[3] البحتري: **ديوانه**. 1/ 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحيـــا الخَليفـــةُ جَعفـــر بفِعالِـــهِ أفعـــالَ آبـــاءٍ لـــه وجـــدودِ
حـــاطَ الرعيـــةَ حـــينَ نـــاط أمورَهـــا بثلاثـــةٍ بكـــروا ولاةَ عهـــودِ
قُـــدّامهم نـــورُ النبـــي وخلفَهـــم هـــديُ الإمـــامِ القـــائمِ المحمـــودِ
لن يجهـــلَ الســـاري المحجـــةَ بعـــدما رُفِعَـــتْ لنـــا مـــنهم بُـــدورُ ســـعودِ
فاســـلمْ أميـــرَ المـــؤمنينَ ولـــم تـــزل مســـتعلياً بالنصـــر والتأييـــدِ[1]

[الكامل]

ونظم الشاعر قصيدة في رثاء المتوكل، زاعماً أنه دافع عنه بنفسه، متهماً ولي العهد (المنتصـــر ابـــن المتوكل) بالمشاركة في الجريمة، وفي هذه القصيدة يقول:

صَـــريعُ تَقاضَـــاهُ السُّـــيُوفُ حُشاشَـــةً يَجُودُ بِهَا وَالمَـــوتُ حُمْـــرٌ أظَـــافِرُهْ
أُدافِـــعُ عَنْـــهُ باليَـــدينِ ولَـــمْ يَكُـــنْ لِيُثْنِي الأعادِي أعزَلُ اللَّيـــلِ حاسِـــرُهْ
ولَو كانَ سَيفي ساعةَ الفَتكِ في يـــدي دَرى الفاتِكُ العَجلانُ كيـــفَ أُســـاوِرُهْ
أكـــانَ ولِـــيُّ العَهـــدِ أضـــمَرَ غَـــدْرَةً فَمِنْ عَجَبٍ أنّ ولِـــيَ العَهـــدَ غـــادِرُهْ
لَـــنِعْمَ الـــدَّمُ المَســـفُوحُ لَيْلَـــةَ جَعْفَـــرٍ هَرَقتُمْ، وَجُنْحُ اللّيلِ سُودٌ دياجِرُهْ[2]

[الطويل]

وفي هذه الأبيات، يشير الشاعر بأصابع الاتهام إلى ابن المتوكل، على أنه شريك في الجريمة، ويظهر تحسره على ما آل إليه المتوكل، زاعماً أنه ما كان ليقصر في الدفاع عنه، لو كان معـــه ســـلاح، ثـــم يتوعد المتآمرين بالهلاك.

وهكذا، نجد أن شعراء الدولة العباسية، أظهروا الصورة المشرقة للخلافة العباسية وللخلفاء العباســيين، وربما أن السبب في ذلك كان، في أن هذه الطائفة من الشعراء قامت بدور الدعاية لهذه الدولة، وكانت بمنزلة الإعلام الرسمي المعروف في عصرنا الحاضر.

---

[1] البحتري: **ديوانه**. 5/1.

[2] المصدر السابق. 1/ 28، 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

صورة الخلافة عند شعراء الشيعة

كان الإمام أبو هاشم بن محمد بن الحنفية قد أوصى بالإمامة من بعده لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ثم تحولت إليه فرقة الكيسانية الشيعية[1]، وتبعتها فرقة أبي هاشم الهاشمية، وأخذ يدير دعوة سرية للقضاء على بني أمية[2].

ولدى قيام الدولة العباسية "كان العلويون يرون العباسيين اغتصبوا دولتهم، إذ كانوا يظنون أن الخراسانيين يعملون من أجلهم، وأن العباسيين صرفوهم عنهم بخبثهم ومكرهم"[3]. وقامت ثورات عدة للعلويين قضى عليها المنصور، فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك. وقد ظل بعض الشعراء يتشيعون للعلويين على الرغم من أن بعضهم لم يجدوا بأساً في أن ينضووا تحت لواء العباسيين. [4]

وقد تراوح تأييد العباسيين للشيعة (أو تعاطفهم معهم)؛ إذ نجد بعض الخلفاء يضيقون عليهم، ويلاحقون شعراءهم على نحو ما كنا نجده عند أبي جعفر المنصور، وبخاصة أن المنصور يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية؛ إذ توطدت أركان الدولة في عهدة واستتب الأمر للعباسيين، ولا سيما أنه نجح في القضاء على المنافسين الحقيقيين له ولأولياء عهده من أبنائه؛ كقضائه على أبي مسلم الخراساني، وتتخلص بذلك من منافس عنيد كانت أطماعه في الخلافة بادية للعيان.

وبعد عهد المنصور وتوالي الخلفاء العباسيين، نجد أن بعضهم كانوا يفرطون في التشيع ويقربون أبناء علي أبي طالب؛ كالخليفة المأمون مثلاً الذي بلغ به التشيع حداً دفعه إلى خلع أخيه المؤتمن عن ولاية العهد وتولية علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، حتى قيل: "إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه، وهو الذي لقبه الرضا، وضرب الدراهم باسمه، وزوّجه ابنته"[5].

---

[1] المذهب الكيساني ينص على إمامة محمد بن الحنفية بعد علي وابنيه الحسن والحسين، ويعتقد أتباع هذا المذهب أن ابن الحنفية لم يمت وأنه هو المهدي المنتظر. ولقد انتهت هذه الطائفة ولم يبق لها أثر. ينظر في ذلك **ديوان السيد الحميري**. ص49.

[2] ضيف، شوقي: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. ص91.

[3] المصدر السابق . ص 92.

[4] ينظر ذلك **في تاريخ الخلفاء**. ص 300 وما بعدها.

[5] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 351.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما ورد في كتاب تاريخ الخلفاء كذلك أن المأمون كان برّاً بأبناء علي بن أبي طالب حتى قيل له: "إنك برّ على أولاد علي بن أبي طالب، والأمر فيك أقدر منك على برهم والأمر فيهم. فقال: إنما فعلت ما فعلت؛ لأن أبا بكر لما ولي الخلافة لم يولِّ أحداً من بني هاشم شيئاً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم ولي علي، فولى عبد الله بن عباس البصرة، وعبيد الله اليمن،... وما ترك أحداً منهم إلاّ ولاه حتى ولّاه شيئاً، فكانت هذه منة في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت"[1].

ويروى عن المأمون أنه كان يقول: "أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب"[2]. وقد كان حلم الخليفة المأمون دافعاً لتطاول بعض الشعراء الشيعة عليه، كـ (دعبل الخزاعي)، على نحو ما سيرد ذكره عند الحديث عن أشعار هذا الشاعر. وتروى قصص عديدة حول حلم المأمون، منها قوله: "ربما أكون في المتوضأ فيشتمني الخُدّام ويفترون علي، ولا يدرون أني أسمع، فأعفو عنهم"[3]. ويذكر أن المأمون سمع يوماً رجلاً يقول: أتظنون أن المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه؛ فما زاد المأمون على أن تبسم وقال لمن حوله: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل؟[4]

ومن أشهر شعرائهم:

أولا: السيد الحميري

السيد لقبه، واسمه "إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، ويكنى أبا هاشم، وأمه امرأة من الأزد، وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور، وهو الذي هجا زيادا وبنيه، ونفاهم عن آل حرب وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك، وعذبه ثم أطلقه معاوية".[5] وهو من غلاة الشيعة، وكان يجهر بتأييده للعباسيين؛ مدح السفاح حين دخل الكوفة[6]، فقال:

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 352.

[2] المصدر السابق. ص 352.

[3] المصدر السابق. ص 365.

[4] المصدر السابق. ص 365.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**. 7/ 248.

[6] ضيف، شوقي: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. ص 92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دونكمـــا يـــا بنـــي هاشـــم فجـــددوا مـــن عهـــدها الطامســـا

دونكمـــا لا عـــلا كعـــب مـــن أمســـى علـــيكم ملكهـــا منافســـا

دونكمـــا فالبســـوا تاجهـــا لا تعـــــدموا مـــــنكم لابســـــا

خلافـــــــةُ الله وســـــــلطانُه وعنصـــر كـــان لكـــم دارســـا

قـــد ساســـها قـــبلَكم ساســـة لـــم يتركـــوا رطبـــا ولا يابســـا

لـــو خيـــر المنبـــر فرســـانه مـــا اختـــار إلا مـــنكم فارســـا

فلســـتُ مـــن أن تملكوهـــا مهـــبط عيســـى مـــنكم آيســـا[1]

[السريع]

وهكذا نجد أن هذا الشاعر يرى أن الخلافة عادت إلى عرينها الأصلي، وأن الحق عـاد إلـى نصابه، ولا يفرق إذن بين العباسيين والعلويين، طالما أنهم جميعاً من آل هاشم. ولا شك في أن الشاعر يغمز بالأمويين حينما قال: (قد ساسها قبلكم ساسة) على نحو ما نجده في البيت الخامس، ويتهمهم بأنهم أفسدوا في الأرض، ولم يتركوا يابساً ولا أخضر. ومن أشعاره في مدح الخليفة المنصور، قوله:

إن الإلـــهَ الـــذي لا شـــيء يشـــبهه أعطـــاكُمُ الملـــكَ للـــدنيا وللـــدين

أعطـــاكُم الله ملكـــاً لا زوالَ لـــه حتّـــى يقـــادَ إلـــيكم صـــاحبُ الصـــينِ

وصـــاحبُ الهنـــدِ مـــأخوذاً برمتِـــه وصاحبُ التركِ محبوساً على هـــون[2]

[البسيط]

فالشاعر يقف في صف العباسيين ويرى أن الخلافة حق لهم، وهي هبة لهم مـن الله لحراسـة الدين وسياسة الدنيا. وقد رأى طه حسين[3] أن أشعار السيد الحميري هذا، لا تعبِّر بالضـرورة عـن مواقفه، ولا عن مواقف الشيعة، إذ يزعم أن هذا المدح نفاق وهو ما يعرف عند الشيعة بالتقية؛ فيمـدح

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ت شاكر هادي شكر. دار الحياة. بيروت. ص258، 259.

[2] المصدر السابق. ص **444**.

[3] حسين، طه: **حديث الأربعاء**. ج2/ ص307.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العباسيين بلسانه ويلعنهم بقلبه، ولكن شوقي ضيف يرى أن موقف الشاعر هذا ربما هو موقف حقيقي لا نفاق فيه ولا تقية، وهو يمثل مذهب الكيسانية الذي وقف في صف العباسيين ضد الحكم الأموي[1].

الأموي[1].

وقد ورد في ديوان السيد الجميري، أن محمد المهدي (ولي عهد المنصور) قد استغل من اسمه ولقبه طريقاً يسلك منها إلى دعوى عريضة، لا يستطيع الشاعر أن يصبر عليها بحال من الأحوال؛ لأنها تصطدم بعقيدته الجديدة في إمامة المنتظر. فقد ادّعى الخليفة أنه المهدي المنتظر الذي بشّر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما لا يتفق مع عقيدة السيد الحميري الإمامية التي كانت إلى ذلك التاريخ تعتقد أن المهدي لم يولد بعد[2]. وأنشد الشاعر في ذلك معرِّضاً:

تَظُنّا أنَّهُ المهديُّ حقاً ... ولم تقع الأمور كما تظنا
ولا والله ما المهديُّ إلاّ ... إمامٌ فضلُه أعلى وأسنى[3]
[الوافر]

وكان السيد الحميري يضطر في بعض الأحيان إلى الاستتار والتخفي من الخليفة المهدي بعد أبياته السابقة، وظلَّ يستغلُّ الفرص للتقرب من الخليفة واتقاء شره، حتى سنحت الفرصة عندما أخذ الخليفة البيعة لولديه موسى، وهارون، فهنَّأه بقوله:

آليتُ لا أمدحُ ذا نائلٍ ... من معشرٍ غيرَ بني هاشمِ
أولتْهُمُ عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمنِّ أبي القاسمِ
فإنها بيضاءُ محمودةٌ ... جزاؤها الشكرُ على العالمِ
جزاؤها حفظ أبي جعفر ... خليفة الرحمن والقائم
وطاعةُ المهديِّ ثم ابنُه ... موسى على ذي الإربَةِ الحازمِ
وللرشيدِ الرابعِ المرتضى ... مفترض من حقه اللازمِ[4]
[السريع]

---

[1] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص311.
[2] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 26.
[3] المصدر السابق. ص 26.
[4] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 406، 407.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات، يصرح الشاعر بأنه قد نذر مديحه من أجل الهاشميين، عباسيين وعلـويين، ويرى أنهم وحدهم أهل لهذا المديح؛ لأن فيه تقرب من الرسول الكريم، من خلال الوفـاء بعهـد آلـه وأقربائه. وإذا كان الأدباء والمؤرخون قد اختلفوا حول الشاعر في كونه علـى مـذهب الكيسـانية أو الإمامية؛ فإنه ينظم شعراً يوضح فيه عقيدته، على نحو ما يقول:

صـــحَّ قـــولي بالإمامـــة ... وتعجلـــت الســـلامةْ
وأزال الله عنـــي، ... إذ تجعفـــرت، الملامـــةْ
قلـــت مـــن بعـــد حســـين ... بعلـــي ذي العلامـــةْ
أصـــبحَ السُّـــجّاد لـــلإ ... ســـلام والـــدين دعامـــةْ
قـــدْ أرانـــي الله أمـــراً ... أســـألُ الله تمامـــهْ
كـــيْ ألاقيـــهِ بـــه فـــي ... وقـــتَ أهـــوالِ القيامـــةْ[1]

[مجزوء الكامل]

وورد في ديوانه أنه كان في البداية يتَّبع المذهب الكيساني، ثم صار إمامياً فيما بعـد. وكـان العباسيون الذين عملوا من أجل دعوتهم سراً، يميلون إلى المذهب الكيساني الذي ينصُّ على أن الإمامة ربما تنتهي بالنصّ إلى قادة حركتها من طريق محمد بن الحنفية، وبخاصة الرضا، وهو من آل محمـد بن الحنفية.[2]

ومن الأشعار التي تبين مذهب السيد الحميري، قوله:

ألا إن الأئمَـــةَ مـــن قُـــريشٍ ... ولاة الحـــقِّ، أربعـــةٌ سَـــواءُ[3]
علـــيٌ والثَّلاثَـــةُ مـــن بَنيـــهِ ... هـــم أسْـــباطُهُ والأوليـــاءُ
فـــأنى فـــي وصـــيته إلـــيهم ... يكـــون الشـــك منـــا والمـــراءُ
بهـــم أوصـــاهُمُ ودعـــا إلـــيهم ... جميـــعُ الخلـــق لـــو سُـــمِع الـــدعاءُ
فســـبطٌ ســـبطُ إيمـــانٍ وحِلْـــمٍ ... وســـبطٌ غَيَّبَتْـــهُ كَـــرْبَلاء
وســـبطٌ لا يـــذوقُ المـــوتَ حتّـــى ... يقـــودَ الخيـــلَ يقـــدُمُها اللـــواءُ[4]

[الوافر]

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 409.

[2] المصدر السابق. ص 15.

[3] هم علي بن أبي طالب، وابناه الحسن والحسين، وابنه محمد بن الحنفية.

[4] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأشعار التي تشير إلى انضوائه تحت لواء الشيعة الكيسانية، قوله في مدح محمد ابن الحنفية، وأنه لم يمت وسيعود لاحقاً:

سميٌّ نبينا لم يبق منهم ... سواه فعنده حصل الرجاءُ[1]
تغيب غيبة من غير موت ... ولا قتل وسار به القضاءُ
وبين الوحش يرعى في رياض ... من الآفاق مرتعها خلاء
فحلَّ فما بها بشر سواه ... بعقوته له عسل وماء
إلى وقتٍ، ومدةُ كل وقت ... وإن طالت عليه لها انقضاءُ[2]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات، يتمثل الشاعر وجهة نظر الشيعة برجعة الإمام، وأن هذا الإمام حي يرزق، ويعيش وحيداً ترعاه الوحش. ثم يمضي في توعد خلفاء بني العباس، وبخاصة أنهم تسموا بالهادي والمهدي، فيقول:

فقل للناصب الهادي ضلالاً ... تقوم وليس عندهم غناءُ
فداءٌ لابن خولة كلِّ نذل ... يطيف به وأنت له فداءُ[3]
كأنا بابنِ خولةَ عن قريبٍ ... وربِّ العرش، يفعل ما يشاءُ
تُشِبِّهُ وجهَهَ قمراً منيراً ... يضيءُ له إذا طلَعَ السناءُ
فلا يَخْفَى على أَحَدٍ بصيرٍ ... وهل بالشمسِ ضاحيةً خَفاءُ[4]

[الوافر]

وفي أغلب شعره نجده يحوم حول موضوعين اثنين؛ إذ يبدأ قصائده بهجاء الأمويين والتعريض بهم، ثم يتخلص إلى مدح الهاشميين، وربّما كان ذلك قاسماً مشتركاً بينه وبين العباسيين

---

[1] المذهب الكيساني يرى رجعة محمد بن الحنفية إلى الدنيا وكان السيد يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان يجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً .

[2] السيد الحميري: **ديوانه** ص 49، 50.

[3] ابن خولة هو محمد بن الحنفية، وخولة هي خولة بنت جعفر الحنفية.

[4] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين كان يطيب لهم مثل هذه الأشعار. ومن الأمثلة على ذلك قصيدته الميمية التي تعد من غرر قصائده، يبدؤها بالتعرض للأمويين والحديث عن ظلمهم، ثم يختمها بمديح الهاشميين، وفيها يقول:

جزعت أمية من ولاية هاشم ... وبكت ومنهم قد بكى الإسلامُ
إن يجزعوا فلقد أتتهم دولة ... وبها تدال عليهم الأيام
ولهم يكون بكل شهر أشهر ... وبكل عام واحد أعوامُ
يا رهط أحمد إنّ من أعطاكم ... ملك الورى، وعطاؤه قسّامُ
ردَّ الوراثة والخلافة فيكم ... وبنو أمية راغمون رغامُ
لَمُتَمِّمٌ لكم الذي أعطاكم ... ولكم لديه زيادة وتمامُ
أنتم بنو عمِّ النبي عليكم ... من ذي الجلال تحية وسلامُ
وورثتموه وكنتم أولى به ... إن الولاء تحوزه الأرحامُ
ما زلت أعرف فضلكم ويحبكم ... قلبي عليه وإنني لغلام[1]

[الكامل]

وكان أبو جعفر المنصور يطرب لهذه القصيدة ويطلب إلى الشاعر إعادتها في كل مناسبة، وهناك قصيدة أخرى، على النمط نفسه، كان لها أثر طيب في نفس الخليفة المنصور، وهذه القصيدة، هي:

فدع هذا، وقل في بني هاشم ... فإنّك بالله تستعصمْ
بني هاشم حبكم قربة ... وحبكم خير ما يعلمْ
بكم فتح الله باب الهدى ... كذاك غدا بكم يختمْ
ألامُ وألقى الأذى فيكم ... ألا لائمي فيكم ألومْ
ومالي ذنب يعدونه ... سوى أنني بكم مغرمْ
وأني بكم وامق ناصح ... وأنّي بحبكم معصمْ
فلا زلت عندكم مرتضى ... كما أنا عندهم متهمْ
جعلت ثنائي ومدحي لكم ... على رغم أنف الذي يرغمْ[2]

[المتقارب]

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 373، 374.

[2] المصدر السابق. ص 375.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: منصور النمري

هو " أبو الفضل أو أبو القاسم منصور بن الزبرقان، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك، وينتهي نسبه إلى بطن النمر بن قاسط، وعليه عرف باسم منصور النمري "[1]. وهو من الشعراء المتشيعين الذين أسرفوا في مدح العباسيين، فمدح الرشيد على نحو نفي الإمامة عن أبناء علي بن أبي طالب وبيان أنها حق خالص للعباسيين، وأنهم (العباسيين) لا يزالون يطوقون رقاب أبناء علي "بالمنن وهم يجحدونها، فيثورون، وكثيراً ما يتلقون ثوراتهم بالعفو على نحو ما صنع الرشيد بيحيى بن عبد الله، فإنه اكتفى بسجنه، ولم يقتله"[2] ويقول الشاعر في ذلك:

يَـدٌ لَـكَ فـي رِقـابِ بَنِـي عَلِـيٍّ ... وَمِـنٌّ لَـيْسَ بِـالمَنِّ اليَسِـيرِ
مَنَنْتَ علـى ابـنِ عَبـدِ اللهِ يَحيَـى ... وكَانَ مِـن الحُتـوفِ علـى شَـفيرِ[3]
فـإنْ شَـكَرُوا فَقَـدْ أنْعَمْـتَ فِـيهِمْ ... وَإلاّ فَالنَّدامَـةُ لِلكَفُـورِ
وَإنْ قَـالُوا: بَنُـو بِنْـتٍ فَحَـقٌّ ... ورُدّوا مـا يُناسِـبُ لِلـذُّكُورِ
وَمَـا لِبَنِـي بَنَـاتٍ مِـنْ تُـراثٍ ... مَـعَ الأعْمَـامِ فِـي وَرَقِ الزَّبُـورِ
بَنِي حَسَـنٍ وَرَهْـطَ بَنِـي حُسـينٍ ... عَلَـيْكُمْ بِالسَّـدادِ مِـنَ الأُمُـورِ[4]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات يشير الشاعر إلى عفو الرشيد عن جماعة من العلويين ثاروا على الرشيد، مشيراً بأن له عليهم يداً عظيمة بهذا العفو. ثم يمضي الشاعر ليشدد النكير على العلويين، منكراً أحقيتهم بالخلافة، مستدلاً على ذلك بقانون المواريث في الشريعة الإسلامية. وفي المعنى نفسه، يمدح الخليفة هارون الرشيد في قصيدة مطلعها:

ما تَنْقَضِي حَسْـرَةٌ مِنِّـي وَلا جَـزَعُ ... إذَا ذَكَرْتُ شَـباباً لَيْسَـض يُـرْتَجَ[5]

[البسيط]

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 15.

[2] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص314.

[3] الحتوف: جمع حتف وهو الموت والهلاك، ويقال لقي فلان حتفه، إذا مات. الشفير: الحرف أو الناحية. ويقصد بذلك أنه أنقذهم بعد أن كانوا على وشك الهلاك.

[4] النمري: **ديوانه**. ص 85، 87.

[5] النمري: ديوانه. ص 95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمضي الشاعر في هذه القصيدة يدافع عن أحقية العباسيين في الخلافة، وأنهم أولى من آل علي الذين هم أبناء البنت، ويرى أن أبناء العمومة أولى وأحق، ثم يمضي الشاعر في ذكر المواقف التي تفضل فيها العباسيون على العلويين، ويقول:

قَدْ كِدْتَ تَقضي على فَوْتِ الشَّبابِ أسَىً ... لَوْلا تَعَزِّيكَ أنَّ العَيْشَ مُنْقَطِعُ
أيُّ امرِئٍ باتَ مِنْ هارُونَ في سَخَطٍ ... فَلَيْسَ بِالصَّلَواتِ الخَمسِ يَنْتَفِعُ
أصْفَضْيتُ وُدِّي لِهارُونٍ وَشِيعَتِهِ ... لَمَّا تَفرَّقَتِ الأحْزابُ وَالشِّيَعُ
تِلْكَ المَنازِلُ إنْ غَبَّتْ زِيارَتُهُ ... حَنَّت كَمَا يَسْتَحِنُّ الوالِهُ النَّزِعُ
يَقْظَانُ لا يَتَعايَا بِالخُطُوبِ إذا ... نابَتْ، وَلا يَعْتَرِيهِ الضِّيقُ وَ الزَّمَعُ
لا يَمْلِكُ البُخْلُ مِنْ هَارُونَ أنْمُلَةً ... وَالجُودُ يَمْلِكُهُ وَالمَالُ يُنْتَزَعُ
رَكْبٌ مِنَ النَّمْرِ عَاذُوا بِابْنِ عَمَّتِهِمْ ... مِنْ هاشِمٍ حِينَ لَجَّ الأزْلَمُ الجَذَعُ
مَنُّوا إلَيْكَ بِقُربى مِنْكَ تَعرِضُهَا ... لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ المَجْدِ مطلَعُ
قَومٌ هُم ولَدوا العباس والدكم ... وأنتَ برٌّ وعند الله مُطَّلَعُ
حُكْمُ الخَلِيفَةِ هَارُونٍ يُذَكِّرُنا ... أحْكَامَ أحْمَدَ بَلْ أخْلاقُهُ جُمَعُ
مَشَابِهٌ مِنْ نَبِيِّ اللهِ تَنْزِعُهُ ... إلى المَحَاسِنِ وَالأشْبَاهُ تُنْتَزَعُ
وَمِنْ إمَامِ الهُدَى المَنْصُورِ يَلْحَقُهُ ... قَهْرُ الأُمُورِ وَحَزمٌ حِينَ يَقتَرِعُ
وَتُشْبِهُ القَائِمَ المَهْدِيَّ مَرْحَمَةٌ ... مِنْهُ وَبَحرُ نَوَالٍ حِينَ يُنْتَجَعُ
يَا بْنَ الأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِ النَبِيِّ وَيَا بْـ ... ـنَ الأوْصِيَاءِ أقَرَّ النَّاسُ أو دَفَعُوا
إنّ الخِلافَةَ كانَتْ إرثَ وَالِدِكُمْ ... مِنْ دُونِ تَيْمٍ وَعَفْوُ اللهِ مُتَّسِعُ
وَمَا لآلِ عَلِيٍّ فِي إمَارَتِكُمْ ... حَقٌّ وَمَا لَهُمُ فِي إرْثِكُمْ طَمَعُ
يَا أيُّهَا النَّاسُ لا تَعْزُبْ عُقُولُكُمُ ... وَلا تُضِفْكُمْ إلى أكْنَافِهَا البِدَعُ
العمُّ أوْلَى مِنْ ابْنِ العَمِّ فَاسْتَمِعُوا ... قَوْلَ النَّصِيحِ فَإنَّ الحَقَّ يُسْتَمَعُ[1]

[البسيط]

وفي هذه الأبيات، يصرح الشاعر بولائه للعباسيين وإخلاصه لدولتهم، وهو يحنُّ إليهم، ويمدح الخليفة (هارون) ويصفه بالكرم، كما لا يفوته مدح غيره من خلفاء بني العباس. ثم يقرر الشاعر أن الخلافة ميراث أبيهم من قبل، وليس لبني علي حق فيها.

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص97، 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد مدح الشاعر الخليفة هارون الرشيد غير مرة، فقال في قصيدة أخرى:

إذا الغَيْثُ أَكْدَى وَاقْشَعَرَّت نُجُومُه ... فَغَيْث أمير المُؤْمِنينَ مَطيرُ
وَما حَلَّ هارونُ الخَليفَةُ بَلْدَةً ... فَأَخْلَفَها غَيْثٌ وَكادض يَضيرُ
إذا عَدَدءتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فَلَيْسَ لِهَارُونَ الإمامِ نَظيرُ
مَنِيعُ الحِمَى لَكِنَّ أَعْنَاقَ مالِهِ ... يَظَلُّ النَّدى يَسْطُو بِها وَيَسورُ
وَقَفْتُ عَلى حَالَيْكُما فَإذا النَّدى ... عَلَيْكَ أَميرَ المُؤمِينَ أميرُ[1]

[الطويل]

والشاعر في هذه الأبيات، يبالغ في مدح الخليفة، فيراه كريماً، حتى يكاد الناس يستغنون عن الغيث بكرمه، وأينما يحل تحل معه البركة والخير، لذلك فإن الشاعر يراه أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. وتبدو المبالغة أشد، عندما يصف الشاعرُ الخليفة بالكرم والمنعة على حد سواء؛ فعلى الرغم من منعته وقوته، إلا أن الكرم يبقى مسيطراً عليه.

ومن الأخبار التي وردت عنه في الأغاني: أنه "صادف دخوله إليه [إلى الرشيد] يوم نوبة مروان على ما سمعه من بيانه وكان مروان يقول قبل قدومه هذا شامي وأنا حجازي أفتراه يكون أشعر مني ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد واستنشد الرشيد منصورا فأنشده:

أميرَ المُؤمِنينَ إلَيْكَ خُضْنَا ... غِمَارَ الهَوْلِ من بَلَدٍ شَطيرِ
بِخُوصٍ كَالأهلَّةِ جَانِفَاتٍ ... تَميلُ على السُّرَى وَعَلى الهَجيرِ[2]
حَمَلْنَ إلَيْكَ آمالاً ثِقالاً ... وَمِثْلَ الصَّخر والدرِّ النَّثيرِ[3]
فَقَدْ وَقَفَ المَديحُ بِمُنْتَهاهُ ... وَغَايَتِهِ وَصارَإلى المَصيرِ
إلى مَن لا يُشِيرُ إلى سِواهُ ... إذا ذُكِرَ النَّدَى كَفُّ المُشيرِ[4]

[الوافر]

فقال مروان وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت[5].

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 95.

[2] الخوص: ورق النخل. السرى: السير ليلاً. الهجير: وقت اشتداد الحر في ومنتصف النهار.

[3] الدر النثير: المنثور.

[4] النمري: **ديوانه**. ص 85، 86.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر الدكتور شوقي ضيف أن هذا الشاعر كان ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته، وباطنه ومراده بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم وآله، له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. لذلك فإن هذا الشاعر لم يكن مخلصاً في مدحه للعباسيين، بل كان يظهر خلاف ما يضمر، إذ كان شيعياً إمامياً[1].

ويؤثر [2]عن الشاعر أنه كان كثير المديح لآل النبي صلى الله عليه وسلم، مع التنديد بالأمويين والعباسيين على نحو ما نراه في لاميته التي مطلعها:

شـاءٌ مِـنَ النَّـاسِ راتِـعٌ هامِـلْ يُعَلِّلُـونَ النُّفُـوسَ بِالباطِـلْ[3]

[المنسرح]

ويمضي في هذه القصيدة يترحم على قتلى أهل البيت فيقول فيهم:

وَيْلَـكَ يـا قاتِـلَ الحُسَـيْنِ لَقَـدْ بُـؤْتَ بِحِمْـلٍ يَنُـوءُ بِالحامِـلْ
نَفْسِي فِـداءُ الحُسَـيْنِ يَـوْمَ غَـدا إلـى المَنَايَـا غُـدُوٍّ لا قافِـلْ
وَعَـاذِلِي أَنَّنِـي أُحِـبُّ بَنِـي أَحْمَـدَ فَـالتُّرْبُ فِـي فَـمِ العـاذِلْ
قَـدْ دِنْـتُ مـا دِينُكُمْ عَلَيْـهِ فَمَـا وَصَـلْتُ مِـنْ دِينِكُمْ إلـى طائِـلْ
دِينُكُمُ جَفْـوَةُ النَّبِـيِّ ومـا الـ جـافِي لآلِ النَّبِـيِّ كَالواصِـلْ[4]

[المنسرح]

وفي هذه الأبيات يعلن الشاعر موقفه الصريح؛ فهو يقف في صف آل النبي صلى الله عليه وسلم، وأقصد بذلك أبناء علي بن أبي طالب، ويخاطب الأمويين والعباسيين على حد سواء، ويرى في الأمويين أنهم قتلة الحسين، في حين يرى أن العباسيين اغتصبوا الخلافة من مستحقيها العلويين. ومن قصائده المتشيعة لآل البيت، قصيدته التي مطلعها:

---

[1] ضيف: **العصر العباسي الأول** ص 316.
[2] المصدر السابق . ص 316-317.
[3] النمري: **ديوانه**. ص 121.
[4] المصدر السابق . ص 122، 123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَتَى يَشْـفيكَ دَمْعُـكَ مِـنْ هُمـولِ ويَبْـرُدُ مـا بِقَلْبِـكَ مِـنْ غَليـلِ[1]

[الوافر]

ويمضي في هذه القصيدة مصوراً مقتل الحسين ورهطه، فيقول:

فَوافَـوا كَـرْبَلاءَ مَـعَ المَنايـا بِمِـرداةٍ مُسَوَّمَةِ الخُيـولِ
فَمَـا بَخِلَـت أكُفُّهُـم بِضَـرْبٍ كأَمثَـالِ المُصـاعِبَةِ البُـزولِ
وَلا وُجِـدَتْ عَلـى الأصْـلابِ مِـنْهُمْ وَلا الأكتـافِ آثَـارُ النُّصـولِ
وَلَكِـنَّ الوجـوه بِهَـا كُلـومٌ وَفَـوْقَ نُحـورِهِمْ مَجـرَى السُّـيولِ
أُريـقَ دَمُ الحُسَـينِ وَلَـمْ يُراعُـوا وَفِـي الأحْيـاءِ أمْـوَاتُ العُقـولِ[2]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات، يخلد الشاعر ذكرى مقتل الحسين ورهطه بكربلاء؛ فيشير إلى أنهم لم يقتلوا هاربين ولا كانوا متقاعسين، بل إنهم قاتلوا ما استطاعوا لذلك سبيلا؛ لذا فـإن فـي وجـوههم آثـار النصول.

ثالثاً: دِعْبِل الخزاعي

هو:" دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي "، شاعر هجّاء، وشعره جيد وكان صـديق البحتري قال عنه ابن خلكان: إنه كان بذيء اللسان مولعاً في الهجاء، وهجا الخلفاء: الرشيد والمـأمون والمعتصم والواثق[3].

وهو من الشعراء الشيعة الذين لمع ذكرهم، وطار صيتهم في ذلك الوقت وقد وردت له أشعار في تصوير الكوارث التي لحقت بالعلويين، ويبكي بكاء خاصاً على الحسين، فيقول:

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 125.
[2] المصدر السابق. ص 126، 127.
[3] الزركلي: **الأعلام**. ج 3/ ص 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَلامَـــكَ فـــي آلِ النبـــيِّ فـــإنّهم أحبّـــايَ مـــا عاشـــوا وأهْـــلُ ثِقـــاتِي
فيا ربِّ زِدنِـــي مـــن يقينـــي بصـــيرةً وَزِدْ حُـــبَّهم يـــا ربِّ فـــي حَسَـــناتي
ألـــمْ تَـــرَ أنَّـــي مِـــنْ ثلاثـــينَ حِجَّـــةً أروحُ وأغـــدُو دَائِـــمَ الحَسَـــرَاتِ
أرى فيـــئَهم فـــي غَيـــرِهِمْ مُتَقسَّـــماً وأيـــديهم مـــن فيـــئهم صَـــفِراتِ
فَلولا الَّذِي أرجُوهُ في اليـومِ أو غَـدٍ تَقطـــعُ قلبـــي إثـــرهم حَسَـــراتِ
خُـــروجُ إمـــامٍ لا مَحالَـــةَ خـــارجٌ يَقُـــومُ علـــى اســـمِ اللهِ وَالبَرَكـــاتِ
يُميِّـــزُ فينـــا كـــل حـــق وباطـــلٍ وَيُجـــزي علـــى النّعمـــاءِ والنقمـــاتِ[1]

[الطويل]

ويرى أبو العلاء المعري أن هذا الشاعر لم يكن صادقاً وإنه كان يريد التكسب به، والمشهور عن دعبل كثرة أشعاره في الهجاء ويرى شوقي ضيف[2] أن الشاعر ينطوي على جحود غريب، حتى ليطعن كلَّ من قدّم له صنيعاً، فقد هجا الرشيد والمأمون، وكان المأمون إذا سمع هجاءه ضحك، وحدث أن هجاه دعبل يوماً قائلاً:

وَيَسُومُني المَـأمونُ خِطَّـةَ عـاجِزٍ أومـا رَأى بـالأمس رأسَ مُحَمَّـدِ[3]
يُوفي على هـامِ الخَلائِـفِ مثلـما تُوفي الجِبـالُ علـى رُؤُوسِ القَـرْدَدِ
لا تَحْسَبَنَ جهلي كحِلـمِ أبـي فمـا حِلـمُ المشـايخِ مِثـلُ جَهْـلِ الأمْـرَدِ
إنّي مِـنَ القَـومِ الـذينَ سُـيوفُهم قتلـتْ أخـاكَ وَشَـرّفَتكَ بِمَقعَـدِ
رَفعُوا محلَّـكَ بَعْـدَ طُـولِ خُمولِـهِ واسْتَنقَذُوكَ مِنَ الحضيضِ الأسْـفَلِ[4]
كَـمْ مِـنْ كَـريمٍ قبلَـهُ وَخليفـةٍ أضحى لَنـا دَمُـهُ لَذيـذَ المقصَـدِ[5]

[الكامل]

---

[1] الخزاعي، دعبل بن علي . **ديوانه**. جمعه الصاحب عمران الجيلي. ط1. دار الكتاب اللبناني . بيروت . ص 42.

[2] ضيف: **العصر العباسي الأول** . ص 321، 322.

[3] محمد هو الأمين الخليفة العباسي. قتله جند المأمون بقيادة طاهر بن الحسين. السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص342.

[4] هذا البيت غير موجود في الديوان، وإنما موجود في الأصفهاني: **الأغاني**. 20/ 144. وعند السيوطي: **تـاريخ الخلفـاء**. ص 369 كان البيت برواية (شادوا بذكرك) بدل (رفعوا محلك).

[5] الخزاعي، دعبل: **ديوانه**. ص 69، 70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ورد في كتاب تاريخ الخلفاء أن المأمون لما سمع الأبيات السابقة لم يزد على أن قال: ما أقل حياء دعبل! متى كنت خاملاً، وقد نشأت في حجر الخلفاء؟ ولم يعاقبه. [1] وقيل للمأمون إن دعبل بن علي قد هجاك فقال وأي عجب في ذاك! هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني أنا، ومن أقدم على جنون أبي عباد، أقدم على حلمي. ثم قال للجلساء من كان منكم يحفظ شعره في أبي عباد فلينشدنيه؛ فأنشده بعضهم

أوْلَـــى الأمـــورِ بِضَـــيعةٍ وَفَســـادِ أمـــــرٌ يُـــدبِّرهُ أبـــو عبّـــادِ [2]

[الكامل]

أما الخليفة العباسي الذي هجاه دعبل هجاء مراً فهو المعتصم. ومن هجائه له، قوله:

وَقـــامَ إمـــامٌ لَـــمْ يَكُـــن ذا هِدايَـــةٍ فَلَـــيْسَ لَـــهُ ديـــنٌ وَلَـــيسَ لَـــهُ لُـــبُّ

وَمَـــا كانَـــتِ الأنبـــاءُ تـــأتي بِمِثلِـــهِ يُمَلَّـــكُ يومـــاً أو تَـــدِينث لَـــهُ العُـــربُ

وَلَكِـــنْ كَمـــا قـــالَ الـــذِينَ تَتـــابَعوا مِنَ السَّلَفِ الماضِينَ إذ عَظُمَ الخَطْـــبُ

مُلُوكُ بَنِي العَبَّاسِ في الكُتُبِ سَـــبْعَةٌ وَلَم تأتِنَا عَـــنْ ثـــامِنٍ لَهُـــمُ الكُتُـــبُ[3]

كَذَلِكَ أهْلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَـــبْعَةٌ خِيـــارٌ إذا عُـــدّوا، وثـــامِنُهم كَلـــبُ

وإنِّي لأُعلِـــي كَلْـــبَهُمْ عَنْـــكَ رِفْعَـــةً لأنَّـــكَ ذُو ذَنْـــبٍ، وَلَـــيْسَ لَـــهُ ذَنْـــبُ

كَأنَّـــــكَ إذ مُلِّكْتَنـــــا لِشَـــــقائِنا عَجوزٌ عليها التّـــاجُ والعِقْـــدُ والإتـــبُ

لَقَدْ ضَاعَ مُلْكُ النّاسِ إذ سَاسَ مُلكَهُمْ وَصَيفٌ، وَأشناسٌ، وَقَد عَظُمَ الكرْبُ[4]

[الطويل]

ويبالغ الشاعر في هجاء المعتصم في هذه الأبيات، فيقارن بينه وبين الكلب، ثم يفضل الكلب عليه، لأن الكلب لا يذنب، والخليفة مذنب، ثم يشبهه بعجوز تلبس لباس الفتيات الصغيرات، ظانة أن ذلك يجعلها جميلة، وهو في الواقع يزيدها قبحاً.

---

[1] المصدر السابق. ص 69، 70.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 20/ 154.

[3] الخلفاء العباسيون على التوالي وحتى المعتصم هم: أبو العباس السفاح، فالمنصور، فالمهدي، فالهـادي، فالرشـيد، فـالأمين، فالمأمون، ثم المعتصم، وبذلك يكون المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين. **وديوان دعبل الخزاعي** : ص103.

[4] وصيف وأشناس قائدان تركيان من قادة المعتصم. السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان شعراء الدولة العباسية، ينتهزون فرصة تولي خليفة جديد للخلافة؛ من أجل رثاء الخليفة المتوفى، ومدح الخليفة الجديد؛ فإن هذا الشاعر كانت له قصة أخرى في مثل هذه المواقف. إذ يروى أنه لما مات المعتصم وخلفه الواثق، جمع الشاعر بين هجاء الميت، وهجاء الخليفة الجديد بقوله:

الحَمْـــدُ للـــهِ لا صَـــبرٌ وَلا جَلَـــدٌ وَلا عَـــزَاءٌ إذا أهـــلُ الـــبلا رَقَـــدُوا

خَليفَةٌ مـــاتَ لَـــمْ يَحْـــزَنْ لَـــهُ أحـــدٌ وَآخـــرٌ قـــامَ لـــم يَفْـــرَحْ بِـــهِ أحَـــدُ

فَمَـــرَّ هـــذا وَمَـــرَّ الشُّـــؤمُ يَتْبَعُـــهُ وقـــامَ هـــذا فَقـــامَ الظُّلْـــمُ وَالنَّكَـــدُ[1]

[البسيط]

وفي هذه الأبيات يجمع الشاعر بين هجاء الحي، وهجاء الميت، وبذلك يكون على نقيض شعراء الدولة العباسية الذين كانوا يعمدون إلى الجمع بين الرثاء والمدح.

ومن أشعاره في هجاء الخلفاء العباسيين أيضاً، قوله:

وسمّوا رشيداً لـــيس فـــيهم لرُشـــدِه وهـــــا ذاك مـــــأمون وذاك أمـــــينُ

فما قُبِلَـــتْ بالرشـــدِ مـــنهم رعايـــةٌ ولا لـــــــولي بالأمانـــــــة ديـــــنُ

رشـــيدُهم غـــاوٍ، وطفـــلاه بعـــده، لهـــــذا رزايـــــا دون ذاك مجـــونُ[2]

[الطويل]

وكتب مرة قصيدة ودفع بها إلى الخليفة المعتصم، يقول فيها:

بغـــــداد دارَ الملـــــوك كانـــــت حتـــــى دهاهـــــا الـــــذي دهاهـــــا

بـــــأبي وأمـــــي ســـــبعةٌ أحببـــــتُهم لله لا لعطيـــــــــــةٍ أُعْطاهـــــــــا

بـــــأبي النبـــــيّ محمـــــد ووصـــــيه والطيبـــــان، وبنتـــــه، وابناهـــــا[3]

[مخلع البسيط]

---

[1] دعبل: **ديوانه**. ص 59.

[2] دعبل: **ديوانه**. ص 152.

[3] المصدر السابق. ص 160، 161.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن شدة ولائه لآل البيت يمضي الشاعر في قصائده، موضحاً أن حبه لآل البيت هو زاده للقاء الله تعالى، وهو بذلك يحتسب أجر ولائه لهم وإخلاصه في حبهم عند الله تعالى، وفي ذلك يقول:

أعـــــدَّ لله يـــــوم يلقـــــاه دعبـــــل أن لا إلـــــه إلا هـــــو
يقولـــــه صـــــادقاً عســـــا بهـــــا يرحمـــــه فـــــي القيامـــــة الله
الله مـــــولاه والنبـــــي ومـــــن بعـــــدهما فالوصـــــي مـــــولاه[1]

[المنسرح]

وقد هال الشاعر أن يرى مقتل الحسين مرفوعاً رأسه على قناة، والناس لا يتحرك لهم ساكن، وفي ذلك يقول:

رَأسُ ابـــنِ بِنْـــتِ مُحمَّـــدٍ وَوَصـــيِّهِ، يـــا للرِّجـــالِ، علـــى قَنـــاةٍ يُرفَـــعُ
والمُسْـــلِمُونَ بِمَنْظَـــرٍ وَبِمَســـمَعٍ لا جـــازِعٌ مِـــنْ ذا وَلا مُتَخَشِّـــعُ[2]

[الكامل]

وهكذا، نجد أن القاسم المشترك لدى شعراء الشيعة، هو مدح آل البيت، ورثاء قتلاهم. ولكن الاختلاف فيما بينهم كان مرده إلى اختلاف مذاهب الشيعة من ناحية، أو اختلاف طبيعة الشاعر من ناحية أخرى؛ فمن ناحية اختلاف مذاهب الشيعة، نجد أن أتباع المذهب الكيساني، لا يجدون غضاضة في تولي بني العباس للخلافة، على أساس أن أبا هاشم عهد إليهم بها، بخلاف أتباع المذاهب الأخرى. أما ما يتعلق بطبيعة الشاعر، فقد كان بعض الشعراء الشيعة يمدحون بني العباس على سبيل التقية (وهو معروف عند الشيعة)، وبالمقابل يضمرون لهم الشر. ومن جهة أخرى نجد بعض شعراء الشيعة كانوا يتجرؤون على هجاء الخلفاء العباسيين ويتطاولون عليهم، على نحو ما وجدناه في شعر (دعبل الخزاعي)، مثلاً.

---

[1] دعبل: **ديوانه**. ص 161.

[2] المصدر السابق. ص 104، 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

صورة الخلافة عند شعراء الزهد

عبد الله بن المبارك:

هو " أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي الخراساني، من أتباع التابعين بخراسان. ولد سنة 118هـ وتوفي سنة 182 هـ ".[1] ونظراً لطبيعة هذا الشاعر الزاهدة المتدينة؛ فإنه، في شعره، لم يمدح الخلفاء ولا الوزراء ولم يتقرب إليهم، وإنما كان شعره في جانب آخر، يختلف كل الاختلاف عن شعراء عصره؛ فكان شعره أداة من أدوات دعوته ورسالته. أما مدائحه، فقد قصرها على شيوخه العلماء مثل أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وكان يتجنب الوقوف بباب الخليفة، وترك عتبات الحكام وأبوابهم للمداحين من أمثال أبي العتاهية، وأبي نواس[2].

ومن مديحه لأبي حنيفة، قوله:

رأيتُ أبا حنيفةَ كلَّ يومٍ ... يزيدُ نبالةً ويزيدُ خيرا
وينطِقُ بالصَّواب ويَصطَفيهِ ... إذا ما قال أهلُ الجور جورا
يقايسُ من يقايسُهُ بلبٍّ ... فمن ذا يجعلونَ لَهُ نظيرا
رأيتُ أبا حنيفةَ، حين يؤتى ... ويُطلَبُ علمُه، بحراً غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعتها ... رجالُ العلم، كانَ بها بَصيرا[3]

[الوافر]

ومن خلال قراءتنا لهذه الأبيات، يتبين لنا أننا أمام لون جديد من المديح، وهو مديح يختلف عما عهدناه عند شعراء الدولة العباسية؛ فالشاعر يمدح ممدوحه بالصفات الدينية؛ كالعلم الواسع، والنظر الثاقب، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقيه.

---

[1] عبد الله بن المبارك. المحتسب عبد المجيد. ط 1. عمان: **من منشورات دار الأوقاف**. 1972. ص 7 وما بعدها.

[2] المصدر السابق. ص 144.

[3] المصدر السابق. ص 158.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مديحه لمالك بن أنس قوله:

يَأبَى الجَـوابَ فَمـا يُراجِـعُ هيبـةً فالسـائِلونَ نـواكسُ الأذقـانِ
هدي الوقارَ وعـزَّ سُـلطانُ التُّقـى فَهُوَ المَهيـبُ، ولـيس ذا سُـلطان[1]
[الكامل]

ولما مات مالك بن أنس رثاه بقوله:

صَموتٌ إذا ما الصمت زيَّـن أهلـه وفتّـاق أبكـار الكـلام المخـتَّم
وعى ما وعى القرآن في كل حكمـة وسيطت لـه الآداب بـاللحم والـدم[2]
[الطويل]

وفي هذين البيتين، يذكر الشاعر مناقب الإمام المرثي، فهو طويل الصمت، في المواطن التي يحسن فيها الصمت، ولم يكن صمته نابعاً عن جهل، ولا عن عدم معرفة؛ ولا غرو في ذلك، ما دام الإمام قد وعى القرآن بما فيه من أحكام.

ولشاعرنا، في الزهد، رسالة أخرى؛ فالزهد عنده لا يتوقف عند العبادات، ولا ينحصر في الاعتكاف في المساجد، بل إن زهده في الدنيا دفعه إلى الفرار منها إلى الآخرة، من خلال الإقامة في مواطن الجهاد، والرباط على الثغور. وهذه، في نظره، هي الزهادة الحقة. وقد وردت عنه أشعار دفعها إلى المتنسكين المعتكفين في المساجد، يبين فيها نهجه في الدين، وفهمه للزهد والتقى والورع؛ فقد أرسل بأبيات شعرية إلى الناسك العابد الفضيل بن عياض يقول فيها:

يا عابـدَ الحـرمينِ لـو أبْصَـرْتَنا لعلمـتَ أنَّـكَ بالعبـادة تلعـبُ
من كانَ يَخضِـبُ جيـدَه بدموعـهِ فَنحورُنـا بِـدمائِنا تَتَخَضَّـبُ
أو كـان يُتْعِـبُ خيلَـه فـي باطـل فخيولُنـا يـومَ الصـبيحةِ تتعـبُ
ولقـد أتـانا مـنْ مَقـال نبيِّكـم قـولٌ صحيـحٌ صـادقٌ لا يكـذبُ

---

[1] عبد الله بن مبارك. المحتسب. ص 145.

[2] المصدر السابق. ص 169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يستوي غبارُ خيلِ اللهِ في أنْفِ امرئٍ، ودخانُ نار تلهبُ

هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت، لا يكذبُ[1]

[الكامل]

ولم يقف زهد الشاعر عند الابتعاد عن أبواب الخلفاء، بل كان يبتعد كذلك عن تقلد الوظائف العليا في الدولة؛ خوفاً من الوقوع في الظلم والآثام، ونراه يوضح نهجه في الحياة، وموقفه من العمل في وظائف الدولة، في أبيات نظمها لما ولي (إسماعيل بن علية) المظالم في بغداد أيام الرشيد؛ فشق هذا الأمر على صاحبنا، وخاطبه قائلاً:

يا جاعلَ الدينِ له بازيا يصيد به أموال المساكينِ

احْتلْتَ للدنيا ولذاتها بحيلة تذهبُ بالدينِ

فصرْتَ مجنوناً بها بعدَما كتبتَ دواءً للمجانينِ

لا تبع الدينَ بالدنيا كما يفعلُ ضُلاّلُ الرهابينِ[2]

[السريع]

أبو العتاهية:

هو " إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي، من قبيلة عنزة بالولاء، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية ". شاعر مكثر سريع الخاطر، في شعره إبداع كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في جلسة واحدة ، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل[3].

وقال عنه الأصفهاني: "غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك، وأكثر شعره في الزهد والأمثال، وكان قوم من أهل عصره

---

[1] عبد الله بن المبارك. المحتسب. ص 153.

[2] المصدر السابق. ص 172.

[3] الزركلي: **معجم الأعلام. 1/ 319.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد"[1].

وشاعرنا الزاهد هذا، لم يكن كل شعره في الزهد؛ فقد بدأ حياته في الكوفة واختلط بالمجان من أمثال الشاعر مطيع بن إياس ووالبة وغيرهما[2]. وقد بدأ حياته الشعرية مادحاً للخلفاء؛ فقد مدح الخليفة المهدي، والهادي، والرشيد. ولعل الخليفة المهدي من أكثر الخلفاء الذين اتصل بهم أبو العتاهية. وتشاء الأقدار أن يعتزل أبو العتاهية مذهبه الأول في الشعر، وما فيه من غزل ومديح للخلفاء، ويتَّجه نحو الزهد وذلك بدءاً من العام (180)هـ، ليكون أحد أبرز شعراء الزهد في العصر العباسي الأول[3].

ولعل أبرز المحطات في المرحلة الأولى من حياته مدحه للخليفة المهدي، وقد رأى الشاعر في هذا الخليفة الأهلية للخلافة حتى أنه يرى أن الخلافة أتته هي ولم يأتها بنفسه، وأنه وحده فقط من يصلح لهذا المنصب، فيقول:

أتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقَادَةً ... إلَيهِ تُجَرِّرُ أذيالَها
ولَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَهُ ... ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلاّ لَها
ولَوْ رَامَها أحَدٌ غَيْرُهُ ... لَزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزَالَها
وإنَّ الخليفَةَ مِنء بُغْضِ لا ... إلَيْهِ لَيُبْغضُ مَنْ قالَها[4]

[المتقارب]

ويمدح الخليفة المهدي، ويصفه بالكرم وفي ذلك يقول:

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 4/ 4.

[2] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 238.

[3] المصدر السابق. ص 240. أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه أحد الأدباء اليسوعيين. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. 1886م. ص 6-8.

[4] أبو العتاهية : **ديوانه**. ص309

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يـــا نـــاقُ خِبّـــي بنـــا ولا تعـــدي نفسَـــكِ ممـــا تـــرَيْنَ راحـــاتِ[1]

حتـــى تُنـــاخي بنـــا إلـــى مَلِـــكٍ توجَّـــــــه اللهُ بالمهابـــــــاتِ

عليـــه تاجـــان فـــوق مفرقـــه تـــاجُ جـــلالٍ وتـــاجُ إخبـــاتِ

يقـــول للـــريح كلمـــا عصـــفتْ هلْ لكِ يـــا ريـــحُ فـــي مبـــاراتي

مَنْ مثلُ من سادَ أعماماً ثـــم مـــنْ أخوالُـــهُ أكـــرمُ الخُـــؤولاتِ[2]

[المنسرح]

وفي هذه الأبيات، يحث الشاعر ناقته؛ لتوصله إلى الخليفة، حيث السخاء والعطاء، ويبالغ في وصفه بالكرم، حين يرى أن الريح لا تقدر على مباراته في ذلك. ومن مديحه فيه كذلك:

أنـــــتَ المُقابِـــــلُ والمُـــــدا بِـــرُ فـــي المناســـبِ والعَديـــدِ

بـــــينَ العُمومَـــــةِ والخُـــــؤو لَـــــةِ والأبـــــوةِ والجُـــــدودِ

فـــإذا انتميْـــتَ إلـــى أبيـــــ كَ فأنـــتَ فـــي المجـــدِ المَشـــيدِ

وإذا انتمـــــى خـــــالٌ فمـــــا خـــــالٌ بـــــأكرمَ مـــــن يزيـــــدِ[3]

[مجزوء الكامل]

وفي هذه الأبيات يمدح الخليفة ذاكراً أصله الطيب. ولا ينسى أن يمدحه بصفات الشجاعة والكرم وفي ذلك يقول:

عَلِـــــمَ العـــــالَمُ أن المَنايَـــــا ســـــامِعاتٌ لَـــكَ فـــيمَن عَصـــاكا

فـــإذا وَجَّهتَهـــا نَحْـــوَ طَـــاغٍ رَجَعَـــتْ تَرْعَـــفُ مِنْـــهُ قَناكَـــا

ولَـــو أنَّ الـــرِّيحَ بارَتْـــكَ يَومـــاً في سَماحٍ قَصُرَتْ عـــن نـــداكا[4]

[المديد]

---

[1] الخبب لون من ألوان سير الجمال.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص310.

[3] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 310 ويزيد هو ابن المنصور الحميري وهو خال الخليفة المهدي.

[4] المصدر السابق. ص311.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات يبالغ الشاعر في وصف الممدوح، حين يرى أن المنايا تخشاه لفرط شجاعته، وأن سرعته في الكرم، كسرعة الريح.

ولما تولى الخليفة موسى الهادي، وكان قد ولد له ولد يوم توليه الخلافة، قال في مدحه:

أكثَــرَ موسَــى غضــيظَ حُسّــادِهِ وزيّـــــنَ الأرضَ بـــــأولادِهِ
وَجاءَنـــا مِـــنْ صُـــلْبِهِ ســـيِّدٌ أصْـــيَدُ فـــي تقطيـــعِ أجـــدادِهِ
كَـــأنني بَعْـــدَ قَليـــلٍ بِـــهِ بَـــيْنَ مَواليـــهِ وقُـــوّادِهِ
فـــي مَحْفِـــلٍ تَخْفِـــقُ راياتُـــهُ قَـــدْ طَبَّـــق الأرضَ بأجنـــادِهِ[1]

[السريع]

وفي هذه الأبيات، يصور الشاعر ما حصل عليه الخليفة من نعم متعددة، بحيث أكثر من غيظ حساده؛ فقد ولي الخلافة، وهي التي ترنو إليها عيون الكثيرين، ثم إن الله رزقه بمولود؛ فاجتمعت لديه فرحتان معاً. وقد اتصل الشاعر بالرشيد ومدحه بكرم الأصل والتفرد في الشجاعة والكرم وفي ذلك يقول:

وَهارُونُ ماءُ المُزْنِ يَشفي مـن الصَّـدى إذا مـا الصَّـديُّ بِـالرِّيق غَصَّـتْ حَنـاجِرُهْ
وَأوْسَـطُ بَيـتٍ فـي قُـريشٍ لَبَيتُـهُ وأوَّلُ عِـزٍّ فـي قـريشٍ وآخـرُهْ
إذا نُكِـبَ الإسـلامُ يَوْمَـاً بِنَكبَـةٍ فَهـارونُ مِـنْ بَـين البَرِيَّـةِ ثـائِرُهْ
وَمَنْ ذا يَفـوتُ المَـوْتَ والمـوتُ مُـدرِكٌ كَـذا لَـمْ يَفُـتْ هـارونَ ضِـدٌّ يُنـافِرُه[2]

[الطويل]

ومن مدحه للخليفة يصوره بأنه الملاذ للشاعر. فلما طال مكث أبي العتاهية في الحبس قال يستعطف الرشيد:

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص309.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 312، 313.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّمَـــا أنْـــتَ رَحْمَـــةٌ وَسَـــلامَهْ زادَكَ اللهُ غِبْطَـــةً وَكرامَـــهْ

قيلَ لِي قَدْ رَضيتَ عنِّـي فَمَـنْ~ لِـي أنْ أرى لي على رِضاكَ علامَـه[1]

[الخفيف]

أما المرحلة الأخرى من حياة الشاعر، فهي في الزهد؛ إذ اعتزل مدح الخلفاء وامتنع عن الاتصال بهم، ولكن ذلك لم يمنعه من أداء رسالته إليهم؛ فهو يرى نفسه ناصحاً أميناً للخلفاء، لا يبخل بنثر حكمه إليهم، على نحو ما نجده في قصيدة له مطلعها:

أيْـــنَ القُـــرُونُ الماضِـــيَهْ تَرَكُـــوا المَنَـــازِلَ خالِيَـــهْ[2]

[مجزوء الكامل]

ويصف في هذه الأبيات دوائر الزمان، مشجعاً الخليفة على ملاقاتها، ومحذراً إياه منها، فيقول:

فاسْـــتَبَدَلَتْ بِهِـــمْ ديَـــا رُهُـــم الرِّيـــاحُ الهَاوِيَـــهْ

وَتَشَـــتَّتْ عَنْهـــا الجمـــو عُ وفارقتهـــا الغاشـــيهْ

فـــإذا محـــلٌّ للوُحـــو شِ وَلِلكِـــلابِ العاوِيَـــهْ

دَرَجُـــوا فَمـــا أبْقَـــتْ صُـــرُو فُ الـــدَّهْرِ مِـــنْهُمْ باقِيَـــهْ

فَلَـــئِنْ عَقَلَـــتَ لِتَبْكِيَـــنَّهُمْ بِعَـــينٍ باكِيَـــهْ

لَـــمْ يَبْـــقَ مِـــنْهُمْ بَعْـــدَهُمْ إلاّ العِظـــامُ البالِيَـــهْ[3]

[مجزوء الكامل]

وفي هذه الأبيات، يصور الشاعر الدنيا على نحو منفر؛ فهي تغدر بالناس، وللزمان دوائر لا تبقي على أحد، ومما لا شك فيه أن طبيعة الشاعر الزاهدة، هي مصدر أفكاره هذه.

وبعد تحذير الخليفة من نوائب الدهر، يمضي الشاعر في توجيه النصح له، فيقول:

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 322.

[2] المصدر السابق. ص 302.

[3] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يـــا عاشِـــقَ الـــدَّارَ الَّتـــي لَيْسَـــتْ لَـــهُ بِمُواتِيَـــهْ
أحْبَبْـــتَ داراً لَـــمْ تَـــزَلْ عَـــنْ نَفْسِـــهَا لَـــكَ ناهِيَـــهْ
أأُخَـــيَّ فـــارْمِ مَحاسِـــنَ الـــدُّ نيـــا بِعَـــيْنٍ قالِيَـــهْ
وَاعْـــصِ الهَـــوى فيمـــا دعـــا كَ لَـــهُ فَبِـــئْسَ الدَّاعِيَـــهْ
أتُـــرَى شَـــبابَكَ عائِـــداً مِـــنْ بَعْـــدِ شَـــيْبِكَ ثانِيَـــهْ
أوْدَى بِجَـــدَّتِكَ البِلَـــى وَأرَى مُنـــاكَ كَمـــا هِيَـــهْ
يـــا دارُ مـــا لِعُقولِنَـــا مَسْـــرُورَةً بِـــكِ راضِـــيَهْ [1]

[مجزوء الكامل]

ولا ينسى الشاعر أن يلفت انتباه الخليفة إلى الطبقة المحرومة وما تعانيه من شظف العيش، وربما كان هذا الشاعر من أوائل الشعراء الذين نبهوا الخلفاء لمثل هذه القضايا الإنسانية إضافة إلى الأمور الدينية، فيقول:

إنِّـــي أرَى الأسْـــعَا رَ أسْـــعَارَ الرَّعِيَّـــةِ غالِيَـــهْ
وَأرَى المَكاسِـــبَ نَـــزْرَةً وَأرَى الضَّـــرُورَةَ غاشِـــيَهْ
وَأرَى غُمُـــومَ الـــدَّهْرِ را ئِحَـــةً تَمُـــرُّ وَغادِيَـــهْ
وَأرَى اليَتـــامَى والأرا مِـــلَ فـــي البُيـــوتِ الخالِيَـــهْ
مِـــنْ بَـــيْنِ رَاجٍ لَـــمْ يَـــزَلْ يَسْـــمُو إلَيْـــكَ وَراجِيَـــهْ
يَشْـــكُونَ مَجْهَـــدَةً بِأصْـــوا تٍ ضِـــعافٍ عالِيَـــهْ
يَرجُـــونَ رِفْـــدَكَ كَـــي يَـــرَوا مِمَّـــا لَقُـــوهُ العافِيَـــهْ
مَـــنْ يُرْتَجـــى لِلنـــاسِ غَيْـــ رَكَ لِلعُيـــونِ الباكِيَـــهْ
مَـــنْ يُرتَجـــى لِـــدِفاعِ كَـــرْ بَ مَلَمَّـــةٍ هِـــيَ مـــا هِيَـــهْ
مَـــنْ لِلبُطُـــونِ الجائِعـــا تِ وَلِلجُســـومِ العارِيَـــهْ
يـــا بـــنَ الخَلائِـــفِ لا فُقِـــدْ تَ ولا عَـــدِمْتَ العافِيَـــهْ
إن الأُصُـــولَ الطَّيِّبـــا تِ لَهـــا فُـــرُوعُ زاكِيَـــهْ [2]

[مجزوء الكامل]

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 303.

[2] المصدر السابق. ص 304.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا، نجد تحولاً قد طرأ على مفهوم المديح عند الشاعر؛ فهو عندما يمدحه بطيب أصله وحسن منبته، فإنه بذلك يحرضه على فعل الخير، على أساس أنه له أهل، ما دام من بيت نبوة. وقد ورد أن الخليفة المأمون، قال لأبي العتاهية يوماً: أنشدني، فقال أبو العتاهية:

أنْســـــاكَ مَحيـــــاكَ المَماتَـــــا فَطَلَبْـــتَ فـــي الـــدُّنيا الثَّباتَـــا
أَوَثِقْـــــتَ بِالـــــدُّنيا وأنْـــــــ تَ تَـــرَى جَماعَتَهـــا شَـــتاتَا
يـــا مَـــنْ رَأى أبَويْـــهِ فيـــــ مَـــن قـــد رَأى كانـــا فَماتَـــا
هَـــلْ فيهِمَـــا لَـــكَ عِبْـــرَةٌ أمْ خِلْـــتَ أنَّ لَـــكَ انْفِلاتَـــا
ومَـــن الـــذي طَلَـــبَ التَّفَـــلُّ تَ مِـــنْ مَنيَّتِـــهِ فَفَاتَـــا[1]

[مجزوء الكامل]

وقد كان تذكر الموت دائماً ينسي الشاعر أفراحه، وراح ينقل هذا الشعور للنـــاس. وورد فـــي ديوانه أن الخليفة الرشيد طلب منه يوماً أن يصف ما هو فيه من نعيم، فقال:

عِـــشْ مـــا بَـــدَا لَـــكَ ســـالِمَاً فـــي ظِـــلِّ شـــاهِقَةِ القُصـــورِ
يُسْـــعَى عَلَيْـــكَ بِمـــا اشْـــتَهَيْـــ تَ لَـــدى الـــرَّواحِ أو البُكـــورِ

[مجزوء الكامل]

فقال له الرشيد: أحسنت، ثم ماذا، فقال:

فـــإذا النُّفُـــوسُ تَقَعْقَعَـــتْ فـــي ظِـــلِّ حَشْـــرَجَةِ الصُّـــدورِ
فَهُنَـــاكَ تَعْلَـــمُ مُوقِنَـــاً مـــا كُنْـــتَ إلا فـــي غُـــرُورِ

[مجزوء الكامل]

فبكى الرشيد. فقال الفضل بن يحيى البرمكي: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته. فقال الرشـــيد: دعه، فإنه قد رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه[2].

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 53.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

صورة الخلافة عند شعراء المجون واللهو والزندقة والشعوبية

أبو نواس:

هو " الحسن بن هانئ، ولد في الأهواز، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم. كان أبو نواس إمام المحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وقال كلثوم العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحد. وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية "[1].

وقد اتصل أبو نواس بخلفاء بني عباس، وبخاصة الأمين، وله فيه مدائح كثيرة، كما نجد لهذا الشاعر أشعاراً في الاستعطاف، نظمها بعد أن سجنه ولاة الأمر على نحو ما سيرد في الصفحات القادمة؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يتهم بالزندقة، وهي تهمة كافية لأن تطير لأجلها الرؤوس، وقد دافع أبو نواس عن نفسه كثيراً، وكاد أن يقتل لأجلها عدة مرات.

وإذا كان الشاعر، قد نجح، نوعاً ما، في دفع تهمة الزندقة عن نفسه، ولو بعد لأي وجهد، فإن معاقرته للخمر، أوضح من أن تحتاج إلى دليل، ويكفي أن يلقي المرء نظرة واحدة إلى ديوانه، ليجد أن أشعار الخمرة أشغلت حيزاً كبيراً من الديوان[2].

وعلى الرغم من ذكر الخمر في كثير من الأشعار الجاهلية والإسلامية، إلا أن عدداً من الباحثين يرون أن أبا نواس إمام هذا الفن، وهو الذي جعل منها موضوعاً مستقلاً بنفسه. يقول الدكتور يوسف خليف: " وشعر أبي نواس في الخمر يحكي قصة الخمر وهو يتحدث عنها منذ أن كانت كرمة أو نخلة، ويصف كيف نمت شجرتها حتى أثمرت، وكيف أخذت ثمرتها وعصرت ثم خمرت وعتقت،

---

[1] الزركلي: **معجم الأعلام**. 2/ 240.

[2] تحتل أشعاره في الخمرة ما لا يقل عن مئة وخمسين صفحة، ولو أضيف إلى ذلك ما قاله في المجون والشعوبية، والغزل بالمذكر لطالت أكثر من ذلك. ينظر ذلك **في ديوان أبي نواس**. ط 1 المطبعة العمومية. القاهرة. 1898م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف مجالس الشراب وكيف تدور الكؤوس على الندماء الملتفين حولها، ويتحدث عن فعل الخمر بهم وكيف تذهب بعقولهم وترعش أيديهم"[1].

ويرى محقق ديوان أبي نواس أن الشاعر اتصل بالعديد من خلفاء بني العباس، وأن له قصصاً مشهورة مع هارون الرشيد خاصة[2]، وأكثر أشعاره مع الخليفة الأمين، وربما كان السبب في نهجه للشعر بهذه الطريقة هو تعرفه إلى الشاعر الماجن والبة بن الحباب. [3]

ومن أشعاره في هارون الرشيد ومدحه له، قوله:

وإلى أبي الأمَنـاءِ هـارُونَ الـذي ... يَحيـا بِصَـوْبِ سَـمائِهِ الحَيـوانُ
مِلكٌ تَصَـوَّرَ فـي القُلـوبِ مِثالُـهُ ... فَكَأَنّـهُ لَـمْ يَخْـلُ مِنْـهُ مكـانُ
هـارُونُ أَلَّفَنـا ائـتِلافَ مَـوَدَّةً ... ماتَـتْ لهـا الأحقـادُ والأضْـغانُ
فـي كـلِّ عـامٍ غَـزْوَةٌ ووِفـادَةٌ ... تَنْبَـتُ بَـيْنَ نواهمـا الأقـرانُ[4]

[الكامل]

وفي هذه الأبيات، نلاحظ الشاعر، قد بالغ كثيراً في مدح الخليفة؛ حين يضفي عليه هالة من القداسة، على نحو قد يقود الشاعر معه إلى الشرك، فالناس يحيون بصوب سماء الخليفة، وهو موجود في كل مكان، وهي من الصفات التي انفرد بها المولى جل وعلا. أما في البيت الثالث، فلا يبتعد عن سابقَيْه؛ إذ يشير إلى أن الخليفة هو سبب المودة بين الناس، وفي هذا المعنى دنوٌّ من الشرك بالنظر إلى الآية الكريمة:

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[5].

---

[1] خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**. ص 63.

[2] يرى ابن منظور أن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط، ولا اتصل به، وإنما دخل على محمد الأمين، وأن الحكايات عن أبي نواس والرشيد موضوعة. ينظر في ذلك: ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه**. ت عمر أبو النصر. 1969م . ص 194

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص 3.

[4] المصدر السابق. ص 59.

[5] سورة الأنفال: الآية (63).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما نظمه في مديح الخليفة محمد الأمين، قوله:

إنَّ الخِلافَـــــةَ لَـــــمْ تَـــــزَلْ تَزْهُـــــو وتَفْخَـــــرُ بـــــالأمينِ
وتحـــــنُّ مِـــــنْ شَـــــوْقٍ إليـــــ ـــــــهِ دائِمـــــــةَ الحنـــــــينِ
بَـــــدرُ الأنـــــامِ مُحَمَّـــــدٌ أخَـــــذَ المكَـــــارِمَ بـــــاليَمينِ
وابـــــنُ الخَلائِـــــفِ والـــــذي سَـــــبَقَتْ بِـــــهِ طيـــــبُ الغُصـــــونِ
جـــــاءَتْ بِـــــهِ ابنَـــــةُ جَعْفَـــــرٍ قمـــــراً جَـــــلا ظُلَـــــمَ الـــــدُّجونِ[1]

[مجزوء الكامل]

وفي هذه الأبيات نجد الشاعر يبالغ في مدح الخليفة حتى أن الخلافة تزهو بالأمين، وما ذلك إلا لأنه يراه أهلاً لها، ثم يمضي بمدحه ومدح أصله الطيب؛ فهو ابن الخلفاء، وأمه ابنة أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي المشهور.

ولعل هذه الأبيات السابقة لم تكن وحدها التي نظمها في الأمين على نحو مبالغ فيه؛ فنجد له أشعاراً أخرى يرى في الأمين وحيد عصره، وأن الملك **لا يليق إلا لمثله، ومن ذلك قوله:**

ألا يـــا خَيْـــرَ مَـــنْ رَأتِ العُيـــونُ نَظيـــرُكَ لا يَحـــسُّ ولا يَكُـــونُ
وَفَضْـــلُكَ لا يُحَـــدُّ ولا يُجـــارَى ولا تَحْـــوي حِيازَتَـــهُ الظُّنُـــونُ
فأنـــتَ نَسـيجُ وحـــدِكَ لا شَـــبيهٌ نحاشـــيهِ عَلَيـــكَ ولا خـــدينُ
خُلِقْـــتَ بـــلا مُشـــاكَلَةٍ لشـــيءٍ فأنـــتَ الفـــوْقُ والـــثَّقَلانِ دونُ
كـــأنَّ المُلْـــكَ لـــم يَـــكُ قَبْـــلُ شـــيئاً إلـــى أنْ قـــامَ بِالمُلْـــكِ الأمـــينُ[2]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات، تظهر المبالغة بأوضح صورها، وبخاصة عندما يصور الممدوح فوق الجميع، ولا شبيه له، وهو متفرد في صفاته، ولإتمام الصورة، يأتي الشاعر بألفاظ المتكلمين؛ من أجل

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 115.

[2] المصدر السابق. ص 116.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقناع الناس، وتحقيق المبالغة في القول، ومن هذه الألفاظ، كلمة (النظير) التي يكثر المتكلمون من استخدامها.

ومن مدحه له أيضاً ما نظمه في ركوب الأمين لحراقاته في نهر دجلة، فهو يصف ذلك بقوله:

سَخَّرَ اللهُ للأمينِ مطايا ... لَمْ تُسَخَّرْ لِصاحِبِ المِحْرَابِ
فَإذا ما رِكابُهُ سِرْنَ بَحراً ... سار في الماء راكِباً ليث غابِ
أسداً باسِطاً ذِراعَيْهِ يعدو ... أهْرَتَ الشَّدق كالِحَ الأنيابِ[1]
بارَكَ اللهُ للأمين وأبقا ... هُ، وأبقَى لَهُ رداءَ الشَّبابِ
ملكٌ تَقْصُرُ المدائح عنه ... هاشميّ موفَّقٌ للصَّوابِ[2]

[الخفيف]

ويروي ابن منظور أن شيخاً أنكر على الشاعر قوله "لم تسخر لصاحب المحراب". فقال له أبو نواس: إن الله لم يسخر لصاحب المحراب الدلفين، وقد سخر له ما هو خير من الدلفين، فأي شيء تنكر من هذا؟[3]

ومن مدحه للأمين كذلك، قوله:

أُهْدي الثَّنَاءَ إلى الأمينِ مُحَمَّدٍ ... ما بعده لتجارةٍ مُتَرَبَّصُ
قد يَنقُصُ القمرُ المُنيرُ إذا استَوَى ... وبهاءُ نُورِ مُحَمَّدٍ لا يَنقُصُ
وإذا بنو العباسِ عُدَّ حصاهمُ ... فَمُحَمَّدٌ ياقوتها المستخلصُ[4]

[الكامل]

وفي هذه الأبيات، يشبه الشاعر الخليفة بالقمر المنير، ثم يفضله على القمر؛ لأن القمر يتبع تمامه نقص، أما الخليفة، فنوره لا ينقص، ولا غرو في ذلك، ما دام الأمين خير ولد المنصور.

---

[1] في هذا البيت يشير إلى سفن الخليفة؛ حيث كان بعضها في صورة الأسد، وأهرت: واسع الشدقين.
[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 116.
[3] ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره**. ص 104.
[4] أبو نواس: ديوانه. ص 113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويروي ابن منظور أن الأمين لما سمع أبياته هذه، أراد إعناته، فقال له: ما تركت لي شيئاً من ثنائك بعد قولك في الفضل بن الربيع:

أوْحَـــــدَهُ اللهُ فمـــــا مِثْلُـــــهُ لِطالـــــــــبٍ ذاك ولا ناشِـــــــــدِ

لـــــيسَ علـــــى اللهِ بِمُســـــتَنْكَرٍ أن يَجْمَـــعَ العـــالمَ فـــي واحِـــدِ[1]

[السريع]

فجعلته واحد الناس، وجعلت العالم كلهم فيه، ثم تقول في آل **الربيع:**

آلَ الربيـــــــــعِ فَضَـــــــــلتُم فضـــلَ الخمـــيسِ علـــى العَشـــيرِ[2]

[مجزوء الكامل]

فقال: يا سيدي قد سبق من قولي في أمير المؤمنين، ما لو استحضرته الآن اكتفيت بـــه مـــن عذري، فقال له الأمين: وأيّ شيء؟ قال: قولي:

إذا نحـــن أثنينـــا عليـــك بصـــالحٍ فأنت كما نثني، وفـــوق الـــذي نثنـــي

وإن جـــرت الألفـــاظُ يومـــاً بمدحـــةٍ لغيرك إنساناً، فأنـــت الـــذي نعنـــي[3]

[الطويل]

وهكذا تمكن أبو نواس من الخروج من هذا المأزق، فبعد أن فضل آل الربيع على الناس كلهم، لم يبق أمامه سوى القول: إنه إن مدح إنساناً فإنما هو مديح للأمين.

وهكذا يتبين أن المبالغة سمة بارزة في مديح أبي نواس، سواء كان الممدوح خليفـــة أو غيـــره من الناس، وهو بلا شك يحتال بأسلوبه في هذا المديح الذي يهدف من ورائه إلى كسب الجـــوائز مـــن ناحية، والتستر على مجونه ومعاقرته للخمر من ناحية أخرى.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 113.

[2] الخميس هو الخمس، والعشير هو العشر. ويقال الخميس الجيش الكثير العدة والعدد والعشير القبيلة .

[3] ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره**. ص 109، 110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما لا شك فيه أن اتصاله بالأمين، وعلى الرغم مما فيه من مدائح، كان وصمة عار للأمين ولنهجه في الخلافة؛ إذ أنكر كثير من العباسيين على الأمين منادمة شاعر ماجن فاسق كأبي نواس، ويروي ابن منظور أنه لما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون، كان ذو الرياستين، يخطب بمساوئ الأمين، وقد أعدَّ رجلاً يحفظ شعر أبي نواس، فيقوم بين يديه، فيقول: ومن جلسائه رجل ماجن كافر مستهزئٌ متهكم يقول كذا وكذا، وينشد قوله:

ألا فاسقِني خَمْراً وقل لي: هيَ الخَمْرُ ولا تسقني سِرّاً إذا أمْكَنَ الجَهرُ[1]

[الطويل]

ويقول:

يا أحمدَ المُرتَجَى في كل نائبةٍ قُم سَيِّدي نعصِ جبار السَّماواتِ[2]

[البسيط]

فجزع الأمين لذلك، وأمر بقتله ولما حضر قال له الأمين: ألست القائل: يا أحمد... إلى آخر البيت، فقال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: كافر، ثم قال للفقهاء ما تقولون يا معشر الفقهاء؟ فقالوا: كفر يا أمير المؤمنين. فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين، إذا كانوا قالوا هذا بعقولهم فما أنقصها! وإن كانوا قالوه بآرائهم فما أجهلهم! أيكون زنديقاً مقرٌ بأن للسماوات جباراً. فقال الأمين: لا والله، ولقد صدقت. وقيل إنه قال: يا أمير المؤمنين، اجمع كل زنديق في الأرض، فإن زعموا أن في السماوات إلهاً واحداً فاضرب عنقي، ولكنني صحبت قوماً جهالاً لا يعرفون المزح من الجد، وأنا يا أمير المؤمنين الذي يقول:

قد كنتُ خفتُك، ثم أمَّنني من أن أخافَكَ خوفُكَ اللهَ[3]

[الكامل]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 273.

[2] المصدر السابق. ص 250.

[3] ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره**. ص 125-127.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي يقف فيها أبو نواس موقف المتهم؛ إذ يروي ابن منظور أن الأمين علم أن أبا نواس يشرب الخمر "فأمر به فحبس ثلاثة أشهر، ثم دعا به وحوله بنو هاشم، وغيرهم، ودعا بالنطع والسيف وأراد قتله، فأنشأ يقول"[1]:

تذَكَّرْ أمينَ اللهِ- والعهدُ يُذْكَرُ- مقامي، وإنشادِيكَ، والنّاسُ حُضَّرُ
وَنَثْرِي عليكَ الدُّرَّ يا درَّ هاشمٍ فيا مَنْ رأى دُرًّا على الدُّرِّ يُنْثَرُ
أبوكَ الذي لَمْ يَملِكِ الأرضَ مِثْلُهُ وعمُّكَ موسى الصفوةُ المتخَيَّرُ
وَجَدُّكَ مَهدِيّ الهُدى وشَقيقُهُ أبو أُمِّكَ الأدنى، أبو الفضل جَعْفَرُ
ومن قبلُ مَنْصورَيْكَ: مَنصُورِ هاشِمٍ وَمَنْصُورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مفخرُ[2]

[الطويل]

وهكذا أخذ الشاعر يستل الغضب من قلب الخليفة من خلال مدحه ومدح آبائه وأجداده، ثم يواصل مديح الخليفة بقوله:

تَحَسَّنَتِ الدنيا بوَجهِ خليفةٍ هو البدرُ، إلاّ أنَّهُ الدَّهرَ مُقمرُ
إمامٌ يَسوسُ المُلْكَ تسعين حجَّةً عليه له منه رِداءٌ وَمِئْزَرُ[3]

[الطويل]

ثم يختم القصيدة باستعطاف الخليفة بقوله:

أيا خَيْرَ مَأمُولٍ يُرَجَّى: أنا امرؤٌ أسيرٌ رهينٌ في سُجونِكَ مُقبَرُ
مضتْ لي شُهورٌ -مذ حُبِستُ- ثلاثةٌ كأنيَ قد أذْنَبْتُ ما لَيْسَ يُغْفَرُ
فإن كُنتُ لَمْ أذْنِب، فَفيمَ حَبَستَنِي؟ وإن كنتُ ذا ذَنبٍ فَعَفْوُكَ أكبرُ[4]

[الطويل]

---

[1] ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره**. ص 107.
[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 106.
[3] المصدر السابق . ص 106.
[4] المصدر السابق . ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات يبدع الشاعر في استعطاف الخليفة، على نحو يدفعه إلى العفو عنه، إن كان مذنباً أو غير مذنب؛ فإن لم يذنب، فلِمَ يُحْبَس؟ وإن كان مذنباً، فإنه يرجو عفو الخليفة، وهو بذلك يخاطب في الخليفة كرمه ومروءته، ومما لا شك فيه أن مثل هذا الخطاب، ترق له قلوب الخلفاء، الذين يطربهم سماع هذه الألفاظ. ويروي ابن منظور أن الخليفة خلى سبيله[1]. وقد ظل أبو نواس ملازماً للأمين حتى وفاته، وقد رثاه لما مات بقوله:

طوى الموتُ ما بيني وبَينَ مُحمّدٍ ... وَليسَ لَما تطْوي المنيّةُ ناشِرُ

فلا وَصْلَ إلا عَبرَةٌ تَستَديمُها ... أحاديثُ نفسٍ ما لها الدَّهرَ ذارِرُ

وَكُنتُ عَليهِ أحْذَرُ الموت وحدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لي شيءٌ عليه أُحاذِرُ

لئِن عمُرَتْ دُورٌ بِمَنْ لا أودُّهُ ... فَقَد عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المَقابِرُ[2]

[الطويل]

ويبدع الشاعر في رثاء الأمين، وبخاصة أن العلاقة التي تربطهما كانت وثيقة؛ فيذكر الشاعر أن الموت فرَّق بينه وبين الخليفة، وقد أبدى الشاعر استسلامه للقضاء والقدر، عندما صرح بأنه كان سابقاً، لا يخشى سوى الموت، أما الآن فلا يخشاه، لأنه أخذ منه أعز أحبابه. ثم يشير الشاعر إلى آثار ذلك، فيرى أن الديار (وهي التي تكون عامرة عادة) صارت خربة؛ لأن الخليفة لم يعد فيها. في حين أن القبور (وهي دار الخراب) صارت عامرة لوجود الخليفة فيها. والشاعر بذلك، يربط العمران بوجود الخليفة، فأينما حل فإن العمران يحل معه.

ولعل الوجه الأبرز الذي غلب على طبع أبي نواس وعلى نهجه في الشعر خمرياته، فقد كان مولعاً بذكر الخمرة، وقد أشرنا إلى حجم ما قاله في هذا الموضوع في الصفحات الماضية. ومما لا شكَّ فيه أن تناول الموضوع بهذا الحجم يعكس ما للخمر من موقع في نفس الشاعر، وهي أشعار تعبر عن شخصية أبي نواس، على الأقل في الفترة التي قالها.

ومما قاله في الخمريات، قصيدته التي مطلعها:

---

[1] ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره**. ص 108.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فـإنَّ اللَّـوْمَ إغْـرَاءُ وَداوِني بـالَّتي كانَـتْ هـيَ الـدَّاءُ[1]

[البسيط]

وفي هذه القصيدة يتغنى أبو نواس في الخمرة، ويطنب في ذكرها وأثرها، فيقول:

صَفراءُ لا تَنْزلُ الأحـزانُ سَـاحتَها لَـوْ مَسَّـها حَجَـرٌ مَسَّـتهُ سَـرّاءُ
قامَـتْ بإبْريقهـا وَاللَّيـلُ مُعتَكـرٌ فَلاحَ مِـنْ وَجهِهَـا فـي البَيْـتِ لألاءُ
فأرْسَلَتْ مِنْ فَـمِ الإبْريـق صـافِيَةً كَأنَّمـا أخْـذُها بِـالعَينِ إغْفـاءُ
رَقَّتْ عَنِ الماءِ حَتَّـى مـا يُلائمُهَـا لَطافَـةً وَجَفَـا عَـنْ شَـكْلِها المـاءُ
فَلَوْ مَزَجْـتَ بِهـا نُـوراً لَمازَجَهـا حَتَّـى تَوَلَّـدَ أنْـوَارٌ وأضْـواءُ[2]

[البسيط]

مطيع بن إياس:

هو " مطيع بن إياس الكناني، ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بـن كنانة. وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر والديل وليث أخوان لأب وأم "[3].

ونظراً لأن الشاعر هذا، شأنه شأن شعراء المجون، لا تهمـه الخلافـة ولا الأمـور الدينيـة الأخرى، وجل اهتمامه منصب على اللذة والمتعة؛ لذا لا غرابة في أن نجد جارية اسمها جـوهر قـد ملكت عليه لبه، حتى صار يراها أحق بالخلافة من المهدي، فيقول فيها:

وَجَـوهَرُ دُرَّةُ الغَـوَّا ص مَـنْ يَمْلِكُهَـا يُحْبَـرْ
لَهَـا ثَغْـرٌ حكَـى الـدُّرُّ وَعَيْنَـا رَشَـأٍ أحـوَرَ
ألا يـا جَـوْهَرَ القَلـبِ لَقَـدْ زِدتِ عَلَـى الجَـوْهَرْ
وَلا وَاللهِ مـا المَهْـدِيُّ أوْلَـى مِنْـكَ بِـالمَنْبَر
فَمَـا عِشْـتِ ففـي كَفَّيـ كِ خَلْـعُ ابـنِ أبِـي جَعْفَـرْ[4]

[مجزوء الوافر]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 234.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 234.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 300.

[4] غرونباوم: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد استعراض صورة الخلافة عند شعراء اللهو والمجون، يتبين أن هذه الطائفة من الشعراء، انشغلت بالبحث عن اللهو واللذة، وأطلقت العنان لشهواتها، وقد رأينا كيف أن شاعراً كبيراً مثل أبي نواس، قد أفسح مكاناً لا بأس به من ديوانه في مدح الخلفاء العباسيين، وبخاصة الأمين؛ إلا أن جل ديوانه كان يمثل مذهبه اللاهي والعابث؛ حيث الخمرة والمجون. وربما كان السبب وراء وجود مديح للخلفاء عند هذا الشاعر، هو الحاجة إلى نيل جوائز الخليفة وأعطياته، من ناحية. والحاجة إلى توفير غطاء آمن للشاعر للتمويه على فجوره وعبثه، وبخاصة أن اتصال هذا الشاعر كان مع الخليفة الأمين المشهور عنه ميله الشديد إلى العبث.

على أن أبا نواس، لم يكن يمثل شعراء هذه الطائفة جميعاً، فقد رأينا شاعراً آخر، وهو (مطيع بن إياس) الذي خصص شعره كله للعبث، حتى وجدناه يرى أن جاريته أحق بمنبر الخلافة من الخليفة.

وهكذا، نظر شعراء اللهو والمجون إلى الخلافة بالقدر الذي يحقق أهدافهم، ويشبع حاجاتهم وشهواتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في صورة الخلافة

المبحث الأول: العوامل الدينية والفكرية

المبحث الثاني: العوامل السياسية

المبحث الثالث: العوامل الاجتماعية والاقتصادية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

العوامل الدينية والفكرية المؤثرة في صورة الخلافة

المطلب الأول: الخلافة عند أهل السنة والجماعة

وردت كلمة الخلافة، ومشتقاتها في آيات عدة في القرآن الكريم؛ فقد وردت كلمة (خليفة) مرتين: مرة في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [1]. ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه استخلف آدم لعمارة الأرض والسكن فيها. ويرى الطبري أن هذه الآية تعني أن الله تعالى " إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها" [2]. ويرى ابن كثير أن خليفة هنا تعني "قوماً يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل"[3]. أما السيوطي فيرى معنى آخر إذ يقول: "يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم"[4].

ومرة أخرى في قوله تعالى: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ) [5].وفي هذه الآية يبين الله أن المقصود بالخليفة هنا، الحاكم والسلطان، ويقول السيوطي إنه خليفة يدبر أمر الناس[6]. أما الطبري، فيقول: "وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها"[7]. وهو المعنى ذاته

---

[1] سورة البقرة: آية (30)

[2] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 1/ 232.

[3] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. 1/ 104.

[4] السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**. ط1. دار الحديث.القاهرة. 7.

[5] سورة ص: آية (26).

[6] السيوطي: **تفسير الجلالين**. ص 601.

[7] الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 10/ 575.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يشير إليه ابن كثير في قوله: "هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى"[1].

وهكذا نجد أن الخليفة في هاتين الآيتين، كانت بمعنى السكن في الأرض وعمارتها، وبمعنى الحكم والسلطان. وورد في آيات أخرى كلمة (خلفاء)، وكلمة (خلائف) للدلالة على جمع خليفة، ومن الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ: (وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[2]. ويفسر الطبري كلمة خلفاء، هنا بقوله: "واذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم لما أهلكهم أبدلكم منهم"[3].

ويرى الشوكاني أن المقصود بالآية: "أنه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح : أي جعلهم سكان الأرض التي كانوا فيها أو جعلهم ملوكا"[4]. وبذلك يقرر الشوكاني المعنى ذاته الذي قال به الطبري، ويضيف معنى آخر وهو الملك والسلطان.

أما كلمة (خلائف)، فقد وردت مرات عدة في القرآن الكريم. ومن المواطن التي وردت فيها، قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [5]. وقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) [6]. وبالنظر في كتب التفسير نجد أن القرآن الكريم قد جمع (خليفة) على خلفاء، وخلائف، من دون أن يظهر فرق بين هذين الجمعين[7].

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. 4/ 43.

[2] سورة الأعراف: آية (69).

[3] الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 5/ 523.

[4] الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. 2/ 317.

[5] سورة الأنعام: آية (165).

[6] سورة يونس: (14).

[7] الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية** من علم التفسير. 2/ 272.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقوم النظرة الشرعية للسلطان على أساس أن الملك لله يؤتيه من يشاء. وفي ذلك يقول تعالى: (وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ)[1]. وقد استعمل القرآن الكريم اللفظ (أولو الأمر) للدلالة على الحاكم والسلطان. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا)[2].

وقد ورد في القرآن الكريم آيات دالة على واجبات ولي الأمر وحقوقه. فمن حق ولي الأمر وجوب الطاعة له، يقول تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[3].

ومن واجب ولي الأمر الرأفة بالرعية والإحسان إليهم. يقول تعالى: (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)[4]. وقوله تعالى: (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[5]. وقد فصّل الفقهاء حقوق الإمام وواجباته، مستدلين على ما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، ومن حقوق الإمام[6]:

أولاً: حق الطاعة: لقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ

---

[1] سورة البقرة: آية (247).

[2] سورة النساء: آية (83).

[3] سورة النساء: آية (59).

[4] سورة الحجر: آية (88).

[5] سورة الشعراء: آية (215).

[6] ينظر في ذلك: القاسمي، ظافر: **نظام الحكم في التشريع والتاريخ الإسلامي** (الحياة الدستورية). ط2. ص358، 359.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [1]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المـرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[2].

ثانياً: الحق الثاني: بذل النصيحة له سراً وعلانية، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[3].

ثالثاً: القيام بنصرتهم باطناً وظاهراً.

رابعاً: أن يعرف له عظيم حقه.

خامساً: إيقاظه من غفلته.

سادساً: تحذيره من عدو يتربص به.

سابعاً: إعلامه بسير عماله الذين هو مطالب بهم.

ثامناً: إعانته على ما تحمّله من أعباء مصالح الأمة[4].

ويقتضي حق الإمام في الطاعة أنه لا يجوز البيعة لأكثر من إمام، ولا يجوز لأحد أن يـدعي الإمامة بوجود إمام تمت بيعته، يقول عليه السلام: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"[5].

ومن واجبات ولي الأمر:

أولاً: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة.

ثانياً: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين.

---

[1] سورة النساء: آية (59).

[2] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المختصر**. تحقيق مصطفى ديب البغا. ط3. دار ابن كثير. بيروت. 1987م. 6/ 2612.

[3] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج: **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1/ 74

[4] للاستزادة في ذلك ينظر: ابن جماعة: **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**. ص 359. طبعة أوروبا.

[5] مسلم: **صحيح مسلم**: 3/ 1480.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: حماية البيضة، والذب عن الحوزة.

رابعاً: إقامة الحدود لصيانة محارم الله.

خامساً: تحصين الثغور[1].

ويتحدث ابن خلدون عن وجوب الإمامة وشروطها، مشيراً إلى أن اختلافاً حول ذلك قد حدث؛ فيعقد فصلاً في مقدمته بعنوان "فصل في اختلاف الأمة في حكم الخلافة وشروطها". ويقرر ابن خلدون أن "نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه من الشرع بإجماع الصحابة؛ لأن أصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ وتسليم النظر إليه في أمورهم"[2]. وقد رفض ابن خلدون آراء جماعات أخرى أفتت بغير ذلك، ومنهم المعتزلة وبعض الخوارج، ويشير إلى أن "الواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء أحكام الشرع. فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى، لم يحتج إلى إمام ولا يجب نصبه"[3]. ويرفض ابن خلدون آراءهم قائلاً: "وهؤلاء محجوجون بالإجماع. والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا، لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنهي على أهله"[4]. ويمضي ابن خلدون قائلاً: "واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته، ولا حظر القيام به وإنما ذم المفاسد الناشئة عنه"[5]. ويرى ابن خلدون أن هذا المنصب من فروض الكفاية[6].

وقد أوردت كتب الفقه شروط الإمامة، ومما جاء فيها أنهم اتفقوا على أن الإمام يشترط فيه[7]:

أولاً: أن يكون مسلما ليراعي مصلحة الإسلام والمسلمين فلا تصح تولية كافر على المسلمين.

ثانياً: أن يكون مكلفاً ليلي أمر الناس.

---

[1] القاسمي، ظافر: **نظام الحكم في التشريع والتاريخ الإسلامي** (الحياة الدستورية). ط2. ص 352، 3536.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ت حامد أحمد الطاهر. ص 244.

[3] المصدر السابق. ص 245.

[4] المصدر السابق. ص 245.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ت حامد أحمد الطاهر. ص 245.

[6] المصدر السابق. ص 246.

[7] الجزيري، عبد الرحمن: **الفقه على المذاهب الأربعة**. 5/ 197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: أن يكون حرا ليفرغ للخدمة .

رابعاً: أن يكون الإمام ذكرا ليتفرغ ويتمكن من مخالطة الرجال.

خامساً: أن يكون قرشياً.

سادساً: أن يكون عدلاً.

سابعاً: أن يكون عالما مجتهدا ليعرف الأحكام ويتفقه في الدين.

ثامناً: أن يكون شجاعا وهي قوة القلب عند البأس.

تاسعاً: أن يكون ذا رأي صائب حتى يتمكن من سياسة الرعية وتدبير المصالح الدنيوية

عاشراً: أن يكون سليم السمع والبصر.

أما ابن خلدون، فيقول: "وأما شروط هذا المنصب، فأربعة: العلم، والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل. واختلفوا في الشرط الخامس وهو النسب القرشي"[1]. ويمضي ابن خلدون موضحاً حقيقة الخلاف في الشرط الخامس، فيقول[2]: وأما النسب القرشي، فلإجماع الصحابة يوم السقيفة، واحتجت قريش على الأنصار لما قالوا منا أمير ومنكم أمير بقول الرسول عليه السلام: "الأئمة من قريش"[3]. ويذكر ابن خلدون أن من أسباب اشتباه المحققين في وجوب هذا الشرط أنه ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم، ويرى أن من القائلين بنفي القرشية الباقلاني[4].

وبالنظر في التاريخ الإسلامي نجد أن هناك ألقاباً عدة للخلافة كلها مرادفة لهذا المعنى، ومنها: الأمير، وأمير المؤمنين، والإمام، وخليفة رسول الله[5]، ولم يرض أبو بكر أن يلقب بخليفة الله لأن الخلافة

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 246.

[2] المصدر السابق. ص 247.

[3] أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. مؤسسة قرطبة. القاهرة. 3/ 129.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 247، 248.

[5] القاسمي: **نظام الحكم في التشريع والتاريخ الإسلامي**. ص 368–370.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون للغائب، فهو خليفة رسول الله ولما جاء عمر لقب بخليفة خليفة رسول الله فاستطالها، ويروي الطبري ذلك قائلاً: "لما ولي عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر رضي الله عنه هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين"[1].

المطلب الثاني: الخلافة عند الجماعات والفرق الإسلامية الأخرى

أولاً: الخلافة عند الشيعة

يعرف ابن خلدون الشيعة بقوله: "اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعاً ــ متفقين عليه ــ أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله، ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر"[2].

ويمضي ابن خلدون[3] موضحاً أن الشيعة ترى أن النبي عليه السلام عين علياً رضي الله عنه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع، ويشير إلى أن هذه النصوص [حسب رأي الشيعة] منها ما هو جلي، كقول الرسول عليه الصلاة والسلام "من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه"[4]. ومنها ما هو خفي كما حدث عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر، ليتلو على موسم الحجيج سورة براءة، ثم بعث بها علياً بعد أن أوحي إليه ليبلغه رجل منك أو من قومك. ويشير ابن خلدون ان الشيعة ترى في ذلك "أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره"[5].

---

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 2/ 569.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 250، 251

[3] المصدر السابق. ص 251

[4] الإمام احمد: **مسند الإمام أحمد**. 1/ 118. مؤسسة قرطبة. القاهرة.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 251

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويضيف ابن خلدون أن الشيعة اختلفت في مساق الخلافة بعد علي؛ "فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص، واحداً بعد واحد... وهؤلاء يسمون الإمامية"[1]. أما طوائفهم الأخرى: فالزيدية تشترط تشترط أن يكون الإمام في ولد فاطمة بالاختيار، والكيسانية تسوق الإمامة بعد علي وابنيه السبطين إلى محمد بن الحنفية، والرافضة يرفضون إمامة الشيخين، وللشيعة طوائف غالية متشددة أخرى؛ فمنها من يؤله الإمام، ومنها الواقفية التي تقف عند واحد من الأئمة لا تتجاوزه إلى غيره، وغير ذلك من الطوائف التي بلغ عددها حداً كبيراً بما لا يدع مجالاً للإحاطة به[2]، وسنحاول التعريف بأبرز فرقهم. فرقهم. وقد كان شعراؤهم في بداية الأمر يقفون إلى جانب الخلفاء العباسيين، على نحو ما نجده عند شاعرهم سُدَيْف بن عبد الله الذي اشتهر بتحريض السفاح على الثأر من الأمويين، حتى دعاهم إلى مأدبة غداء، وقف سديف قائلاً"

جرِّد السَّيفَ وارفَع العفو حتى لا تَرى فَوق ظَهرِها أمويّا
لا يغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ إنَّ تحت الضُّلُوعِ داءً دويّا[3]
[الخفيف]

وقد اختلفت، فيما بعد مواقف شعراء الشيعة باختلاف مذاهبهم، على نحو ما سيتم تفصيله.

الإمامية:

"الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين تمسكوا بحق علي في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وقالوا باثني عشر إماماً"[4]. ومن معتقداتهم: [5]

(5)

الإمامة: وتكون بالنص إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف.

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 252.

[2] المصدر السابق. ص 252، 253.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 4/ 343.

[4] **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ص 299. ط 2. مكتبة مكتبة
مسجد نور شمس.

[5] المصدر السابق. ص 301-302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العصمة: وتعني أن كل الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

العلم: كل إمام من الأئمة أودع العلم من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم.

الغيبة: ويرون أن الإمام قد غاب في سردابه وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى.

ولهم معتقدات أخرى كالرجعة، والتقية، والمتعة، ووجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة. وتعود جذور هذه المعتقدات إلى يوم الجمل ومنهم من يرد أصل هذه الفرقة إلى مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]. أما عن موقفهم من الإمامة، فيرى المسعودي أن أهل الإمامة انفردوا من "أن الإمامة لا تكون إلا نصاً من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك، وفي سائر الأعصار، لا تخلو الناس من حجة لله ظاهراً أو باطناً"[2].

ومن أدلتهم على ذلك، قوله تعالى مخاطباً إبراهيم: (إِنِّيَ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)[3]. ويرى

ويرى شوقي ضيف أن الإمامية بفرقهم المختلفة لم يكونوا يشهرون السيوف في وجه العباسيين، بل إنهم جعلوا مبدأ التقية أساساً لنحلهم المختلفة[4]، على نحو ما نجده عند شاعرهم منصور النمري، الذي الذي كان يمدح الخليفة العباسي الرشيد ويشدد النكير على أبناء علي بن أبي طالب، وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

يَـدٌ لَـكَ فـي رِقـابِ بَنِـي عَلِـيٍّ ... وَمَـنٌّ لَـيْسَ بِـالمَنِّ اليَسِـيرِ
مَنَنْتَ علـى ابْـنِ عَبْـدِ اللهِ يَحيـى ... وكَـانَ مِـنَ الحُتُـوفِ علـى شَـفيرِ
فَـإِنْ شَـكَرُوا فَقَـدْ أَنْعَمْـتَ فِـيهِمْ ... وإلاّ فَالنَّدامَـةُ لِلكَفُـورِ
وَإِنْ قَـالُوا: بَنُـو بِنْـتٍ فَحـقٌّ ... وَرُدّوا مـا يُنَاسِـبُ لِلـذُّكُورِ
وَمَـا لِبَنِـي بَنَـاتٍ مِـنْ تُـراثٍ ... مَـعَ الأَعْمَـامِ فـي وَرَقِ الزَبُـورِ
بَنِي حَسَـنٍ ورَهْـطُ بَنِـي حُسَـينٍ ... عَلَـيْكُمْ بِالسَّـدادِ مِـنَ الأُمُـورِ [5]

[الوافر]

---

[1] **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. ص 303.

[2] المصدر السابق. ص 299.

[3] سورة البقرة: آية 124.

[4] ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**. ص 308.

[5] النمري: **ديوانه**. ص 85، 87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والناظر في هذه القصيدة يظن أنها لأحد شعراء الدولة العباسية، ولا يتبادر إلى ذهنه البتة أنها لأحد شعراء الشيعة الإمامية. ونرى هذا الشاعر في مواطن أخرى يرثي قتلى آل البيت على نحو ما يقول:

ويلكَ يا قاتلَ الحُسَيْنِ لَقَدْ ... بُؤتَ بِحِمْلٍ يَنُوءُ بالحامِلْ
نَفْسِي فِداءُ الحُسَيْنِ يَوْمَ غَدا ... إلى المَنَايَا غُدُوَّ لا قافِلْ
وَعاذِلِي أَنَّنِي أُحِبُّ بَنِي ... أحْمَدَ فَالتُّرْبُ في فَمِ العاذِلْ
قَدْ دِنْتُ ما دِينُكُمْ عَلَيْهِ فَمَا ... وَصَلْتُ مِنْ دِينِكُمْ إلى طائِلْ
دِينُكُم جَفْوَةُ النَّبِيِّ وَمَا الـ ... ـجافِي لآلِ النَّبِيِّ كالوَاصِلْ[1]

[المنسرح]

والتناقض الذي نجده عند هذا الشاعر لا يمكن تفسيره إلا في ضوء مبدأ التقية المعروف عند الشيعة الإمامية، وإلا كيف يهجو الشاعر العلويين في موطن، ثم يترحم عليهم في موطن آخر؟ ويرى شوقي ضيف أن الشاعر الإمامي الوحيد الذي جاهر بموقفه من العباسيين، هو دعبل الخزاعي[2]، فقد اشتهر هذا الشاعر بهجائه للخلفاء العباسيين، فلما سمع بموت الإمام الرضا وأنه دفن بالقرب من هارون الرشيد، أنشأ يقول:

اربَعْ بطوسٍ على قبر الزكي بها ... إن كنتَ تربعُ من دينٍ على وطرِ[3]
قبرانِ في طوسَ: خيرُ الناسِ كلهم ... وقبرُ شرِّهم، هذا من العبرِ
ما ينفعُ الرجسَ من قبر الزكي، ولا ... على الزكيِّ بقربِ الرجسِ من ضررِ
هيهاتَ، كلُّ امرئٍ رهنٌ بما كسبتْ ... له يداهُ، فخُذْ ما شئتَ، أو فذرِ[4]

[البسيط]

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 122، 123.
[2] ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**. ص 308.
[3] اربع معناها قف وانتظر.
[4] دعبل الخزاعي: **ديوانه**. ص 198.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشاعر في هذه الأبيات يرى أن من العبر أن يجتمع قبر خير الناس، ويقصد الإمام الرضا، وقبر شر الناس، ويقصد هارون الرشيد، في مكان واحد، ثم يستدرك موضحاً أن هذا الأمر لن يفيد الخليفة الرشيد ولن يضر الإمام، طالما أن كل إنسان رهن بما كسبت يداه، وربما استوحى الشاعر هذه الفكرة من قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [1] وقصيدة الشاعر في هجاء المعتصم أشهر من أن تذكر[2].

الكيسانية:

وهو مذهب من مذاهب الشيعة، ويعرف به صاحب موسوعة الفرق والأديان والأحزاب والحركات الإسلامية بقوله إنهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومن مبادئهم القول بإمامة محمد بن الحنفية على الرغم من اختلافهم في سبب إمامته[3]. ويشير البغدادي في كتابه الملل والنحل أن " الإمامة صارت إلى ابن الحنفية بوصية أخيه الحسين إليه، قبل خروجه إلى الكوفة. وكان ولد الحسين يومئذ صغاراً، فلذلك أوصى إلى أخيه، وهؤلاء جاهلون بتلك الوصية، فليس فيها ذكر عهد إليه، وإنما أوصى إليه في ماله وولده وصدقة يتصدق بها عنه"[4]. ويذكر أيضاً: أن الكيسانية اختلفت "بعد موته: فمنهم من زعم أنه في جبل رضوى، وأنه حي لم يمت، وهو المهدي المنتظر،وإنما عوقب بالحبس هناك"[5].

ومن الأشعار التي تمثل هذا المذهب، أشعار السيد الحميري، حيث كان يجهر بتأييد العباسيين، ومن ذلك قوله:

---

[1] سورة المدثر: آية (38).

[2] ورد ذكر هذه الأبيات في الفصل الأول ص 52.

[3] الحفني، عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية**. ط 2. مكتبة مدبولي. 1999. 536.

[4] البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي: **الملل والنحل**. قدم له وحققه ألبير نصري نادر. دار المشرق. بيروت. ص 48.

[5] المسعودي: **مروج الذهب**. ص565.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دونكمـــا يـــا بنـــي هاشـــم فجـــددوا مـــن عهـــدها الطامســـا

دونكمـــا لا عـــلا كعـــب مـــن أمســـى علـــيكم ملكهـــا منافســـا

دونكمـــا فالبســـوا تاجهـــا لا تعـــدموا مـــنكم لابســـا

خلافـــةُ الله وســـلطانُه وعنصـــر كـــان لكـــم دارســـا

قـــد ساســـها قـــبلَكم ساســـة لـــم يتركـــوا رطبـــا ولا يابســـا

لـــو خيِّـــر المنبـــر فرســـانه مـــا اختـــار إلا مـــنكم فارســـا

فلســـتُ مـــن أن تَملِكوهـــا مَهـــبَطُ عيســـى مِـــنكُم آيســـا[1]

[السريع]

وفي هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح الهاشميين من عباسيين وعلويين دون تخصيص، ويـرى أن الخلافة عادت إلى عرينها الأصيل.

طوائف أخرى من الشيعة: (الزيدية، الرافضة، والمرجئة).

وتعد **الزيدية** أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة، حيث تتصف بالاعتـدال والقصـد والبعد عن التطرف والغلو، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين. وقاد ثـورة شيعية ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، وقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلـوا عنه لما علموا أنه لا يتبرأ من الشيخين: أبي بكر وعمر ولا يلعنهما[2]. ويذكر المسعودي أن الزيديـة سميت بهذا الاسم؛ لأن أتباعها خرجوا مع زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضـي الله عنهم، ويذكر كذلك أن الزيدية انقسمت إلى ثماني فرق[3].

وعن مذهبهم في الإمامة يذكر الحفني أن الإمامة عندهم "تجوز لأي فاطمي (يعني مـن ولـد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم)، وهما: الحسن والحسين بشرط أن يكون عالماً وشجاعاً وسخياً

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ص258، 259.

[2] **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ط 2 مكتبة مسجد نور شمس. ص257.

[3] البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي: **الملل والنحل**. قدم له وحققه ألبير نصري نادر. ص 48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يخرج بالإمامة، وعندئذ تجب له الطاعة. وقالوا: يجوز خروج إمامين في قطرين مختلفين في وقت واحد طالما أنهما يستجمعان شروط الإمامة"[1].

أما **الرافضة**، فهم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، أو انهم الغلاة في حب علي بن أبي طالب، وبغض أبي بكر وعثمان وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان. وعن سبب تسميتهم بالرافضة، هو أنه لما خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك، فأراد أنصاره الطعن في أبي بكر، فمنعهم، فتركوه وانصرفوا عنه فقال لهم: رفضتموني؟ فبقي اسم الرافضة عليهم[2].

ويرى أحمد أمين أن أدب الرافضة والزيدية قليل لأن مذهبهم لا ينتج شعراً كمذهب الاعتزال أو الكلام[3]، وجل ما وجدته عن هذه الفئة، ما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين من أشعار لشاعر يدعى يدعى " معدان الأعمى " يصف هاتين الفئتين بقوله:

والذي طفف الجدار من الذعر قد بات قاسم الأنفال

فغدا خامعا بوجه هشيم وبساق كعود طلح بالِ [4]

[الخفيف]

أما **المرجئة**، فهم الذين يجيزون عفو الله حتى مع عدم التوبة، وهم على نقيض من الخوارج الذين يكفرون صاحب الكبيرة، ويعدونه كافراً. ومن الأمثلة على شعراء المرجئة ما ذكره الأصفهاني عن " فضل الرقاشي "، وقال: إن الرقاشي عارض أبا دلف **لما قال:**

ناوليني الرمح قد طا لَ عن الحرب جمامي

مرَّ لي شهران مذ لم أرمِ قوماً بسهامي [5]

[مجزوء الرمل]

---

[1] الحفني، عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية**. ص367.

[2] المصدر السابق. ص 356.

[3] أمين: **ضحى الإسلام** 3/ 327.

[4] الجاحظ: **البيان والتبيين**. 1/ 426.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**. 16/ 262.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال:

جنبيني الدرع قد طا عن القصف جمامي
واكسري المِطرد والبيض وائتني بالحسام
واقذفي في لجة البحـ ر بقوسي وسهامي
وبترسي وبرمحي وبسرجي ولجامي [1]

[مجزوء الرمل]

ثانياً: الخلافة عند المعتزلة

يعد المعتزلة من أبرز أصحاب الكلام الذين ظهروا في العصر العباسي، وبخصوص نشأتهم يرى أحمد أمين أنه لما اختلفت الأمة، في وقت الحسن البصري، فيمن يكثر من الكبائر من الأمة؛ "فزعمت الأزارقة من الخوارج أنه مشرك كافر، وقالت الأباضية منهم أنه موحد كافر وليس بمشرك. وزعمت البكرية أنه منافق. وقال الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين أنه مؤمن بتوحيده ومعرفته بربه، وتصديقه لكتب ربه ورسوله، فاسق بكبيرته؛ فخرج واصل بن عطاء عن أقوال الأمة في هذا الأصل، وزعم أنه فاسق، لا مؤمن، ولا كافر، وجعل الفاسق في منزلة بين المنزلتين... فلما رأى الحسن خلاف واصل على الأمة، طرده عن مجلسه، فاعتزل إلى سارية من سواري المسجد، وأظهر بدعته عندها"[2].

وقد ظهر علم الكلام نتيجة للتقدم العلمي ورقي الحياة العقلية في العصر العباسي. ويعرفه ابن خلدون بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات، عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[3]. وقد اضطلع أصحاب هذا العلم، وجلهم من المعتزلة بالرد على المنحرفين، إذ يرى أحمد أمين أن "الذين تصدوا للرد على الملحدين هم معتزلة ذلك العصر أمثال واصل بن عطاء، وأبي هذيل العلاف،

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني** 16/ 262.

[2] أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1997م. 1/ 83.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. تحقيق حامد أحمد الطاهر. ص 551.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبشر بن المعتمر، وإبراهيم النظام؛ فهؤلاء أخذوا يستعرضون ما تقوله الزنادقة ويناقشونهم ويـــردون عليهم، ويلزمونهم الحجة"[1].

وذكر الجاحظ أن بشار بن برد كان يدين بالرجعة، ويكفر الأمة؛ فانبرى إليه شاعر المعتزلـــة (صفوان الأنصاري)، حيث رد على بشار بقوله:

زعمتَ بـــأن النـــارَ أكـــرمُ عنصـــراً وفي الأرضِ تحيا بالحجـــارةِ والزَّنـــدِ
ويُخلـــقُ فـــي أرحامهـــا وأرومهـــا أعاجيبُ لا تُحْصى بخـــطٍّ، ولا عَقْـــدِ[2]
وفي القعر من لُـــجِّ البحـــار منـــافعٌ من اللؤلؤ المكنونِ والعنبـــرِ الـــوردِ[3]

[الطويل]

ولم تخل جهود المعتزلة في الدفاع عن العقيدة والتوحيد من شوائب كثيرة جعلتهم من أصحاب البدع، ومن أشهر البدع التي استحدثها المعتزلة القول بخلق القرآن، تلك البدعة التي كـــادت أن تفتـــك بالأمة، لولا أن تنبه لها الخليفة المتوكل ــ كما مرَّ معنا في الفصل السابق ــ وأبطل القول بها، ومنـــذ ذلك الحين أفل نجم المعتزلة.

ويتحدث ابن خلدون عن بدعة خلق القرآن فيقول: "لما كثرت العلوم والصنائع وولـــع النـــاس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء، وألف المتكلمون في التنزيه؛ حدثت بدعة المعتزلة، فقضـــوا بنفـــي صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة والحياة... وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصـــر، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس؛ فقضوا بخلق القرآن"[4].

وقد وجدت هذه البدعة (خلق القرآن) آذاناً صاغية لدى بعض خلفاء بني العبـــاس، وحـــاولوا فرضها على المجتمع المسلم. ويذكر ابن كثير "أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلـــة،

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. 179/1.

[2] العقد: الحساب ويقصد به العدّ.

[3] الورد: الأحمر. الجاحظ: **البيان والتبيين**. 1/ 29.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ص 558، 559.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل قال البهيقي ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف [1].

ويعرف عبد المنعم الحفني المعتزلة بقوله: "ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، وبالعدلية، وأصول مذهبهم هي التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن خالفهم في التوحيد سموه مشركاً، ومن خالفهم في الصفات سموه مشبهاً، ومن خالفهم في الوعيد سموه مرجئاً، ومن اكتملت له وتحققت فيه هذه الأصول الخمسة فهو المعتزلي حقاً"[2].

ويفسر المسعودي، مبادئ المعتزلة فيرى أن المقصود بالتوحيد أن الله عز وجل لا كالأشياء، وأنه ليس بجسم ولا عَرَض[3]. أما العدل فالمقصود به "أن الله لا يحب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما أمروا به، ونُهُوا عنه، بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره"[4]. والمقصود بالوعيد أن الله "لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة"[5]. والمقصود بالمنزلة بين المنزلتين أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقاً. كما قالوا بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6].

أما موقف المعتزلة من الإمامة، فيذكر المسعودي أن المعتزلة تذهب إلى أن الإمامة "اختيار من الأمة، وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه ولا رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولا اجتمع المسلمون عندهم على رجل بعينه، وإن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة، تختار رجلاً منها ينفذ فيها أحكامه، سواء أكان قرشياً، أو غيره من أهل ملة الإسلام وأهل العدالة والإيمان"[7]. ومن الأدلة

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 331

[2] الحفني، عبد المنعم:. ص 589.

[3] المسعودي: **مروج الذهب**. ص 563.

[4] المصدر السابق. ص 564.

[5] المصدر السابق. ص 564.

[6] المصدر السابق. ص 564.

[7] المصدر السابق. ص 565.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي ساقوها على ذلك، قول الله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ) [1]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع"[2].

وعليه، فإن شعراء المعتزلة لما مدحوا الخلفاء العباسيين، حرصوا على إظهارهم بصورة الخلفاء الحريصين على مصالح الأمة، وفي ذلك يقول العتّابي:

إمام له كف تضم بنانها عصا الدين ممنوع من البري عودها

وعين محيطٌ بالبرية طرْفُها سواء عليه قربها وبعيدها[3]

[الطويل]

ويرى الدكتور أحمد أمين أن المعتزلة أساؤوا فهم الدين عندما "أصبح علماء الكلام والمذاهب الدينية، ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال الفلسفة اليونانية، وذلك إن كان فيه مران عقلي وتوسيع لبعض مناحي الفكر؛ ففيه إضعاف لقوة الروح وحماسة القلب... فكلهم استخدموا الأدلة اليونانية في العقائد الدينية، وهي غير الطريقة التي نحاها القرآن الكريم في الدعوة إلى الدين، لقد كادوا بعملهم هذا يقطعون الصلة بين العقل والقلب"[4]. ويضيف أمين قائلاً: "وكان كلما تعمق المسلمون في العلوم والفلسفة، نظروا إلى القرآن الكريم من خلالها، فإذا أتت آية في الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل إليه علمهم في الظواهر الجوية. وإذا أتت آية في النجوم والسماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة... وإذا أتت مسألة نحوية أفاضوا في الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين. وعلى الجملة، فقد كدسوا كل ما عرفوا من علوم حول الآيات القرآنية، وتضخم ذلك على توالي الأزمان، كما ترى بعد في تفسير الفخر الرازي؛ ففيه كل شيء وصل إليه المسلمون إلا شيئاً واحداً، هو شرح روح القرآن"[5].

---

[1] سورة الحجرات: آية 13

[2] الحديث في مسند الإمام أحمد "اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل" الإمام أحمد، أبو عبد الله الشيباني: **مسند الإمام أحمد**. مؤسسة قرطبة. القاهرة. 4/ 70.

[3] الجاحظ: **البيان والتبيين**. 1/ 410.

[4] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 385.

[5] المصدر السابق. 1/ 387.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأشعار التي تمثل وجهة نظر المعتزلة، وموقفهم الوسط بين الخوارج والمرجئة، يقول أحد أقطاب المعتزلة، وهو بشر بن المعتمر:

لسنا من الرافضة الغلاة ولا من المرجئة الحفاةِ

لا مفرطين بل نرى الصديقا مقدَّماً والمرتضى الفاروقا[1]

[الرجز]

من أجل ذلك نجد ابن خلدون يشكر أصحاب علم الكلام، والمعتزلة على جهودهم في محاربة المرتدين والملحدين بالحجة والبيان، ولكنه في الوقت نفسه يرى أن هذا العلم قد استنفد أغراضه، ولم يعد لتعلمه حاجة، وفي ذلك يقول: "وعلى الجملة، فينبغي أن تعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري، لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شانهم فيما دونوا وكتبوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا"[2].

ويلاحظ أن الفقهاء شددوا النكير على أتباع هذا المذهب، إذ يذكر ابن كثير أن الشافعي يقول "لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه بعلم الكلام"[3].

ثالثاً: صورة الخلافة عند أهل الزهد والتصوف:

على الرغم من وجود موجة المجون والزندقة في العصر العباسي، إلا أننا لا نعدم حركة للتدين، يظهر رجالاتها في المجتمع، وإن كانت هذه الحركة الدينية الزاهدة لا تقل شهرة عن نقيضتها؛ ولكن ارتباط بعض الشعراء، ومنهم المشهورون، بالمجون، أوهم الناس أن الطابع العام للدولة العباسية هو طابع المجون والفساد. ويستعرض أحمد أمين ظاهرة الورع والتدين هذه، موضحاً انتشارها في ذلك العصر بقوله: "يقابل حركة الزندقة والشك هذه، حركة إيمان صادق من جانب آخر. وإذا كنا نريد أن نفهم جوانب الحياة في هذا العصر، وجب علينا أن نصور جانب الإيمان كما صورنا جانب الزندقة.

---

[1] الموسوعة الشعرية.

[2] ابن خلدون: **المقدمة**. ص 561.

[3] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يظهر لي أن جانب الإيمان في ذلك العصر كان الأعم الأشهر، والزندقة ــ بمعنى الشك والإلحاد ــ كانت حظ قليل من المفكرين، إذا قيس بالعدد العديد من المؤمنين"[1].

ويمضي أحمد أمين موضحاً سبب اشتهار الزندقة بهذا الشكل والتوهم بأنها طابع عام بقوله: "والزندقة ليست إلا شذوذاً في اتجاه التيار العام. والذي زاد في عدد الزنادقة، أنهم أطلقوا الكلمة على المجان والمستهترين، ولو لم يصل الشك في الدين إلى نفوسهم، وإن شئت فقل: إنهم لم يفكروا في الدين تفكيراً إيجابياً ولا سلبياً، وإن كثيرين حشروا مع الزنادقة سياسة لا ديناً"[2]. وعليه، فقد ظهرت حركات للتدين، في العصر العباسي، تمثلت في مظهرين، هما: الزهد، والتصوف.

ويرى عبد الستار السيد متولي أن الزهد نزعة قديمة قدم الإنسان نفسه؛ فقد وجدت في الأديان السماوية وغير السماوية، فهي نزعة فطرية لا ترتبط بدين معين، ولا بأمة خاصة؛ ففي الجاهلية ظهرت هذه النزعة في أقوال الحكماء من الشيوخ، وترددت على ألسنة بعض الشعراء في أثناء قصائدهم، وكانت تتميز بالسطحية وعدم العمق في الفكرة[3].

أما في العصر الأموي؛ فإن حوادث معينة قد شجعت هذه النزعة وعملت على بلورتها؛ ذلك أنه حصلت في ذلك العصر فتن وأحداث جعلت البعض يفضل الاعتكاف في بيته عن المشاركة في هذه الأحداث؛ فظهرت بذور الزهد الأولى في العصر الأموي نتيجة ما سبق وبفضل مجالس الوعظ[4].

والمقصود بالزهد: "الإعراض عن الدنيا ومتاعها وطيباتها، والاكتفاء بما يقيم الأود من الطعام الخشن والعيش الخشن. وذلك انطلاقاً من استحقار هذه الدنيا وملذاتها، وتذكيراً لحقيقة الموت، وما بعدها، وحقيقة الآخرة وما فيها من حساب وعقاب"[5].

وفي العصر الأموي وما قبله، لم يظهر شعراء اختصوا بالقول في الزهد فقط، وإن كانت هناك نماذج لأشعار زاهدة. ولكن "ما إن بدأ القرن الثاني الهجري، إلا وتطور هذا الفن من الشعر، فأصبح

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. 1 / 176.

[2] المصدر السابق. 1 / 176.

[3] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي، نشأته وأشهر رجاله**. 1984 . ص9.

[4] المرجع السابق. ص9.

[5] جامعة القدس المفتوحة: نصوص شعرية (2).. ط 1. 1993. ص 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

له خصائصه ومقوماته، وله ميدانه الذي يقوم على التعبير عنه، وذلك الميدان هو الحياة الروحية التي تميزت عن الحياة الروحية في المجتمع الإسلامي في النصف الثاني من القرن الهجري الأول[1].

ومن الأمثلة على ما نظمه الشعراء في موضوع الزهد في هذا العصر، ما روي عن الخليل ابن أحمد الفراهيدي، إذ رفض عرضاً للخليفة الأموي (سليمان بن عبد الملك) لتعليم أبنائه، مضحياً بما يمكن أن يجنيه لقاء ذلك من صلات وجوائز، ويخلد هذا الموقف بقوله:

أبلغ سُليمان أني عَنهُ في سِعة ... وفي غِنى غيرَ أني لستُ ذا مالِ
سخي بنفسيَ أنّي لا أرى أحداً ... يموتُ هزْلاً، ولا يبقى على حالِ
الرزقُ عن قدرٍ لا الضعفُ ينقُصُه ... ولا يزيدُكَ فيه حولُ مُحْتالِ
إنْ كان ضنٌّ سليمانَ بنائلِه ... فاللهُ أكرمُ مسؤولٍ لسُؤّالِ
والفقرُ في النفسِ لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المالِ[2]

[البسيط]

وقد عرف هذا النمط من التدين من خلال أعلام كانوا المثل الأعلى فيه، وضربوا أروع الأمثلة في التقشف والبعد عن الدنيا وملذاتها. وأمثلة هؤلاء الرجال عصية على الحصر، ويكفي أن نذكر بعض من أوردهم أحمد أمين، إذ يقول: "اشتهر جماعة كثيرة في ذلك، وكانوا المثل الأعلى في الإيمان، أمثال عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وداود الطائي، والفضيل بن عياض، تقرأ ترجمتهم، فتتبين فيهم ورعاً وتقوى، وإيماناً صادقاً، وهروباً من الاتصال بوال أو أمير، ورفض أي منصب يعرضه عليهم العباسيون"[3].

ويذكر الدكتور شوقي ضيف قصص الزهاد الذين كانوا يفدون على الخلفاء لوعظهم. وفي ذلك يقول: "وكان من الوعاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء على نحو ما هو معروف عن عمرو بن عبيد في وعظه للمنصور، وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي، وابن السماك في وعظه لهارون الرشيد"[4].

---

[1] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص10.

[2] **الموسوعة الشعرية.**

[3] أمين: **ضحى الإسلام**. 1 / 177.

[4] ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 84. ط 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أورد السيوطي حادثة في وعظ السماك للرشيد؛ إذ "روى أن السماك دخل على الرشيد يوماً، فاستسقى، فأتي بكوز، فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين، لو مُنِعْتَ هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال اشرب هنَّأك الله تعالى، فلما شربها قال: أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع ملكي، قال: إن ملكاً قيمته شربة ماء وبولة لجدير ألا ينافَس فيه، فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً"[1].

ويورد المسعودي حادثة جرت بين الخليفة العباسي المهدي، وبين أحد الزهاد، وهو سفيان الثوري، يوضح خلالها، ما اتصف به الثوري من جرأة في الحق، وزهد في المال والمنصب، فيقول: "قال القعقاع بن الحكيم: كنت عند المهدي، وأتى سفيان الثوري، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة، ولم يسلم تسليم الخلافة، والربيع قائم على رأسه، متكئ على سيفه يرقب أمره، فأقبل المهدي بوجه طلق وقال له: يا سفيان تفر منا ههنا وههنا، وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم فيَّ، يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن أضرب عنقه، فقال له: اسكت ويلك، ما يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم، اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة، على ألاّ يعترض عليه في حكم، فكتب عهده ودفعه إليه، فأخذه وخرج، ورمى به في الدجلة، وهرب. فطلب في كل بلد فلم يوجد"[2].

وفي العصر العباسي الثاني نجد هذه الظاهرة تترسخ وتتجذر، حتى غدا الزهد تياراً أكثر شيوعاً مما كان عليه من قبل، ويذكر شوقي ضيف واحداً من هؤلاء الزهاد، وهو إبراهيم بن إسحاق الحربي، وعنه يقول: إنه "أفنى من عمره ثلاثين سنة لا يأكل إلا رغيفاً واحداً في اليوم والليلة، إن جاءته به زوجته أو إحدى بناته أكله، وإلا بقي جائعاً ظامئاً إلى الليلة الثانية. وهي درجة رفيعة في الزهد، وكان على غراره كثيرون من المحدثين والفقهاء، يصومون الدهر، ويعيشون الكفاف، بل على أقل من الكفاف، كما يعيشون على العبادة والورع"[3].

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 337.

[2] المسعودي: **مروج الذهب**. ص 624.

[3] ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ط2. دار المعارف. القاهرة. ص 106

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمثلة على هؤلاء الناس الفقهاء كثيرة وتجدها في مظانها في كتب الطبقات وأخبار المحدثين، فإذا اهتمت بعض كتب الأدب بتصوير الحياة اللاهية، فإننا لا نعدم أن نجد كتباً تصور الحياة المتدينة الورعة "وكما صورت حياة اللهو والمجون في كتاب الأغاني، ودواوين الشعراء، صورت حياة الإيمان في تراجم العلماء أمثال طبقات ابن سعد، وطبقات المحدثين. فإذا أنت قرأت الأغاني، ظننت أن الحياة كلها لهو ومجون وإباحة، وإذا قرأت طبقات المحدثين والمتصوفة خلت أن الحياة كلها دين وورع وتقوى"[1].

وكان الزهاد يرابطون في صوامع يتنسكون فيها، وقد أثبت أبو العتاهية في شعره صوراً لذلك، فيقول:

سَقى اللهُ عبّادان غَيْثَاً مُجلِلاً ... فإن لَهَا فَضْلاً جديداً وأوَّلا
وثبَّت من فيها مُقيماً مثرابطاً ... فما إن أرى عَنها لَهُ مُتَحولا
إذا جئتها لم تَلْقَ إلا مُكبراً ... تَخلَّى عن الدُّنيا وإلا مهلِّلا
فأكْرِم بِمَنْ فيها على اللهِ نازلاً ... وأكرِم بِعبادان داراً ومنزلا[2]

[الطويل]

وقد ضجَّ الزهاد، في هذا العصر، بهموم الشعب، ولا أدلَّ على ذلك من قصيدة أبي العتاهية، التي بعث بها للخليفة العباسي، شاكياً إليه غلاء الأسعار وما تعانيه العامة جراء ذلك، فيقول:

إنِّي أَرى الأسْعارَ الرَّعِيَّةِ غالِيَهْ ... وَأرَى المَكاسِبَ نَزْرَةً وَأرَى الضَّرورَةَ غاشِيَهْ
وَأرَى غُمومَ الدَّهْرِ راِئحَةً تَمُرُّ وَغادِيَهْ ... وَأرَى اليَتامَى والأرا مِلَ في البُيوتِ الخالِيَهْ
مِنْ بَيْنِ راجٍ لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إلَيْكَ وَراجِيَهْ ... يَشْكُونَ مَجْهَدَةً بأصْوا تٍ ضِعافٍ عالِيَهْ
يَرْجُونَ رِفْدَكَ كَي يَرُوا مِمَّا لَقُوهُ العَافِيَهْ

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. ج1 / ص 178.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه احد الأدباء اليسوعيين. ص 218.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَـــنْ يُرْتجـــى لِلنَّـــاسِ غَيْـــ ... ـرَكَ لِلعُيـــــونِ الباكِيَـــــهْ
مَـــنْ يُرْتَجَـــى لِـــدِفاعِ كَـــرْ ... بَ مُلَمَّـــةٍ هِـــيَ مـــا هِيَـــهْ
مَـــنْ لِلبُطُـــونِ الجائِعَـــا ... تِ وَلِلجُســـومِ العَارِيَـــهْ
يـــا بـــنَ الخَلائِـــفِ لا فُقِـــدْ ... تَ ولا عَـــدِمْتَ العَافِيَـــهْ
إن الأُصُـــولَ الطَّيِّبَـــا ... تِ لَهـــا فُـــرُوعٌ زاكِيَـــهْ[1]

[مجزوء الكامل]

ولم تقف موجة الزهد عند شعراء هذا المذهب، بل إن كثيراً من شعراء المجون تابوا، ونظموا أشعاراً في الزهد، وقد أورد الأصفهاني أن (محمد بن يسير) كان ماجناً ثم تاب وقال:

ويـــلٌ لِمَـــنْ لَـــمْ يَـــرحَمِ اللهُ ... وَمَـــنْ تَكـــونُ النـــارُ مثـــواهُ
واغفلتـــا فـــي كـــلِّ يـــوم مضـــى ... يُـــذَكِّرُني المـــوتَ وأنســـاهُ
مَنْ طال فـــي الـــدنيا بـــه عُمْـــرُه ... وعـــاشَ فـــالموتُ قُصـــاراهُ
محمـــدٌ صـــارَ إلـــى ربِّـــه ... يرحمنـــا اللهُ وإيّـــاهُ[2]

[السريع]

ومن الأمثلة كذلك، على الزاهدين العائدين عن المجون الشاعر أبو نواس، فقد أفرد جزءاً من شعره للزهد والتدين، وبخاصة ما نظمه في المرحلة الأخيرة من حياته، ومما قاله:

يا ربِّ إن عظُمتْ ذُنـوبِي كَثـرةً ... فَلَقد عَلِمتُ بـأنَّ عَفـوَكَ أعظـمُ
إن كـانَ لا يَرجُـوكَ إلا مُحْسِـنٌ ... فَبِمَنْ يَلُـوذُ وَيسـتجيرُ المُجـرِمُ
أدْعوكَ ربِّ كما أمَـرتَ تضـرُّعاً ... فإذا رَدَدْتَ يَـدي فَمَـنْ ذا يَـرْحَمُ
مـالِي إليـكَ وَسـيلَةً إلا الرجـا ... وَجميلُ عَفوُكَ، ثم إنـي مُسـلِمُ[3]

[الكامل]

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 304.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 14/ 40.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص 199، 200.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والناظر في ديوان أبي نواس، نجد أن أبياتاً كثيرة نظمها هذا الشاعر في موضوع الزهد، وهكذا، فإن نفراً من شعراء الخلاعة والمجون تابوا إلى ربهم وأقلعوا عن المعاصي، وأخذوا ينظمون أشعاراً في الزهد والأخلاق، كما رأينا. تلك أبرز الأدلة على أن تيار الزندقة والمجون لم يكن الغالب في ذلك العصر، وإن كان الغالب على كتب الأدب، التي تورد الكثير من مجون الشعراء والأدباء.

أما عن التصوف، فإن هناك فروقاً بينه وبين الزهد، ومن بين الفروق بينهما، ما ورد في كتاب نصوص شعرية (2) من إصدارات جامعة القدس المفتوحة من أن الزهد هو البعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة، أما التصوف، فهو الزهد في الدنيا لكسب رضا الله[1].

وقد بدأت مقدمات التصوف في الظهور في العصر العباسي الأول، وما إن جاء القرن الثالث الهجري، حتى كانت موجة التصوف قد اتسعت، ويذكر شوقي ضيف أن التصوف، في جوهره إسلامي، وقد بدأت معالمه ومبادئه تتضح "منذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، حتى لتنشأ طبقة تحاضر فيه، مثل يحيى بن معاذ"[2].

وخلاصة القول في الزهد، فإنه لم يكن خيراً كله، بل شابته بعض البدع التي أبعدته عن نبعه الأصيل، وشطت به بعيداً عن أهدافه، ونعني بذلك الزهد المرتبط بالزندقة، الذي يدعو إلى تعاليم "ماني"، على نحو ما نجده في أشعار صالح بن عبد القدوس، الذي يزخر بالترغيب عن متاع الدنيا[3]. وهذه الحقيقة يؤكدها شوقي ضيف بقوله: "ومعنى ذلك أن العصر العباسي شهد لونين من الزهد: زهداً إسلامياً خالصاً أعدَّ للنسك والتصوف، وزهداً مانوياً مارقاً، وهو الذي يمكن أن يوصل بينه وبين البوذية... وكان من تمام النسك في هذا الزهد المارق المنحرف، أن يعيش الناسك من سؤال الناس"[4].

---

[1] جامعة القدس المفتوحة: **نصوص شعرية (2)**. ص 257.

[2] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 111.

[3] ابن المعتز: **طبقات الشعراء**. ص 91.

[4] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الخلافة عند أهل الزندقة والمجون والشعوبية

ارتبط ظهور الزندقة والشعوبية في العصر العباسي، بجملة من العناصر الاجتماعية والسياسية؛ ذلك أن دخول غير العرب في الإسلام، واندماجهم في الحياة مع الناس، وتعلمهم للغة العربية، قد أدى إلى وجود مجتمع غير متجانس؛ وبخاصة إذا علمنا أن عدداً منهم دخل الإسلام؛ ليتمكن من الانخراط في الحياة العامة، فقد ادعى الكثير منهم الإسلام، وأبطن ديانته الأصلية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن ظهور الترف والبحث عن الملذات والملاهي، دفعت الكثير من الناس، ومنهم الشعراء إلى المجون. وقد ارتبط المجون، في كثير من الأحيان بالزندقة والشعوبية.

وإذا كانت النزعة الشعوبية، وموجات اللهو والمجون، غير واضحة المعالم في العصر الأموي، أو على الأقل، لم تكن ظاهرة خطيرة؛ بسبب اعتماد الدولة الأموية على العنصر العربي، ومعاملة الأجناس الأخرى معاملة العبيد، وسموا حينئذ بالموالي، وهو ما أكده أحمد أمين بقوله: إن "الدولة الأموية، كانت دولة العرب، فالحكم في أيديهم، والملك لهم، وولاتهم ورجالهم عرب، والموالي أذلاء مضطهدون. والعرب لا تعرف الزندقة كثيراً، ولا تميل إليها"[1].

أما الدولة العباسية، فقد اعتمدت منذ بداية نشأتها على العنصر غير العربي، ولا أدل على ذلك من أن خراسان كانت مهد الدعوة العباسية، ومنها انطلقت جيوش العباسيين، وكان عماد تلك الدعوة والثورة، قادة جلهم من غير العرب، كأبي مسلم الخراساني، مثلاً. وعليه، فلما "أتت الدولة العباسية انتعش الموالي،وخاصة الفرس، وأصبح أكثر السلطان في أيديهم، وغلبوا على العرب، وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعاً لما اعتنقوا الإسلام، وكانوا لا يجرؤون في الحكم الأموي أن ينبسوا بكلمة، وكان همهم الأول أن يتحرروا سياسياً لا دينياً؛ فكانت دعواتهم السرية واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين. والزندقة إنما هي في الدين لا في السياسة، فلما نجحوا واطمأنوا وغلبوا؛ بدأت تلعب في رؤوسهم الديانات القديمة والجديدة؛ فكانت الزندقة"[2].

---

[1] أمين، **ضحى الإسلام**. 1/ 157.

[2] المرجع السابق. 1/ 157.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولدى إطاحة المأمون بأخيه الأمين، بدأت مرحلة أخرى، من مراحل نفوذ غير العرب في الدولة العباسية؛ فقد كان الفرس من أنصار المأمون؛ لأن أمه كانت فارسية. ومنذ ذلك الحين، والدولة العباسية تصارع الأفكار المعادية للدين وللدولة، حتى وصل الأمر أخيراً إلى أن قتل الموالي الخليفة المتوكل، وبدأ عهد جديد، سمي بالعصر العباسي الثاني، الذي امتاز بسلطان العناصر غير العربية على الخليفة نفسه، الذي كان يقتل، أو يعزل، أو ينصب بقرار منهم.

وإذا كانت الدولة الأموية، قد صارعت الثائرين على سلطانها، باستمرار من شيعة أو خوارج، حتى خارت قواها؛ فإن الدولة العباسية، قد صارعت، منذ نشأتها تيارات ومذاهب فكرية دخيلة على الدين، كانت سبباً في استنزاف طاقات الأمة فكرياً وعسكرياً. وربما أن عوامل سياسية، كانت السبب في انتشار الزندقة في العصر العباسي؛ فقد روى الطبري أن المنصور، وجه "مع محمد بن أبي العباس بالزنادقة والمجان فكان فيهم حماد عجرد فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المجون وإنما أراد بذلك أن يبغضه إلى الناس"[1].

ولما تولى الخلافة الخليفة المهدي، رأى أن شر هذه الفئة قد تفاقم، فعمد إلى محاربتهم، بل استحدث وظيفة صاحب الزنادقة، ووكل إليه مهمة تعقبهم والقضاء عليهم. ويروي الأصفهاني: "لما نزل المهدي البصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة، فدفع إليه بشاراً وقال اضربه ضرب التلف، فضربه ثلاثة عشر سوطا، فكان كلما ضربه سوطاً قال له: أوجعتني ويلك، فقال: يا زنديق، أتضرب ولا تقول باسم الله؟ قال ويلك أثريدٌ هو فأسمي الله عليه؟ قال: ومات من ذلك الضرب"[2].

ولم يكن السيف هو السلاح الوحيد في محاربة الزنادقة، بل كانوا يحاولون إقناعهم ومناقشتهم لترك ما هم عليه، ويذكر أحمد أمين أن "المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين، بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين، وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شُبَه الملحدين فأوضحوا الحق للشاكين"[3].

---

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 531.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 3/ 247.

[3] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد سار الرشيد على سنة المهدي، فإنه كان يناقش الملحدين قبل قتلهم، فمن تاب عفا عنه، ويروي السيوطي: "أخذ هارون الرشيد زنديقاً، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي؟ قال له: أريح العباد منك، قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم – كلها ما فيها حرف نطق به؛ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها، فيخرجانها حرفاً حرفاً"[1].

ولم تكن ظاهرة الزندقة مقتصرة على العصر العباسي؛ فقد عرفت في العصر الأموي، ويذكر الأصفهاني أن الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم، "كان فاسقا خليعاً متهما في دينه مرمياً بالزندقة. وشاع ذلك من أمره وظهر، حتى أنكره الناس؛ فقتل"[2]. كما أن بعض بني هاشم عرف عنهم ذلك فيروي الأصفهاني أن عبد الله من فتيان بني هاشم وشعرائهم "لم يكن محمود المذهب في دينه، وكان يرمى بالزندقة... وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل، ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم، فقتله هناك"[3].

ويعرف الطبري الزنادقة بقوله: هي "فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة. ثم تخرجها إلى تحريم اللحم، ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور، والآخر الظلمة. ثم تبيح، بعد هذا نكاح، الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق؛ لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور"[4].

ولم يكن مفهوم الزندقة في العصر العباسي واضحاً تمام الوضوح؛ فقد دأبت العامة من الناس على خلع هذا اللقب على المجان، علماً أن منهم من كان يرمى بالزندقة لمجونه وتهتكه؛ كالشاعر إبراهيم بن سيابة[5].

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 336.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 7/ 6.

[3] المصدر السابق. 12/ 262.

[4] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 612.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**. 12/ 111.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما معنى الزندقة عند الخاصة، فهو: اعتناق الإسلام ظاهراً، والتدين بدين الفرس القديم باطناً، وخاصة مذهب ماني. ذلك أنه كان في ذلك العصر طائفة لم تؤمن بالإسلام، ولكن آمنت بسلطانه، ورأت أن لا سبيل لنيل الجاه والسلطان والمال إلا بالإسلام؛ فاعتنقته ظاهراً، وظلت تخلص لدينها القديم، وقوم من هؤلاء كان لهم غرض أعمق من هذا؛ إذ رأوا أنهم لا يستطيعون إفساد العقيدة الإسلامية إلا بالانتساب إليها أولاً حتى يؤمن جانبهم، وحتى يسهل على النفوس الأخذ بقولهم"[1]. وهو ما يتضح من قول الطبري بخصوص أبي العوجاء الذي اتهم بالزندقة، فلما تيقن أنه مقتول قال: "أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم فضربت عنقه"[2].

ويمضي أحمد أمين في توضيح دور هؤلاء الزنادقة في محاربة الدين والعروبة، فيقول: "وحماد الراوية يفسد اللغة والأدب بما يعمله من شعر يضيفه إلى الشعراء المتقدمين، ويدسه في أشعارهم... وصالح بن عبد القدوس يدس في الأشعار معاني زندقة، ويونس بن أبي فروة يعمل كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام، ويصير به إلى ملك الروم، فيأخذ منه مالاً"[3].

وكان من آثار تيار الزندقة، انتشار موجة المجون الهادفة إلى البحث عن اللذة، من خلال إطلاق العنان للشهوات مما دفع كثيراً من الشعراء إلى "دعوة الناس إلى الفجور والإباحة، وحملهم على الاستهتار، ولم يكتفوا أن يدعوا ما يدعون إليه من غير تعرض للدين، بل تعرضوا له أحياناً، وأخذوا يجهرون بأقوال فيها تهكم وسخرية. فيسخرون ممن يقول بتحريم الخمر، ويسخرون ممن يخوف بالنار، وممن يذكر بيوم البعث"[4]. وقد أورد صاحب الأغاني أشعاراً لبشار بن برد تتضمن مثل هذه الأفكار، إذ يقول:

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. ص 168.

[2] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 508.

[3] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 168، 169.

[4] المصدر السابق. 1/ 166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا خيرَ في العيشِ إن كنّا كـذاَ أبـدا ... لا نَلتَقِـي وسَـبيلُ المُلتَقـى نَهَـجُ

قـالُوا حـرامٌ تَلاقِينَـا فَقُلـتُ لَهُـمْ ... ما في التَّلاقِيَ ولا فـي قُبْلَـةٍ حَـرَجُ

مَنْ راقَبَ النّاسَ لـم يَظْفَـرْ بِحاجَتِـهِ ... وَفـاز بالطّيّبـاتِ الفاتِـكُ اللَّهِـجُ

أشكو إلى الله هَمّاً ما يُفَـارِقُنِي ... وشُرَّعاً فـي فُؤادي الدّهرَ تعتَلِجُ[1]

أما الناس الذين كانوا يستمعون إلى مثل هذا الشعر، "فطائفة تسخط لمثل هذا، وتحكم على قائله بالإلحاد، والخروج من الدين، وطائفة لا ترى هذا جداً من القول؛ إنما هو نوع من أنواع التملح، لم يُقَل إلا على سبيل الفكاهة والمجون، وعلى هذا الأساس، شاع في ذلك العصر وصف الزنديق بالظرف"[2].

ويخلص أحمد أمين إلى القول: إن: "كلمة الزندقة لم تكن ذات معنى واحد؛ وإنما تطلق على معان أربعة:

1. التهتك والاستهتار، والفجور مع تبجح في القول، يصل أحياناً إلى ما يمس الدين؛ ولكن قائله لم يقله عن نظر، وإنما قاله عن خلاعة ومجون.

2. اتباع دين المجوس. وخاصة دين ماني مع التظاهر بالإسلام؛ كالذي اتهم به الأفشين، والذي اتهم به بشار وحماد وابن المقفع.

3. اتباع دين المجوس، وخاصة ماني، من غير تظاهر بالإسلام، كالذي يرويه الجاحظ عن كتب الزنادقة.

4. ملحدون لا دين لهم؛ كالذي كان يحكيه المعري، ولكن يظهر أن الكلمة ــ أكثر ما كانت ــ تطلق على من اعتنق المانوية باطناً، والإسلام ظاهراً، ثم توسعوا في معناها، فأطلقوها على الإباحي، والملحد الذي لا دين له"[3].

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 3/ 196.

[2] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 167.

[3] أمين: **ضحى الإسلام** 1/ 172، 173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تكن الزندقة تصل الحد الذي تصوره الكتب، بل ربما كانت هناك أسباب أخرى تثير هذا الموضوع: فقد كان يتهم الناس بالزندقة باطلاً للنكاية بهم والانتقام منهم، ويرى أحمد أمين أن الخصومة الأدبية، كانت في بعض الأحيان سبباً في وقوع الهجاء بين شاعرين صديقين؛ فيسرع أحدهما إلى اتهام خصمه بالزندقة، كما حدث بين بشار بن برد، وحماد عجرد[1].

وفي بعض الأحيان كانت الخصومة السياسية سبباً في اتهام الناس بالزندقة؛ فهذا حميد بن سعيد كان وجهاً من وجوه المعتزلة، فخالف أحمد بن أبي دؤاد، في بعض مذاهبه، فأغرى به المعتصم، وقال: إنه شعوبي زنديق فحبسه مدة طويلة[2].

ويذكر أحمد أمين[3] أن بشار بن برد ظل طوال حياته، يقول الشعر الماجن الخليع، ويتعرض للدين من قريب أو بعيد، ويظل في ذلك ثمانين عاماً أو نحوها؛ فلا يتعرض له أحد، إلا ما نهاه عنه المهدي لما هجا يعقوب بن داوود بقوله:

بني أُميَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمَكُم إن الخليفةَ يَعقوب بن داود

ضاعَت خِلافَتكُم يا قوم فالتَمِسُوا خليفة اللهِ بين الزق والعود[4]

ويخلص أحمد أمين إلى القول: "على كل حال كانت حركة الزندقة في عصرنا الذي نؤرخ له حركة عنيفة؛ كان من ضحاياها كثيرون، بالحق أحياناً، وبالباطل أحياناً"[5].

وللتعرف إلى وجهة نظر هذه الطائفة الماجنة من الدين ومن الخلافة، فإن إلقاء نظرة خاطفة إلى أشعار هذه الطائفة كافٍ لتوضيح الصورة. ومن الأمثلة على شعراء هذه الطائفة الشاعر (إسماعيل بن يسار) الذي كان شديد التعصب ضد العرب، وقد أورد الأصفهاني بعضاً من أشعاره في هجاء العرب، ومنها قوله:

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 174.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 18/ 159.

[3] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 175.

[4] الأصفهاني: **الأغاني**. 3/ 241. بشار بن برد . **ديوانه**

[5] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 176.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذ نُربِّـــــي بَناتنـــــا وتدسُـــــو نَ سِـــفاهاً بنـــاتِكُم فـــي التُّـــرابِ[1]

[الخفيف]

وفي هذا البيت يهجو الشاعر العرب، ويعيِّرهم بما كانوا يفعلونه مـــن وأد للبنـــات، علمـــاً أن الإسلام نهى عن ذلك. ومن الشعراء الذين أثر عنهم هجاء العرب (بشار بن برد)، الذي يقول

أصبحتُ مَولى ذِي الجَـــلالِ وَبَعْضُـــهُم مولى العُرَيْبِ، فَخُـــذْ بِفَضـــلِكَ وافْخَـــرِ
مَـــولاكَ أكـــرَمُ مِـــنْ تَمـــيمٍ كلِّهـــا أهلِ الفِعالِ وَمِـــنْ قُـــريشِ المَشـــعَرِ[2]

[الخفيف]

وهكذا، كان أتباع هذا المذهب من المجون والشعوبية يضمرون كل الحقد للعرب وللإسلام، بل وصاروا يصرحون بذلك، وبذلك ازدهرت الأفكار الماجنة وكثر أتباعها، ووجدت الفرصة مواتية للرد على العرب، والانتقام منهم، ولكن ذلك كله، لم يمنع طائفة أخرى، على الطرف الآخر، من أن تظهر، وتصدح بصوت الحق، معلنة ولاءها للإسلام، ومتمسكة بتعاليم دينها، ولم يقتصر أتباع هـــذه الطائفـــة على العرب، إذ إننا لم نعدم بعضاً من غير العرب يردون على الشـــعوبية، ويضـــعون الأمـــور فـــي نصابها.

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 4/ 404.

[2] المصدر السابق. 4/ 404.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

العوامل السياسية

المطلب الأول: اضطراب أمر الخلافة

إن الدولة العباسية، لم تقم بناء على بيعة بايعها الناس للخليفة، ولا تبعاً لنظام الشورى في الإسلام؛ وإنما نشأت هذه الدولة بناء على الدعوة العباسية التي ورثت الدعوة العلوية لأسباب تم ذكرها في الفصل السابق، وقد قامت الدعوة العباسية للتبشير بأفكار مضادة للدولة الأموية، تحت شعار "عودة الخلافة إلى أهل بيت النبي"، لذا، كان العباسيون طلبة ميراث، لا دعاة أفكار.

وقد استخدم العباسيون الطرق الممكنة لتأمين الأنصار وتجنيدهم، ومن ثم انقضوا على الدولة الأموية، وكانت لهم الغلبة بعدما دحرت جيوشهم الخليفة الأموي مروان الثاني. وقد تبين في الفصل السابق، كيف كان التنازع والتناحر ظاهرة شائعة عند العباسيين؛ إذ إن كثيراً من قادتهم تم تصفيتهم بعد انتهاء الحاجة منهم، ولتهم لم تكن مقنعة؛ فقتل أبو سلمة الخلال، ثم أبو مسلم الخراساني. والأول كان وزير العباسيين، والثاني قائد جيوشهم، وصانع انتصاراتهم. ولكنها السياسة[1].

وقد بدأ التنازع والتناحر بين القادة العباسيين في وقت مبكر؛ فقد حصل خلاف على ولاية عهد أبي العباس السفاح بعد وفاته، وكان السفاح قد عهد بالخلافة من بعده لأخيه أبي جعفر المنصور، ولكن عمه عبد الله بن علي رفض الانصياع إلى ذلك، واستبد بالأمر في الشام، وجمع جيوشاً لمقاتلة ابن أخيه، فوجه إليه المنصور جيشاً على رأسه أبو مسلم الخراساني، ألحق الهزيمة بعبد الله والفتك بجيشه، على نحو ما ورد ذكره في الفصل الأول[2].

ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل تجاوزت ذلك عندما امتدت المنافسة إلى أولياء العهد، وأبرز مظاهر تلك الفتنة ما حدث بين الأخوين: الأمين، والمأمون، فإن الرشيد قد عقد الولاية للعهد للأمين، ثم إلى المأمون[3]. وقد تولى الأمين الخلافة بعد موت والده، ثم زين له أصحابه خلع المأمون،

---

[1] **ينظر الرسالة**. ص. 5 وما بعدها.

[2] المصدر السابق . ص. 5 وما بعدها

[3] بايع الرشيد بولاية العهد للأمين سنة (175)هـ، وللمأمون سنة (182) هـ. ينظر: السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 334.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويروي السيوطي أن "الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يبق عليه، فأغرى الأمين به وحثه على خلعه"[1]، وهكذا، كان قرار خلع المأمون نتيجة تدخل عناصر منتفعة في بلاط الأمين، لا نتيجة خلافات بين الأخوين، وقد جرت هذه الخلافات ويلات كثيرة على الأمين، وعلى عامة الشعب في بغداد. وقد كان النزاع بين الأمين والمأمون نزاعاً بين النفوذ العربي والنفوذ الفارسي، وخاصة أن الأمين هاشمي ابن هاشمية، بخلاف المأمون إذ كانت أمه فارسية، ووزراؤه من الفرس، لذا يرى بعض الباحثين أن الخلاف بين الأمين والمأمون كان بداية الشعوبية، وكان انتصار المأمون انتصار الفرس على العرب[2].

وكانت الموقعة الأولى بين الأمين والمأمون في العام (195) هـ، عندما أرسل الأمين علي بن عيسى لمحاربة المأمون، وكان حينئذ والياً على خراسان، "فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين، في أقل من أربعة آلاف، فكانت الغلبة له، وذبح علي وهزم جيشه"[3]. وذكر الطبري أنه لما علم المأمون بنصر طاهر خلع محمداً الأمين، ودعا لنفسه بالخلافة، فبايعه الناس في خراسان، وعندما وصلت أخبار مقتل علي بن عيسى، وانكسار جيشه إلى الأمين "أرجف الناس ببغداد إرجافا شديدا وندم محمد على ما كان من نكثه وغدره"[4].

ثم توالت انتصارات طاهر حتى دخل بغداد قسراً سنة (198) هـ وقتل الأمين وحمل برأسه للمأمون. ويروى أن المأمون اشتد عليه رؤية رأس أخيه ؛ فحقد على طاهر، وأهمله مدة حتى مات[5]. وقد أدى انتصار المأمون إلى زيادة نفوذ الفرس في الدولة العباسية، بشكل أصبحوا يشكلون خطراً على الدولة.

ولما تفاقم أمر طاهر واتسع نفوذه، خشي المأمون منه، ويروي ابن كثير أن المأمون تألم لإهانة طاهر أخاه الأمين وقتله على نحو ما ذكر، وربما أحس طاهر بذلك، فطلب أن يوليه خراسان ليكون بعيداً عنه، فولاه المأمون خراسان، ولكنه "أطلق له خادما من خدامه وعهد المأمون إلى الخادم

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 341.

[2] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. الهيئة العامة للكتاب. 1984م. ص11.

[3] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 342.

[4] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 54.

[5] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 343، 344.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن رأى منه شيئا يريبه أن يسمه، ودفع إليه سما لا يطاق، فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون سمه الخادم في كامخ فمات من ليلته"[1].

وقد سجل شاعر الشيعة (دعبل الخزاعي) حادثة مقتل الأمين، فقال مخاطباً المأمون على سبيل التشفي والإهانة:

إنّي مِنَ القومِ الذينَ سُيوفُهُم قَتَلَتْ أخاكَ وَشَرّفَتْكَ بِمَقعَدِ

رَفَعُوا محلَّك بعدَ طولِ خمولِهِ واسْتَنقَذُوكَ مِنَ الحَضيضِ الأسْفَلِ[2]

كَمْ مِنْ كريم قبلَه وخليفةٍ أضحى لَنا دَمُهُ لَذيذَ المَقْصَدِ[3]

[الكامل]

وهكذا، كانت الخصومة بين الخلفاء العباسيين عاملاً مهماً في تدهور مكانة الخليفة، حتى صار الخليفة، في وقت لاحق يعزل، وربما يقتل على يد غلمانه وحراسه، على نحو ما كان يحدث في العصر العباسي الثاني، وبخاصة بعد مقتل الخليفة المتوكل.

وقد قسم المؤرخون العصر العباسي إلى قسمين: العصر العباسي الأول، الذي امتاز بسيطرة الفرس على مقاليد الأمور، فكانوا هم الوزراء والقادة، واستمر حتى مقتل الخليفة المتوكل سنة (247)هـ[4]. والعصر العباسي الثاني، الذي امتاز بسيطرة الترك على مقاليد الخلافة وقيادة الجيش، وكانوا يعينون الخلافة ويعزلونه أو يقتلونه، واستمر الحال على ذلك حتى دخل البويهيون بغداد.

ففي العصر العباسي الأول اعتمد العباسيون، كثيراً على العنصر الفارسي، ويذكر الدكتور شوقي ضيف أنه قلما نجد وزيراً للعباسيين غير فارسي، ومن الأسر التي كان لها منصب الوزارة لدى العباسيين أسرة البرامكة[5]، ويذكر الطبري أن أخوة بالرضاعة تربط الرشيد ببعض البرامكة[6]. وقد

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 260.

[2] هذا البيت غير موجود في الديوان، وإنما موجود في الأصفهاني: **الأغاني**. 20/ 144. وعند السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 369 كان البيت برواية (شادوا بذكرك) بدل (رفعوا محلك)

[3] دعبل: **ديوانه**. ص 69، 70.

[4] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 396.

[5] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 23.

[6] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 617.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتهى أمر البرامكة بعدما فتك بهم الرشيد[1]. ويذكر د. محمد عبد المنعم خفاجي إنه كان "للعنصر الفارسي مكانة عالية عند العباسيين، وحظوة كبيرة في قصورهم، وكان بيده مقاليد الأعمال، وتصريف شؤون الخلافة. كان الخليفة عربياً هاشمياً، ولكن وزراءه وأكثر قواده فارسيون، يزيد سلطانهم، ويقوى نفوذهم يوماً بعد يوم، ويزداد تبعاً لذلك شأن الموالي في الدولة".[2]

ويبدو أن الفرس استغلوا ذلك استغلالاً سيئاً، ويظهر أن الإيمان لم يرسخ بعد في صدورهم، فظل الحنين يراودهم إلى أمجاد أسلافهم رغبة في بعثه من جديد، وعليه فقد رأى بعض الباحثين أن كثيراً من الشعوبيين الفرس كانوا يحسون في أعماق أنفسهم، وهم يثورون في أنحاء المملكة العباسية، أنهم ينتقمون من يوم القادسية المشهور والمتتبع للتاريخ العربي والإسلامي يرى أن إسلام الفرس وولاءهم للعرب لم يكونا صادقين؛ فظلت تعتمل في نفوسهم النزعة الدينية والقومية تظهر وتنبعث كلما أحست في الكيان العربي روح الوهن والضعف[3].

وكان من مظاهر نفوذ العنصر الفارسي "نقل العاصمة إلى بغداد في العراق؛ لقربها من خراسان، موطن الدعوة، ونقلهم نظام الفرس الكسروي في الدواوين والسياسة، وأساليب الحرب... وكثرت الفرس كذلك في قصور الخلفاء والأمراء والولاة، وقصرت عليهم المناصب الكبيرة كالوزارة"[4].

ويذكر الطبري أن تدخل العناصر غير العربية في أمور الخلافة، قد بدأت في وقت مبكر؛ ويذكر "أن الجند شغبوا لما بويع لأبي إسحاق[المعتصم] بالخلافة، فطلبوا العباس [ابن المأمون]، ونادوه باسم الخلافة فأرسل أبو إسحاق إلى العباس فأحضره فبايعه، ثم خرج إلى الجند فقال ما هذا الحب البارد، قد بايعت عمي وسلمت الخلافة إليه فسكن الجند[5].

---

[1] ضيف: **العصر العباسي الأول**. ص 24.

[2] خفاجي، محمد عبد المنعم: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ط 1. دار الجيل. بيروت. 1992م. ص13.

[3] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص11، 12.

[4] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 14.

[5] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 205

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي العقد الثاني من القرن الثالث الهجري، حيث كانت ولاية المعتصم في العام (218) هـ[1]، كان نفوذ الفرس قد وصل حداً لا يطاق، فعمد الخليفة المعتصم إلى الاستغناء عنهم والتخلص منهم، وبدلاً من الاعتماد على العنصر العربي، أفرط المعتصم في الاعتماد على الترك؛ إذ كانت أمه (ماردة) تركية[2].

ولم يكن المعتصم في اختياره موفقاً، فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإذا كان الفرس أصحاب ثقافة سياسة، وخلفاء حضارة؛ فإن الترك كانوا جنوداً أجلافاً لا يعرفون من السياسة شيئاً، وقد استمروا في حياكة المؤامرات، وبخاصة بعد أن أسرف في الاعتماد عليهم الواثق خليفة المعتصم؛ إذ يروى أنه "استخلف على السلطنة (أشناس) التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً"[3].

ويذكر الدكتور خفاجي أن "أول من استخدم الأتراك في الجيش الخليفة المنصور المتوفى عام (158)هـ، ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة بجانب الفرس والعرب"[4]. وفي العام (220) هـ استقدم المعتصم عدداً كبيراً من الأتراك، وبلغت عدتهم ثمانية عشر ألفاً، ثم ازداد عددهم في جيشه حتى بلغوا السبعين ألفاً، فنزع بهم إلى سامراء ، وأخذ الأتراك يتعلمون العربية بعدما دخلوا في الإسلام، وكان ذلك ضربة قاضية للعنصر العربي ودوره في الخلافة[5].

وبلغت المنزلة التي وصلها الترك في الدولة العباسية، بحيث صاروا هم الذين يختارون الخليفة، ثم يأخذون له البيعة من الناس، ويذكر الدكتور شوقي ضيف أنه لما مات الواثق لم يوص بخليفة له، فاستغل الترك ذلك فصاروا يعينون الخليفة، إذ أخذوا البيعة للمتوكل في العام (232) هـ[6]. وقد أشار خفاجي[7] أن الأتراك دعموا ترشيح المتوكل، لأن أمه (شجاع) خوارزمية تركية، ولما تولى المتوكل الخلافة استشعر بخطر الأتراك، بحيث صار نفوذهم لا يطاق؛ فعمد إلى التخلص منهم، وكان

---

[1] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص14، السيوطي: تاريخ الخلفاء. ص 379.

[2] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 10/ 260.

[3] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 386.

[4] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 17.

[5] المصدر السابق. ص 18.

[6] ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 12.

[7] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد ندم على ثقته المطلقة بالترك، فحبس (إيتاخ) حتى مات، وحاول قتل (وصيف) و(بغـا)[1]، ولكـن الوقت كان قد فات على مثل ذلك؛ فإن وصيف وبغا قد أسرعا إلى الإيقـاع بـه، بالاسـتعانة بابنـه المنتصر، وهو ما يرويه السيوطي إذ يقول: "كان المتوكل بايع لولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى... واتفـق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه... فقتلوه هـو ووزيـره الفتح بن خاقان سنة (247) هـ"[2].

وقد هجا الشاعر (دعبل الخزاعي) الخليفة المتوكل عندما رآه مستَعْبَدَاً للعبيد، فقال:

ولسـت بقائـلٍ قـذعاً ولكـن لأمـرٍ مـا تعبَّـدك العبيـدُ[3]

[الوافر]

وبمقتل المتوكل، بدأ العصر العباسي الثاني الذي لم يبق للخليفة فيه من الخلافة إلا الاسم، فهذا المنتصر الذي تولى الخلافة بعد مقتل أبيه، أو بعد قتله أباه، لم يمتع في الخلافة كثيراً فقـد اسـتمرت خلافته أقل من ستة أشهر، وقيل إن الترك دسوا إليه من سمَّه فمات[4]. وقد بالغ الترك في تعسفهم في أمور الخلافة، فصاروا يعينون الخليفة، ويقتلونه، فبعد مقتل المتوكل سنة (247) هـ وحتـى سـنة (256) تعاقب على الخلافة خمسة خلفاء، وهم: المنتصر،والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد[5].

وفي عهد المعتمد انقسم الترك على أنفسهم، فطلبوا من المعتمد أن يعين قائداً للجيش من أهـل بيته، فعين لهذا المنصب أخاه الواثق، فصار الواثق الحاكم الفعلي على الدولة وعلى التـرك كـذلك[6]، وكان للواثق هذا دورٌ مهمٌ في القضاء على ثورة الزنج على نحو ما سيتضح في الصـفحات القادمـة بإذن الله.

---

[1] وصيف، وبغا، وأشناس، من قادة الترك المتسلطين على السلطان، وقد ورد ذكرهم في الطبري: **تاريخ الأمم والملوك** 40/5، وما بعدها.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 397.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 20/ 160.

[4] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 404.

[5] ينظر في ذلك: خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 21، والسيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 403، وما بعدها.

[6] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستمر تسلط الأتراك على الخلافة والخلفاء إلا من بعض الخلفاء الذين أعادوا للخلافة هيبتها وهم قلة، ثم إن حوادث قد طرأت في الدولة العباسية كثورة الزنج، وثورة القرامطة، أشغلت الأتراك عما هم فيه من عبث، حتى دخل البويهيون بغداد في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، وكان ذلك نهاية النفوذ التركي في الدولة العباسية.

وقد صور الشعراء الحال التي وصلت إليه الخلافة زمن المستعين فقال أحدهم:

خَليفَـــــةٌ فـــــي قَفَـــــص بَـــــيْنَ وَصـــــيف وبُغـــــا

يَقـــــولُ مـــــا قَـــــالا لَـــــهُ كَمَـــــا تَقـــــولُ البَّبَغَـــــا[1]

[مجزوء الرجز]

المطلب الثاني: قيام الثورات

اتصف العصر العباسي بكثرة مشكلاته وحروبه الداخلية والخارجية على حد سواء، فبعد أن اتسم العصر العباسي الأول بكثرة النزاعات على ولاية العهد، وما تم فيه من حَبْك مؤامرات لتنصيب ولي عهد أو خلع آخر؛ فإن العصر العباسي، زاد على ذلك كله باستشراء خطر الفرس، ثم الترك، وقد ازداد الأمر سوءاً لما عمت في هذا العصر (القرن الثالث الهجري) ثورات لم يعهد لها الناس في ذلك الوقت مثيلاً، ومن أمثلتها: ثورتا الزنج والقرامطة.

أولاً: ثورة الزنج

يرى متولي أن ثورة "صاحب الزنج" من أعنف الثورات التي شغلت الدولة العباسية وكلفتها الكثير من الأموال والرجال. وهو رجل يدعى علي بن محمد. وقد انضمت إليه طائفة من العبيد، وأوقعوا الرعب والفزع في قلوب كثير من أهالي البلاد الإسلامية. فاستولوا على الأهواز وحرقوها، واستولوا على البصرة وذبحوا كثيراً من أهلها، وأشعلوا النار في المدينة، وقد دامت الحرب بينهم وبين

(1)السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 405.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العباسيين ما يقرب من أربعة عشر عاماً، إلى أن قضي على صاحب الزنج في عهد الموفق[1]. ويتفق معه الدكتور شوقي ضيف فيرى أن هذه الثورة شغلت "الدولة أربع عشرة سنة، ونحو أربعة أشهر لم تضع فيها الحرب أوزارها منذ رمضان سنة (255 هـ) وحتى صفر سنة (270 هـ)"[2].

ويذكر الطبري أن خروج صاحب الزنج كان ابتدأ من رجل "زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ"[3]. والحقيقة أن هذا الرجل كان فارسياً من قرية عند الري، وقد بدأ ثورته في وقت مبكر، في البحرين، ولما وجد أنصاره قلة مال إلى البصرة، ودعا العبيد وبشرهم بتحريرهم، فانضم إليه الكثير منهم. [4] وقد توجه بجيوشه إلى البصرة وروع أهلها الآمنين، واجتمع له من الأنصار الزنوج العدد الكبير. ويذكر شوقي ضيف أن هذا الرجل لم يكن صادقاً في دعوته؛ فقد ادعى أنه علوي من البيت الهاشمي، وفي الحقيقة هو فارسي، ثم إنه أوهم العبيد بأنه سيحررهم، فإذا به يسترق الأحرار[5].

وقد حاولت الدولة العباسية القضاء على هذا الخبيث؛ فأرسل الخليفة في العام (256هـ)جيشاً كبيراً للقضاء على ثورته ولكنه استتر بالأدغال والقنوات، ولم يجد قائد الخليفة (جعلان) "إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع، بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل، وأصحابه أكثرهم فرسان. فذكر عن محمد بن الحسن أن صاحب الزنج قال لما طال مقام (جعلان) في خندقه: رأيت أن أخفي له من أصحابي جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق ويبيتونه فيه. ففعل ذلك وبيته في خندقه؛ فقتل جماعة من رجاله، وريِع الباقون روعاً شديدا؛ فترك جعلان عسكره ذلك، وانصرف إلى البصرة"[1].

ويذكر الدكتور شوقي ضيف الفظائع التي ارتكبها الزنج بقوله: "وتقول أقل الروايات مبالغة إن عدد القتلى بلغ ثلاثمئة ألف بين ذكر وأنثى، وشيخ وطفل، وإنه أحرق المسجد الجامع، وأحال البلدة

---

[1] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، ص14.

[2] ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 26.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 441.

[4] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 442.

[5] المصدر السابق. 5/ 442.

[1] المصدر السابق. 5/ 476.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنقاضاً"[1]. ويذكر السيوطي بعض فظائعهم، فيقول: "وذكر الصولي: إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمئة ألف آدمي، وقتل في يوم واحد في البصرة ثلاثمئة ألف، وكان له منبر في مدينته يصعد عليه؛ فيسب عثمان وعلياً ومعاوية، وطلحة والزبير وعائشة. وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة"[2].

وقد سطر الشاعر ابن الرومي، في شعره، صورة خالدة للمأساة التي تعرضت لها البصرة وأهلها، في أثناء احتلال الزنج لها، وذلك في ميميته المشهورة، ومطلعها:

ذادَ عَنْ مُقْلَتِي لَذيذَ المنامِ شغلُها عَنْهُ بالدُموعِ السِّجامِ[3]

[الخفيف]

وفي هذه القصيدة ينوع الشاعر في أنواع التأثير في الناس، فيوضح لهم أن هذه المحنة عظيمة؛ إذ إنها حرمته المنام، كيف لا وهو يسوق الأسباب التي تمنعه النوم، ويوضحها بقوله:

أيُّ نومٍ من بعدِ ما حلَّ في البصـْ رَةِ من تِلكُم الهنَاتِ العِظامِ

أيُّ نومٍ من بعدِ ما انْتَهَكَ الزّنـْ جُ، جَهاراً مَحارِمَ الإسلامِ

إنَّ هذا من الأمُورِ لأمرٌ كادَ أنْ لا يَقومَ في الأحلامِ[4]

[الخفيف]

وبعد هذه المقدمة الحزينة، يمضي الشاعر في هجاء صاحب الزنج، فيقول:

أقدم الخائنُ اللعينُ عليها وعلى الله أيَّما إقدامِ

وتسمّى بغيرِ حقٍّ إماماً لا هدى اللهُ سعيَه من إمامِ[1]

[الخفيف]

---

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 30.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 411.

[3] ابن الرومي: **ديوانه**. شرح أحمد حسن بسج. ج 3/ ط1. بيروت: دار الكتب العلمية . ص 338.

[4] المصدر السابق. 3/ 338.

[1] ابن الرومي: **ديوانه**. 3/ ص 338، 339.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يمضي الشاعر يتلهَّف على البصرة، ويتقطع أسى على ما حلَّ بها، فيقول:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْـكِ أَيَّتُهـا البصـــْ رَةُ لَهفـــاً كَمِثْـــل لَهَـــبِ الضِّـــرامِ
لَهْفَ نَفسِي عَلَيْكِ يا مَعـدِنِ الخَـيـْ راتِ لَهفَـــاً يُعِضُّـــني إبهـــامي[1]
لَهــفَ نفسِـــي يـــا قُبَّـــةَ الإســـــ لامِ لَهْفَـــاً يَطُـــولُ مِنْـــهُ غَرامِـــي[2]
[الخفيف]

وبعد أن يتحسر الشاعر على ما حل بالبصرة، يمضي مصوراً لحظة وقوع الفاجعة، فيقول:

بَينَمـــا أهْلَهـــا بأحســـنِ حـــالٍ إذ رَمـــاهُم عَبيـــدهُم باصـــطلام
دَخَلوهَـــا كَـــأنَّهُم قِطَـــع الليـــ ـلِ، إذا راحَ مَـــــدَّلَهمَّ الظـــــلامِ
طلعـــوا بالمهنـــدات جهـــراً فألقـــت حَمْلَهـــا الحـــاملاتُ قبـــل التمـــامِ[3]
[الخفيف]

وفي القصيدة تتجلى براعة ابن الرومي في الإتيان بالمعاني العميقة، واستقصاء الأفكار؛ ففي البيت الأخير يصور المصيبة من شدة هولها، وكأنها يوم القيامة، حيث تضع كل ذات حمل حملها، كما تشير الآية الكريمة[1]. والقصيدة طويلة ينوع الشاعر في أساليب التأثير في الناس، وهـــي بـــلا شـــك صورة واقعية لما حل بالبصرة أيام فتنة الزنج.

ويذكر ابن كثير بعض الوقائع التي حدثت بين جيوش الخليفة وبين صاحب الزنج، فيقول: "ثـــم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة، توجه موسى بن بغا إلى حـــرب الزنج، وخرج المعتمد لتوديعه، وخلع عليه عند مفارقته له، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلـــى بـــلاد الأهواز نائبا عليها، وليكون عونا لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخبيث فهزم عبد الـــرحمن

---

[1] يعضني إبهامي، يدفعني إلى عض إبهامي، وهي كناية عن الندم.
[2] ابن الرومي: **ديوانه**. 3/ 339.
[3] ابن الرومي: **ديوانه**، 3/ 339.
[1] الآية هي: "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد". سورة الحج: آية (2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بن مفلح جيش الخبيث، وقتل من الزنج خلقا كثيرا، وأسر طائفة كبيرة منهم، وأرعبهم رعبا كثيرا، بحيث لم يتجاسروا على مرافقته مرة ثانية، وقد حرضهم الخبيث كل التحريض فلم ينجع ذلك فيهم، ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح وعلى ابن أبان المهلبي، وهو مقدم جيوش صاحب الزنج، فجرت بينهما حروب يطول شرحها، ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد، فرجع علي بن أبان إلى الخبيث مغلوبا مقهورا، وبعث عبد الرحمن بالأسارى إلى سامرا فبادر إليهم العامة ؛ فقتلوا أكثرهم وسلبوهم قبل أن يصلوا إلى الخليفة"[1].

وقد انتصرت الجيوش العباسية مراراً على صاحب الزنج دون أن تتمكن من القضاء على فتنته نهائياً، ففي العام (267 هـ) فيها وجه أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس، في نحو من عشرة آلاف فارس وراجل، في أحسن هيئة، وأكمل تجمل لقتال الزنج، فساروا نحوهم، فكان بينهم وبينهم من القتال والنزال، حتى تمكن من الاستيلاء على بلاد كثيرة كان صاحب الزنج قد احتلها في واسط وأراضي دجلة[2].

وقد توالت انتصارات الموفق وابنه أبي العباس حتى كانت سنة (269هـ) عندما ضيق الموفق الخناق على صاحب الزنج وهزمه في مواقع عدة[3]، وفي العام (270هـ) كانت الهزيمة النهائية لصاحب الزنج، حيث يذكر الطبري أنه في المحرم من هذه السنة، ألحق الموفق هزيمة منكرة بصاحب الزنج، ضعضعت ملكه، وتعقبه الموفق بعد ذلك، فقتلة في صفر من السنة ذاتها[1].

ثانياً ثورة القرامطة

وفيها يذكر الطبري: إنه في سنة (278هـ) "وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، ومقامه بموضع منه

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**. 11/ 31.

[2] المصدر السابق. 11/ 40.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 562.

[1] المصدر السابق. 5/ 582.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقال له النهرين، يظهر الزهد والتقشف، ويسف الخوص ويأكل منه كسبه، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين، وزهده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس، خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول"[1].

ويعرف السيوطي بهذه الطائفة قائلاً: "وهم نوع من الملاحدة، يدعون أنه لا غسل من الجنابة، وأن الخمر حلال، ويزيدون في أذانهم (وأن محمد بن الحنفية رسول الله)، وأن الصوم في السنة يومان: يوم النيروز، ويوم المهرجان، وأن الحج والقبلة لبيت المقدس"[2]. وقد قوي أمر هذه الطائفة في البحرين سنة (286 هـ)، ويذكر الطبري: إنه "ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة... وقوي أمره، فقتل مَن حوله من أهل القرى، ثم صار إلى موضع يقال له القطيف، بينه وبين البصرة مراحل، فقتل من بها"[3]. وقد تفاقم أمر هذه الجماعة وازداد قتالها مع الدولة، فيروي السيوطي أنه في العام (289 هـ) "خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة إلى أن قتل سنة تسعين، فقام عوضه أخوه الحسين، وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته"[4].

واستمر أمر القرامطة بالتفاقم، وكلما أرسل إليهم الخليفة جيشاً هزموه، وارتكبوا بحق المسلمين جرائم كثيرة،، ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن أبا طاهر القرمطي نازل بلداناً كثيرة في جنوب العراق، ناهباً وسافكاً للدماء، وأنه أغار على الحجيج في العام (317 هـ)، فقتل منهم خلقاً كثيراً، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه، وأنه منذ ذلك التاريخ وحتى العام (326هـ) لم يحج أحد لبيت الله خوفاً من هذا الظالم. وظلت ثورتهم مستمرة حتى دخل البويهيون بغداد، فضعف أمر قرامطة البحرين والإحساء، ودخلوا في طاعة الخليفة[1].

---

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 601.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 414.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 630.

[4] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 424.

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الثورات التقليدية

ونقصد بها ثورات الجماعات التي لها سابقة في الثورة والخروج على الدولة، وأخص بالذكر، هنا، الخوارج والشيعة؛ فإنهم كانوا أصحاب ثورات كثيرة زمن الأمويين. وتختلف هذه الثورات عن ثورتي القرامطة والزنج؛ في أن الأخيرة كانت طارئة على الدولة العباسية، من ناحية، وتم انتهاء أمرها فور القضاء عليها من ناحية أخرى. أما ثورات الشيعة والخوارج، فإنها استمرت لفترة طويلة بدءاً من العصر الأموي.

أولاً: ثورات الشيعة

سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى أن الدعوة العباسية ابتدأت تحت شعار رد الخلافة إلى بيت النبوة، ولم يشأ العباسيون أن يسموا أحداً بالخلافة من البداية، خوفاً من الأمويين من ناحية، ورغبة في كسب تأييد البيت العلوي من ناحية أخرى، على نحو ما تمت الإشارة إليه في الفصل الأول (نشأة الدولة العباسية) [1]. وما خبر أبي سلمة الخلال الذي أراد أن يرد الخلافة إلى واحد من البيت العلوي، قبيل بيعة أبي العباس، عنا ببعيد.

ويذكر الدكتور شوقي ضيف أنه "لم يكد العباسيون يستولون على مقاليد الخلافة، حتى أخذ العلويون يشيعون في الناس أنهم اغتصبوها منهم، فهم ورثتها الحقيقيون؛ إذ هم أبناء بنت الرسول فاطمة، وأبناء علي ابن عمه، ورد عليهم العباسيون بأنه ينبغي أن يرجع في ذلك إلى أصل حكم الله في المواريث، وما فرض فيها من حجب العم لابن العم"[1].

إذن، فالقضية لم تعد شأناً للمسلمين عامة يختارون من بينهم الأصلح لقيادة الأمة، بل هي قضية ميراث اختلف عليه، وهو ما أشار إليه ضيف بقوله: "والعجب العجاب أن نرى جمهور المسلمين في هذا العصر لا يعودون بالخلافة إلى نظام الشورى، وأن تصبح حقاً للأمة، فقد ضللتهم دعاية البيت الهاشمي وجعلتهم يقتنعون بأنها ميراث آل إليهم من الرسول"[2]. وهكذا لم تكن العلاقات بين البيت

---

[1] يرجع في ذلك إلى ص (7) من الفصل الأول.

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 26.

[2] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلوي والبيت العباسي، حسنة دائماً؛ إذ شعر العلويون بالغبن. وقد قام العلويون بثورات متفرقة زمن العباسيين، وبالتحديد في القرن الثاني الهجري، ولكنها لم تصل إلى مستوى ثوراتهم زمن الأمويين، وقد تمت الإشارة إلى بعض منها في الفصل الأول.

وقد اختلف الخلفاء العباسيون في طريقة تعاملهم مع العلويين، وموقفهم منهم؛ فالمأمون مثلاً، كان يعطف على العلويين كثيراً، حتى أنه حاول جعل ولي عهده واحداً منهم، ويذكر الطبري أن المأمون جعل "علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضي من آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك إلى الآفاق"[1]. ويذهب السيوطي فيقول إن المأمون هم بأن يخلع نفسه ويولي الخلافة لعلي الرضا وذلك سنة (201)هـ، وحمله على ذلك إفراطه في التشيع.[2] ولم يرق هذا الصنيع للأمراء العباسيين فثاروا في وجهه، وخلعوه وبايعوا بالخلافة لإبراهيم بن المهدي، ولقبوه بالمبارك، وجرت بينهما أمور، ولكن علي الرضا لم يلبث أن مات؛ فكتب المأمون للناس أن سبب نقمتهم هي بيعته للرضا، وقد مات، وعاد هو إلى لبس السواد[3].

أما الخليفة المتوكل، فإنه كان على نقيض المأمون إذ أحيا السنة، وأوقف القول بخلق القرآن، أما من حيث موقفه من آل علي، فإنه كان ناقماً عليهم، ويذكر السيوطي أن المتوكل في سنة (230) هـ، "أمر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وخُرِّب وبقي صحراء"[1].

وهكذا، كانت ثورات الشيعة في العصر العباسي ليست ذات شأن، ولكن الخلفاء العباسيين، اختلفوا في موقفهم من العلويين على نحو ما رأينا.

ثانياً: ثورات الخوارج

---

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 137.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص350

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5 / 138، وما بعدها، والسيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 351، 352.

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 393.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الخوارج وهم الفئة التي خرجت على علي لقبوله التحكيم بعد وقعة صفين، فكانوا أعداء الأمويين وأعداء العلويين، وكانوا يرون أن الخلافة ليست وقفاً إلا على الأكفاء من المسلمين لا عبرة في ذلك لحسب أو جاه، ولقد أصلوا بني أمية ناراً حامية من ثوراتهم. ولم يتغير موقفهم في العصر العباسي إذ لم يجدوا فيه ما يرضي عقيدتهم في شأن الخلافة، فظلوا في ثورات متتابعة[1].

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن مذهب الخوارج "ضعف شأنه بسبب فتك الأمويين بهم فتكاً ذريعاً. بحيث لم يبق منهم إلى العصر العباسي سوى فلول في أنحاء متفرقة بعُمان والجزيرة"[2]. وعليه فقد قام الخوارج بثورات متفرقة ومنها:

ثورة الخوارج الأباضيين في عمان[3]:

وقاد هذه الثورة رجل منهم عرف بالجلندي، ويذكر الطبري أن أبا العباس السفاح أرسل إليه جيشاً لقتاله بقيادة خازم بن خزيمة، وقد استمر القتال عدة أيام دون أن يظفر أحد من الفريقين بالآخر، حتى عمد خازم إلى إحراق بيوت الخوارج وكانت من الخشب، فانشغلوا ببيوتهم وما فيها ومن فيها، فأعمل جند أبي خازم فيهم السيف، وقضوا عليهم. وفي هذه المعركة " قتل الجلندي فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف وبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة فمكثت بالبصرة أياما ثم بعث بها إلى أبي العباس"[1].

ويورد المرزباني أشعاراً لأحد شعراء الأباضية، وهو عمرو بن الحسن الأباضي، يرثي فيها قتلاهم، وفيها يقول:

فـي فِتيَـةٍ شَـرطُوا نُفوسـهُم ... لِلمشـرَفِيَّةِ وَالقِنـا السُّـمرِ
مُتـراحِمينَ ذوو يَسـارهم ... يَتَعطفُـونَ علـى ذوي الفَقْـرِ
وذوو خَصاصـتهم كـأنهم ... مـن صِـدق عِفَـتِهم ذوو وَفْـرِ

---

[1] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص13.

[2] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 32.

[3] الأباضية فرقة من الخوارج تقول بجواز أمر الله تعالى عنده بحكمين متضادين في شيء واحد، وقالوا: إن ذلك كمن دخل زرعاً لغيره، فهو مأمور بالخروج منه، ومنهي عنه؛ لأن في خروجه إفساد زرع غيره. البغدادي: الملل والنحل. ص 79.

[1] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُتَجَمِّلِـــينَ لِطيـــب خـــيمهم لا يَهلَعُـــونَ لِنبـــوة الـــدَّهْرِ

فَكـــذاكَ مُثـــريهم ومقتـــرهم أكـــرِمْ بِمُقتِـــرِهم وَبِـــالمَثرِي[1]

[الكامل]

ثورة الخوارج بقيادة يوسف بن إبراهيم:

وكانت هذه الثورة في خراسان، في العام (160 هـ)، فوجه الخليفة المهدي إليها جيشاً بقيادة يزيد بن يزيد الشيباني " فلقيه واقتتلا حتى صارا إلى المعانقة، فأسره يزيد وبعث بـه إلـى المهـدي، وبعث معه من وجوه أصحابه بعدة، فلما انتهى بهم إلى النهروان، حمل يوسف البرم على بعيـر قـد حول وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال، فـأدخلوه علـى المهدي، فأمر هرثمة بن أعين فقطع يدي يوسف ورجليه وضرب عنقه وعنق أصحابه وصلبهم"[2].

ثورة الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة:

وكانت هذه الثورة في عهد الرشيد[1]، فأرسل إليه إبراهيم بن خازم، فهزمـه الخـارجي، ثـم مضى إلى أرمينية، ثم لم يلبث أن عاد إلى الجزيرة " واشتدت شوكته، وكثر تبعه، فوجه الرشيد إليـه يزيد بن مزيد الشيباني، فراوغه يزيد ثم لقيه، وهو مغتر فوق هيت فقتله، وجماعة كانوا معه وتفـرق الباقون"[2].

ويرى الأصفهاني أن الوليد بن طريف لما خرج لقتال يزيد بن مزيد كان ينشد:

أنا الوليـدُ بـن طَريـفِ الشَّـارِي قَســوَرَةٌ لا يُصْـطَلى بِنـارِي[3]

[الرجز]

---

[1] المرزباني: **معجم الشعراء**. 1/ 15.

[2] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 4/ 553.

[1] المصدر السابق. 4/ 638.

[2] المصدر السابق. 4/ 641.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 12/ 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويروي الأصفهاني كذلك أن أخته ليلى بنت طريف خرجت في اليوم التالي لتقاتل فعرفها يزيد وزجرها فاستحيت، ثم ذهبت وهي تنشد:

أيا شَـجَرَ الخـابورِ مَالَـكَ مُورِقَـاً كأنَّكَ لَمْ تَحـزَنْ علـى ابـنِ طَريـفِ

فَتَىً لا يُحِبُّ الـزَّادَ إلا مِـنَ التُّقَـى وَلا المـالَ إلا مِـنْ قِنـاً وَسُـيوفِ[1]

[الطويل]

كما قامت ثورات أخرى للخوارج، منها ثورة مهدي بن علوان الخارجي، التي حدثت في عهد المأمون سنة (203 هـ)، فأرسل إليه جيشاً بقيادة إبراهيم بن المهدي فقضى عليه،[2] ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن ثورات الخوارج كانت ضعيفة، إذ إن الخوارج لا يلبثون حين يثورون أن يقضى عليهم، وفرق بعيد بين ثوراتهم في هذا العصر، وثوراتهم في العصر الأموي، فقد أخذت دعوتهم تضعف تدريجياً، ولم يتركوا أثراً يذكر في الحياة الأدبية، وقلما نجد لهم شاعراً معروفاً[3].

---

[1] المصدر السابق . 12/ 115

[2] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**. 5/ 140.

[3] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

العوامل الاجتماعية والاقتصادية

المطلب الأول: التركيب العرقي للدولة

امتازت الدولة العباسية بتعدد الأعراق والأجناس الموجودة فيها، وكان لذلك الأثر الكبير في الحياة الاجتماعية للناس، فلم تعد الحياة بسيطة كما كانت عليه من قبل؛ فقد جاء كل قوم بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولم تكن النظرة للخلافة وللدين عند كل هؤلاء واحدة، وهذا ما ذهب إليه أحمد أمين حين قال: "إن الأمم، وإن اتخذت ديناً فكل أمة يختلف نظرها في تفاصيل دينها عن الأمم الأخرى، وهي تنظر إلى الدين من خلال تاريخها، ونظمها الاجتماعية، من خلال أديانها المتعاقبة، ومن خلال لغاتها وتقاليدها، ومن خلال ثقافتها وتربيتها"[1].

ومن المعروف أن الشعب في الخلافة العباسية كان يضم أعراقاً من بقاع شتى، ومنهم من كانت له ثقافة وحضارة سابقتين، ومنهم من لم تكن له هذه ولا تلك، منهم من كان يدين بدين، ومنهم من كان مشركاً أو وثنياً، ويشير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي إلى التركيبة البشرية في العصر العباسي، فيجدها غاية في التنوع، ومن العناصر التي ذكرها[2]:

أولاً: العنصر الفارسي: ويذكر أنهم كانوا عماد النظام السياسي والإداري في الدولة حتى أقصاهم الأتراك، وكانوا دعاة الترف في الدولة.

ثانياً: العنصر التركي: وكان لهم النفوذ السياسي في الدولة، وقضوا على سلطان الفرس والعرب على حد سواء، وكثرت الجواري الأتراك في قصور الخلفاء، ويذكر السيوطي أن المعتصم هو أول من استعان بالترك، وأدخلهم معترك الحياة السياسية والعسكرية، فيقول: إن المعتصم " اعتنى باقتناء الترك، فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج

---

[1] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 383.

[2] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومناطق الذهب، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد، ويؤذون الناس، وضاقت بهم البلد، فاجتمع إليه أهل بغداد، وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك"[1].

ثالثاً: العنصر الرومي: وهذا العنصر وفد إلى الدولة من خلال الحروب، أي أنهم دخلوا أسرى أرقاء، حتى كان بعض الخلفاء من أمهات تركيات، ومن هذا العنصر على سبيل المثال الشاعر ابن الرومي.

رابعاً: العنصر الزنجي: وكانوا يجلبون من شرق إفريقيا، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة، وفي بيوت الطبقة المتوسطة، ومن مظاهر خطرهم على سبيل المثال ثورة الزنج التي ذكرت في الصفحات السابقة.

وقد كان التنوع العرقي من عوامل ازدهار الحياة العقلية والأدبية، فيرى أحمد أمين أن هناك فرقاً بين الخمريات عند طرفة وعند أبي نواس، وفرقاً آخر بين الشوق عند امرئ القيس، وعند عباس بن الأحنف، ولا يعزو هذا الفرق إلى الحضارة وحدها، بل إلى تزاوج الاعراق، فيقول: "لم تكن الحضارة وحدها، هي التي أنتجت هذا الفرق. ولكن كان أكبر العوامل فيه: تزاوج الأجناس، وتزاوج الأفكار، كالذي كان في الشعر. فقد أخذ الفرس الوزن العربي، والقافية العربية، والأسلوب العربي، ولكن أخذوا إلى جانبه الخيال الفارسي، والذوق الفارسي"[2].

وقد كان تنوع الأجناس وبالاً على الحالة السياسية، والتنازع العرقي في الدولة؛ إذ كان العرب قبل، قبائل متفرقة، وإذا افتخر أحدهم افتخر بقبيلته، لا بعروبته، ولما صارت لهم دولة وانتصرت على الفرس والروم، صارت للعرب مكانة عالية، وكانوا يحتقرون الموالي، ويذكر أمين: أن العرب احتقروا طائفة المولدين، وسموا ابن العربي من الأمة "الهجين"[3]، وجاء في لسان العرب: "الهجنة من الكلام ما يعيبك، الهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب"[4].

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 381.

[2] أمين: **ضحى الإسلام**. 1/ 33.

[3] المصدر السابق. 1/ 43.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**. مادة (هجن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ظهرت نزعة الشعوبية الداعية إلى الحط من شأن العرب، كما نجده عند بشار بن برد، إذ تروى له أبيات يهجو فيها العرب، ويقول:

أعـــاذلُ لا أنـــامُ علـــى اقْتِســـار ولا ألقـــى علـــى مَـــوْلَى وَجـــارِ
سَـــأُخْبِرُ فـــاخِرَ الأعـــرابِ عَنِّـــي وَعَنْـــهُ حـــينَ بـــارزَ لِلفَخـــارِ
أنـــا ابـــن الأكـــرَمينَ أبـــاً وأمـــاً تُنـــازِعني المَـــرازِبُ مِـــنْ طُخـــارِ[1]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات يفخر الشاعر بنفسه وبنسبه في الفرس، ويتحدى الإنسان العربي الذي يفاخره، وينعى على الزمن الذي جاء بالعرب حتى صارت لهم دولة، فيقول:

إذا انْقَلَـــبَ الزَّمـــانُ عَـــلا بعبـــدٍ وســـفَّل بالبطـــاريق الكبـــارِ
مَلكنـــاكُم فغطَّيْنـــا عَلـــيْكُم وَلَـــم نُنَصِـــبكُمُ غَرَضـــاً لِـــدارِ[2]

[الوافر]

ثم يمضي الشاعر في هجاء العرب، فيقول:

أحـــينَ لبســـتَ بعـــدَ العُـــرْيِ خـــزّاً ونادمـــتَ الكـــرامَ علـــى العُقـــارِ
تفـــاخرُ يـــا ابـــن راعيـــةٍ وراعٍ بني الأحرار حســـبُكَ مـــن خســـارِ[3]

[الوافر]

---

[1] المرازب: جمع المَرْزُبان وهو الرئيس من الفرس. ابن برد، بشار: ديوانه. ج3/ ص 229.

[2] ابن برد، بشار: **ديوانه**. 3/ 230.

[3] المصدر السابق. 3/ 230، 231.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: التفاوت الطبقي

من آثار امتزاج الحضارات حصول تقدم في مجالات العلوم والصناعة والزراعة، وإذا أضفنا إلى ذلك المساحات الواسعة من الأراضي التي دخلت تحت سلطان الدولة الإسلامية، وما تدر على الخزينة من أموال وفيرة، نجد أن رخاء اقتصادياً عاشته الدولة العباسية، وبالتحديد في القرن الأول من حياتها.

وللتعرف إلى مدى هذا الرخاء يكفي أن نذكر ما أورده الخضري؛ فتحت عنوان: الخراج في عهد المأمون، يذكر مقدار الجباية التي ترد من الأقاليم سواء من الناحية النقدية أو من ناحية العروض،[1] ويستغرق الكاتب أربع صفحات في تفصيل هذه الأقاليم وما ترسله لخزينة الدولة، وما يهمنا في هذا المقام، هو المبلغ الإجمالي السنوي الذي يصل إلى خزينة الخلافة، فيقول: "فمجموع الخراج من الدراهم (3196000000)، درهم، و(3817000) دينار، ومن العروض ما ذكر أمام كل إقليم"[2].

ويذكر الدكتور خفاجي أن متوسط الضرائب في منتصف القرن الثالث الهجري، بلغت ثلاثمئة مليون درهم.[3]، ويتحدث متولي عن هذا الرخاء الاقتصادي، فيقول: "فالصناعة والزراعة والتجارة في ازدهار كبير. ففارس تصدر كل سنة ثلاثين ألف قارورة من ماء الورد، وخراسان تصنع عشرين ألف ثوب، وطبرستان ونهاوند ستمئة قطعة من الفرش ومئتين من الأكيسة. يضاف إلى هذا ألوف القناطير من الزيت والعسل والتمر من سائر أنحاء المملكة"[4].

على أن هذه الأموال الوفيرة، لم تكن توزع بشكل عادل، بل كان يحظى بها أناس دون آخرين؛ فقد "انتشر نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء، وكان كبار الملاك يستقلون بإقطاعياتهم دون اهتمام بتحسين حالة الناس... وعمت المصادرة وانتشرت بين طبقات الناس،

---

[1] الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: **الدولة العباسية**. ص 192 ــ 194.

[2] المصدر السابق. ص 194.

[3] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 26.

[4] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأصبحت بتوالي الأيام المصدر الرئيس لبيت المال، وأنشئ لها ديوان مخصوص"[1]. وقد قسم ضيف المجتمع العباسي ووجده يقع في طبقات ثلاث:

أولاً: الطبقة العليا: وهم الخلفاء والوزراء والقادة والولاة ومن يلحقهم من الأمراء، وهذه الطبقة مترفة منعمة تتمتع بالدخل الوفير الذي يرد إلى خزينة الدولة[2].

ثانياً: الطبقة الوسطى: وتضم علماء العربية والفقه والتفسير والحديث، وكان كثير منهم يأخذ رواتب من الدولة، ويلحق بهذه الطبقة الشعراء والمغنون وأهل الصناعات[3].

ثالثاً: طبقة العامة: وهي الطبقة التي تقوم بالأعمال المختلفة، وتهيئ الحياة للطبقتين العليا والمتوسطة، وأهل هذه الطبقة يعانون الأمرّين لتأمين لقمة العيش، ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه الطبقة كان من العوامل المشجعة للثورات، كثورة الزنج، وثورة القرامطة[4].

وكانت الفرق بين طبقة الخاصة وطبقة العامة كبيراً، والنفوذ والثروة في يد الخاصة من الناس مما يستلزم الترف واللهو والمغالاة في البنيان"[5]، ومن نماذج الأغنياء والأمثلة عليهم ابن الجصاص الجوهري ظل غنياً موسراً، بالرغم من أن المقتدر صادر ستة عشر مليون دينار، وأن المعتصم استوزر رجلاً وكان جاهلاً، إلا أنه كان غنياً ؛ لأنه كان يخرج في اليوم مئة دينار صدقة[6].

والأمثلة على إنفاق الخلفاء وأهل الطبقة العليا للمال، وحجم الترف الذي يعيشونه عصية على الحصر؛ فهذا المنصور خلف حين توفي أربعة عشر مليونا من الدنانير وستمئة مليون من الدراهم، والرشيد يموت عن تسعمئة مليون درهم، والمكتفي خلف مئة مليون دينار. وخالد البرمكي منح بشاراً ألف درهم لكل بيت من قصيدته التي مدحه فيها، وأعطى إبراهيم الموصلي يوماً ستمئة ألف درهم، وضيعة بمئة وستين ألف.واشتهر آل الفرات بالسخاء والكرم بعد البرامكة. فكانوا يفرضون الرواتب

---

[1] خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول. ص 26.

[2] ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني. ص 53.

[3] ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني. ص 60-60.

[4] المصدر السابق. ص 53.

[5] خفاجي: الآداب العربية في العصر العباسي الأول. ص 29.

[6] متولي، عبد الستار السيد: أدب الزهد في العصر العباسي، نشأته وأشهر رجاله. ص21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للعلماء والأدباء والفقهاء. ومثل ذلك قيل في المتوكل فقد أعطى الحسين بن الضحاك ألف دينار عن كل بيت في قصيدة قيلت فيه. وكان المعتصم إذا أعجبه قول الشاعر ملأ فمه جوهراً[1].

وأخبار زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، أشهر من أن تذكر. فقد تحدث عنها المسعودي، فيقول: "وانحدر المأمون إلى فم الصلح في شعبان سنة تسع ومئتين، وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى بوران، ونثر الحسن في ذلك الإملاك من الأموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في إسلام، وذلك أنه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك، فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقية إذا وقعت في يد رجل فتحها فقرأ ما فيها فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها، فيمضي إلى الوكيل الذي نصب لذلك، فيقول له: ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا، من رستاق كذا، وجارية يقال لها فلانة الفلانية... وأنفق المأمون على قواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده"[2]. أما عن إنفاق المأمون نفسه، فيقول المسعودي: "فلما أراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفاً إلى مدينة السلام، قال للحسن: حوائجك يا أبا محمد، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أسألك أن تحفظ علي مكاني من قلبك، فإنه لا يتهيأ لي حفظه إلا بك، فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز إليه سنة"[3].

هذا في مجال الزواج، أما في مجال بناء القصور فحدث ولا حرج، وفي ذلك يقول ضيف عن المتوكل: "ويقال إن النفقات لم تبلغ في عصر من عصور الخلفاء ما بلغته في عصره، وخاصة في بناء القصور، وقد أحدث فيها البناء الموسوم بالبناء الحريري، وكان يُجعل فيه دون القصر ثلاثة أبواب عظام، وكان في الراق مجلس الخليفة... وكان كلما بنى قصراً أتبعه بآخر حتى بلغت قصوره نحو العشرين"[4]. ويمضي ضيف قائلاً: "وتبارى الخلفاء بعد المتوكل في بناء القصور؛ فبنى المعتز ابنه قصره المعروف باسم التاج، أو الساج، وكان قصراً ضخما، وبنى المعتمد قصره المعشوق على شاطئ دجلة..." [5].

---

[1] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص 21-23.

[2] المسعودي: **مروج الذهب**. ص 704.

[3] المصدر السابق. ص 704-705.

[4] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 55.

[5] المصدر السابق. ص 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن مصاريف القصور، والخلفاء فكانت غاية في الإسراف؛ ويذكر المسعودي أن طبق سمك عند الرشيد يتكلف ألف درهم[1]. ويذكر ضيف أنه في عصر المعتضد كان ينفق "على القصر والرم والخدم أكثر من ستين ألف دينار شهرياً، وكان ينفق على المطابخ الخاصة والعامة أكثر من عشرة آلاف دينار شهرياً، بل قد يبلغ ذلك أكثر من ثلاثين ألفاً، غير ما ينفق على البوابين من البيض والسودان"[2]. وإذا أضفنا إلى تلك النفقات ما كان ينفق على رواتب أهل البيت العباسي، نرى مقدار الترف الذي عاشته الطبقة الخاصة في الدولة العباسية، وحجم الإنفاق غير المقول الذي كان يتم. ولا ريب في أن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة، التي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش ؛ لينعم الخلفاء وكبار رجال الدولة وأمراء البيت العباسي[3].

وقد تذمر الناس من هذه الفجوة الواسعة بين الطبقات، ويذكر الدكتور متولي أنه "اعترض ثائر على محمد بن سليمان وقال له: أمن العدل أن تكون غلتك كل يوم مئة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه، ثم التفت إلى "سوار" القاضي فقال له: إن كان هذا عدلاً فأنا أكفر به[4].

وكان من نتائج هذه السياسة أن الرقيق كثر في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب ما كانوا يأسرون في الحروب، وبسبب انتشار تجارته. وكان هذا الرقيق من أمم شتى وأجناس مختلفة، يحمل ثقافات ومدنيات متنوعة[5]. ويرى خفاجي أن كثرة الرقيق في القصور، أدى إلى أن كثر نسل الجواري، واختلطت الدماء، وأشاع هؤلاء الجواري فن الغناء، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات[6].

ومن النتائج الأخرى لذلك يذكر الدكتور خفاجي فيقول: "ولتنوع الحياة الاجتماعية، إلى خاصة وعامة، وترف وفقر، ونسك ولهو؛ كانت البلاد معرضاً للنحل، ومجالاً لدعاية الجماعات السرية، وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون الأغراض الاجتماعية بالمبادئ الدينية، ويعالجون الترفيه عن

---

[1] المسعودي: **مروج الذهب**. ص 648.

[2] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ص 54.

[3] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص25.

[4] المصدر السابق . ص 25، 26. 1984م.

[5] المصدر السابق. ص25.

[6] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 30

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفقراء بالدعوة إلى المساواة، كان فيها التشيع برجالاته، والاعتزال بطوائفه، والسنة باختلاف أقوالهـا، والفلسفة بمذاهبها، والعلوم الحديثة بأنواعها"[1].

نخلص إلى أن الحياة العباسية قد انحرفت عن المثل العليا السامية التي تحلى بها المسلمون في الدور الأول من تاريخ دولتهم، ومالت إلى المادية، وازداد فيها التهالك على الدنيا وزينتها. وكلما مالت الحياة العامة نحو المصالح المادية والملاذ الدنيوية، وجد هؤلاء الذين نشدوا المثل العليـا الإسـلامية أسباباً وبواعث تدفعهم إلى إبداء استهجانهم وسخطهم، متخذين لأنفسهم موقفاً خاصاً لا يحيـدون عنـه وهو نبذ كل غاية دنيوية[2].

[1] خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ص 30

[2] متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. ص 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

دراسة فنية

المبحث الأول: الصورة في شعر الخلافة

المبحث الثاني: الأسلوب واللغة

المبحث الثالث: الموسيقا الشعرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الصورة في شعر الخلافة

تمهيد في مفهوم الصورة:

تتضح أهمية الصورة في الاهتمام بها قديما وحديثا ، فالشعر يقوم على الصورة ، فهي تشكيلا لغويا تقترب من الخيال ، فالخيال يمنح الشاعر القدرة على الانتقال من تصوير المألوف إلى تصوير فني يعتمد على التأمل والتفكير للوصول إلى معانٍ جديدةٍ تثير الانتباه، فالصورة تنقل التجربة نقلاً صادقا ، كما أنها من أقوى الوسائل للتعبير عن الفكر والشعور تعبيرا حيًّا ومؤثراً[1].

فالصورة انعكاس لذات الشاعر ونفسيته ومشاعره ، ونلاحظ ذلك في بيت شعر للبحتري يقول:

كأنها حين لَجَّت في تدفقها يد الخليفة كما سال واديها

[البسيط]

فالشاعر هنا يعكس التشبيه ، فيجعل المشبه مشبهاً به ومن المشبه به مشبهاَ (تشبيه مقلوب)ن فبين صورة ممدوحه الخليفة المتوكل ، إذ بدا تدفق مياه البركة مشبها لتدفق يد الخليفة ، إعلاءً لشأنه ، صورة كرم المتوكل الذي كان سبب إنشاء البركة .

عندما نطالع معاجم اللغة باحثين عن معنى(الصورة)، فإننا نجد: "المُصَوِّر: من أسماء الله تعالى، وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها، وكثرته. وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي،

قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته".[2]

---

[1] صبح، علي: **الصورة الأدبية (تاريخ النقد)**. دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، عيسى الحلبي، ص131.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**. دار المعارف. القاهرة. مادة (صور).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا ما انتقلنا لنرى مدلول الصورة في القرآن الكريم، فإننا نلتقي بمادة (صور) في القرآن ست مرات: مرتين بصيغة الفعل الماضي، الأول: (صوركم) في قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [1].

قال الزمخشري:"(فأحسن صوركم): لم يَخلق حيواناً أحسن صورة من الإنسان. وقيل: لم يخلقهم منكوسين كالبهائم"[2]. فصورة الآدميين صورة حسنة، والفعل هنا يشير إلى الشكل والهيئة والصفة.

ويطالعنا اللفظ أيضاً بصورة الماضي (صورناكم) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ)[3]. قال أبو السعود: "خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورناه أبدع تصوير، وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً"[4]. فالتصوير هنا بمعنى التشكيل، وأنه مرحلة تالية بعد الخلق.

ومرة بصيغة اسم الفاعل (المصوِّر) كما في قوله تعالى: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) [5]. "أي الذي إذا أراد شيئاً فإنه يقول له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار"[6].

ومرة بصيغة الفعل المضارع (يصوركم) في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) [1]. قال ابن كثير: "يخلقكم في الأرحام كما

---

[1] سورة غافر: 64.

[2] الزمخشري: **الكشاف**. 4/ 176.

[3] سورة الأعراف: آية (11).

[4] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ت عبد القادر أحمد عطا. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، 325/2.

[5] الحشر: 24.

[6] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. 4/ 45. دار الفكر. بيروت. 1401هـ.

[1] سورة آل عمران: آية (6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد"[1]. وفي هذا دليل على أن الإيجاد يكون على صفة وشكل يريده الله كيفما يشاء، وبلا سبب.

ومرة بصورة الجمع (صوركم) في آية سورة "غافر" السابقة، ومرة بصيغة المفرد (صورة) في قوله تعالى: (فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ) [2]. أي: شكَّلك، وقال مجاهد: أي في شبه أب، أو أم، أو خال، أو عم"[3].

والمأخوذ من الآيات السابقة، ومن كلام أئمة التفسير أن الصورة تعني الخلق، والإيجاد، التشكيل، والتركيب، وإلى هذا أشار أحد الباحثين بقوله: "لفظة (الصورة) تشير إلى فعل التصوير، وإلى فعل التركيب، وهما لا يقوم أحدهما دون الآخر بحيث يمكن القول: إن التصوير تركيب، وإن التركيب ذو عناصر ينحلُّ إليها، وأن هذه العناصر ذات علاقة فاعلة ومتفاعلة، تثمر في النهاية نشاطاً تصويرياً ما فمدلول الصورة هو نشاط عناصر التركيب"[4].

وإذا كان حديثنا السابق انصب حول مادة (صور) في الذكر الحكيم، فمن الواجب أن نشير إلى أن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن؛ فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس،والمشهد وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[5].

وإذا نظرنا إلى البلاغيين القدماء لوجدنا أن لهم نظرات في الصورة؛ فهذا الجاحظ يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي, وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء, وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[1].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. 1/ 46.

[2] سورة الانفطار: آية (8).

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. **4**/ 482.

[4] علي، أحمد يوسف: **مفهوم الشعر عند العباسيين**. رسالة دكتوراة مخطوطة، كلية الآداب. جامعة الزقازيق. 1984م. ص 400.

[5] قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**. القاهرة: دار المعارف، ط10. ص34.

[1] الجاحظ: **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي. ط3. 1969م. 13/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما قدامة بن جعفر فيقول: "ومما يوجب تقدمته وتوسيده – قبل ما أريد أن أتكلم فيه– أن المعاني كلها معرضة للشاعر،وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر، من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، وإذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها: مثل الخشب للنجارة،والفضة للصياغة، وعلى الشاعر – إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح، وغير ذلك من المعاني الحميدة، أو الذميمة – أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"[1]. والأمر الذي زاده ابن قدامة، على الجاحظ، هو أنه جعل للشعر مادة (وهي المعاني)، وصورة (وهي الصياغة اللفظية، والتجويد في الصناعة).

وفي العصر الحديث، نهض مجموعة من الكتاب لتعريف الصور؛ منهم علي علي صبح الذي يعرفها بقوله: "الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر – أعني خواطره ومشاعره وعواطفه – المطلق من عالم المحسات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد والمعنى في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"[2]. أما د. أحمد الشايب، فيرى أن الصورة الأدبية: "الوسائل التي يحاول الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه"[3].

---

[1] ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**. ت محمد عبد المنعم خفاجي. ص 65، 66. بيروت: دار الكتب العلمية.

[2] صبح، علي: **الصورة الأدبية تأريخ ونقد**. ص149. ط1. القاهرة: دار قباء للطباعة. 2000م.

[3] الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. ص 242. ط 8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الصورة بمعناها العام

تأثرت صورة الخلافة، صعوداً وهبوطاً، بشخص الشاعر الذي يصفها، أو يمدح الخليفة من ناحية، وبموقف هذا الشاعر من الخليفة العباسي موضع المدح من ناحية أخرى. فقد كان الحديث عن الخلفاء العباسيين الذين ورد ذكرهم في الفصل الأول من هذه الدراسة، مدحاً أحياناً، وهجاءً أحياناً أخر. ومن المعروف أن المدح والهجاء غرضان شعريان معروفان منذ العصر الجاهلي. فهل تم تناول هذين الغرضين بطريقة جديدة مبتكرة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في السطور التالية.

الجانب الأول: أنواع الصور

أولاً: الصور الإيجابية

حيث صوَّر بعض الشعراء الخليفة بصورة الإنسان كريم الأصل، ورفيع الشأن، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر أبي دلامة:

لَو كانَ يَقعُدُ فَوقَ الشَّمسِ مِنْ كَرَمٍ قَومٌ لقيلَ اقعدُوا يا آلَ عبَّاسِ
ثم ارتقُوا في شُعاعِ الشَّمسِ كلكمُ إلى السَّماءِ فَأَنْتُم أَطْهَر النّاسِ
وقدمُوا القائِدَ المنصور رأسكمو فالعينُ والأنفُ والأذنان في الرأس

[البسيط]

ففي هذه الصورة، يرى الشاعر أن للعباسيين منزلة عالية، لدرجة أنه لو كان أحد يقعد فوق الشمس لكانوا هم، وأبعد من ذلك، فقد استشعر أحدهم قداسة الخليفة، فلو عُبِدَ إنسانٌ لكان الخليفةَ، يقول الحسين بن مطير في مدح الخليفة المهدي:

لو يعبدُ النّاسُ يا مَهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنتَ مَعبودُ [1]

[البسيط]

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 16/ 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن تلك الصور كذلك، صورة الخليفة المهدي، الذي صوره الشاعر بأنه يحيي السنة لالتزامه بها، ووقوفه عند حلالها وحرامها، ومن ذلك قول الشاعر:

أَحيـــا أَميـــرُ المُـــؤمِنينَ مُحَمَّـــدٌ سُنَنَ النَّبـــيِّ حَرامَهـــا وَحَلالَهـــا[1]

[الكامل]

ومن تلك الصور، صورة الخليفة الأهل للخلافة، والمستحق الوحيد لها، فهو قد ورثهـا كـابراً عن كابر، وخلافته ليست محط خلاف، بل تشهد بأحقيته لذلك كل الأدلة العقلية والنقلية. ومن ذلك قول الشاعر:

الـوَحيُ بـينَ بَنـي البَنـاتِ وَبَيـنَكُم قَطَعَ الخِصامَ فَـلاتَ حـينَ خِصـامِ
مـا لِلنِّسـاءِ مَـعَ الرِجـالِ فَريضَـةٌ نَزَلَـت بِـذلِكِ سـورَةُ الأَنعـامِ
أَنّـي يَكـونُ وَلَـيسَ ذاكَ بِكـائِنٍ لِبَنـي البَنـاتِ وِراثَـةُ الأَعمـامِ
أَلغـى سِـهامَهُمُ الكِتـابُ فَحـاوَلوا أَن يَشـرَعوا فيهـا بِغَيـرِ سِـهامِ
ظَفِرَت بَنو سـاقي الحَجـيجِ بِحَقِّهِـم وَغُـرِرتُمُ بِتَـوَهُّمِ الأَحـلامِ
خَلّـوا الطَريـقَ لِمَعشَـرٍ عـاداتُهُم حَطمُ المَناكِـبِ كُـلَّ يَـومِ زِحـامِ
وَارضَوا بِمـا قَسَـمَ الإِلـهُ لَكُـم بِـهِ وَدَعوا وِراثَةَ كُـلِّ أَصـيَدَ حـامِ[2]

[الكامل]

ومن تلك الصور، صورة الخليفة الذي يلجأ الناس إليه عند الملمات، ومـن ذلـك قـول سـلم الخاسر في مدح الهادي:

بعيسـاباذ حـرٌّ مـن قـريشٍ علـى جنباتِـهِ الشـربُ الـرواءُ
يعـوذُ المسـلمونَ بحقوتيـه إذا مـا كـان خـوفٌ أو رجـاءُ
وكـم مـن قائـلٍ: إنـي صـحيحٌ يشـيِّدهنَّ قـومٌ أدعيـاءُ [3]

[الوافر]

---

[1] المرزباني: **معجم الشعراء**. 1/ 99.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

[3] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرتبط بهذه الصورة صورة الخليفة الذي يضع الأمور في نصابها، وينتصر لحرمات الـدين، ومن ذلك ما نظمه الشاعر علي بن الجهم لما أوقف المتوكل القول بخلق القرآن، إذ يقول:

قـــام وَأهـــلُ الأرضِ فـــي رَجْفَـــةٍ ... يَخـــبِطُ فيهـــا المُقْبِـــلَ المُـــدبِرُ
فـــي فِتْنَـــةٍ عَميـــاءَ لا نارُهَـــا ... تَخبُـــو ولا مَوعِقِـــدُهَا يَفتُـــرُ
كُـــلٌّ حَنيـــفٍ مِـــنْهُمُ مشســـلِّمٍ ... لِلكُفـــرِ فيـــهِ مَنظَـــرٌ مُنكَـــرُ
إمَّـــا قَتيـــلٌ وإمَّـــا أســـيرٌ فَـــلا ... يُرثَـــى لِمَـــنْ يُقْتَـــلُ أو يُؤْسَـــرُ
فَـــأَمَّرَ اللهُ إمـــامَ الهُـــدى ... وَاللهُ مَـــنْ يَنصُـــرهُ يُنْصَـــرُ
وَجَـــرَّدَ الحَـــقَّ فَأشـــجَى بـــهِ ... مَـــنْ كـــانَ عَـــنْ أحكامِـــهِ يَنْفِـــرُ
وانْفَضَّـــتِ الأَعـــداءُ مِـــنْ حَولِـــهِ ... كَحُمْـــرٍ أنفَرَهَـــا قَسْـــوَرُ
وَصـــاحَ إبلـــيسُ بِأَصْـــحابِهِ ... حَـــلَّ بِنـــا مـــا لَـــمْ نَـــزَلْ نَحْـــذَرُ
الـــرِّدَّةُ الأولَـــى ثَنـــى أَهْلَهَـــا ... حَـــزْمُ أَبِـــي بَكْـــرٍ ولَـــمْ يَكفُـــرُوا
وَهـــذِهِ أَنْـــتَ تَلافَيْتَهـــا ... فَعـــادَ مـــا قَـــدْ كَـــادَ لا يُـــذكَرُ
فَاسْـــلَمْ لَنـــا يـــا خَيْـــرَ مُســـتَخلَفٍ ... مِنْ مَعشَـــرٍ مـــا مِـــثلُهُمْ مَعْشَـــرُ[1]

[السريع]

ومن صور الخلافة، وربما من المبالغة فيها، تصوير الخلافة بأنها تهتز طرباً للخليفـة، فهـي تسعى إليه قبل أن يسعى إليها، وهي تتشرف به. ومن ذلك قول البحتري:

إنَّ الخِلافَـــةَ لَمَّـــا اهْتَـــزَّ مِنْبَرُهَـــا ... بِجَعْفَـــرٍ أُعْطِيَـــتْ أَقْصَـــى أمانيهـــا
أَبْـــدَى التَّواضُـــعَ لَمَّـــا نالَهَـــا دِعَـــةً ... عَنْهَا وَنالَتهُ فَاخْتالَـــتْ بِـــهِ تِيهَـــا[2]

[البسيط]

بل يمضي البحتري في مبالغته حين يرى الخليفة منح الخلافة لأنه أهل لها، فيقول:

---

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. جمع وتحقيق خليل مردم بيك. ط2. دار الآفاق. بيروت. 1959. ص 73

[2] البحتري: **ديوانه**. 1/ 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعْطَاكَهَـــا اللهُ عَـــنْ حَـــقٍّ رَآك لَـــهُ أَهْـــلاً وَأَنْـــتَ بِحَـــقِّ اللهِ تُعطِيهـــا[1]

[البسيط]

وفي المعنى نفسه يقول أبو نواس:

إنَّ الخِلافَـــــةَ لَـــــمْ تَـــــزَلْ تَزهُـــــو وَتَفْخَـــــرُ بِـــــالأمينِ
وَتَحِـــــنُّ مِـــــنْ شَـــــوْق إليـــــهِ دائِمَـــــــــــةُ الحَنـــــــــــينِ

[مجزوء الكامل]

ومن الصور كذلك، صورة الخليفة العفوّ المتفضل، على نحـو مـا أورده الشـاعر منصـور النمري، مذكراً العلويين بفضل العباسيين عنهم، وإحسانهم إليهم، وعفوهم عنهم، وهو يـذكرهم بعفـو الرشيد عن يحيى بن عبد الله بعدما ثار عليه، ولم يقتله الرشيد بعدما ظفر به بل اكتفى بسـجنه، وفـي ذلك يقول:

يَـدٌ لَـكَ فـي رِقـابِ بَنِـي عَلِـيٍّ وَمَـــنٌّ لَـــيْسَ بِـــالمَنِّ اليَســـيرِ
مَنَنْتَ عَلـى ابْـنِ عَبْـدِ اللهِ يَحْيَـى وَكَـانَ مِـنَ الحُتُـوفِ علـى شَـفيرِ
بَنِـي حَسَـنٍ وَقُـلْ لِبَنِـي حُسَـينٍ عَلَـيْكُمْ بِالسَّـدادِ مِـنَ الأُمُـورِ [2]

[الوافر]

ومن الصور، صورة الخليفة الرؤوم بالناس الساهر على مصالحهم، فهم يلجؤون إليه عنـد الملمـات، ومن ذلك ما نظمه أبو العتاهية من حديث عما تشكو منه الطبقة الكادحة، ووجه بخطابه هذا للخليفـة، فيقول:

إنِّـــــــي أرَى الأســـــــعا رَ أسْـــعارَ الرَّعِيَـــةِ غالِيَـــهْ
وَأرَى المَكاسِـــــبَ نَـــــزْرَةً وَأرَى الضَّـــرُورَةَ غاشِـــيَهْ
وَأرَى غُـمـــومَ الـــدَّهْـــرِ را ئِحَـــةً تَمُـــرُّ وَغـــادِيَـــهْ

---

[1] البحتري: **ديوانه**. 1/ 18.

[2] النمري: **ديوانه**. ص 85، 87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأرَى اليَتـــــــــــــــامَى والأرا مِـــلَ فـــي البُيـــوتِ الخَالِيَـــهْ
مِـــن بَـــيْنِ راجٍ لَـــمْ يَـــزَلْ يَسْـــمُو إلَيْـــكَ وَراجِيَـــهْ
يَشْـــكُونَ مَجْهَـــدَةً بأصْـــوا تٍ ضِـــعافٍ عالِيَـــهْ
يَرجُـــونَ رِفْـــدَكَ كَـــي يَـــرَوا مِمَّـــا لَقُـــوهُ العافِيَـــهْ
مَـــنْ يُرْتَجَـــى لِلنـــاسِ غَيـــ ـرَكَ لِلعُيـــونِ الباكِيَـــهْ
مَـــنْ يُرتَجَـــى لِـــدفاعِ كَـــرْ بَ مُلَمَّـــةٍ هِـــيَ مـــا هِيَـــهْ
مَـــنْ لِلبُطُـــونِ الجائِعـــا تِ وللجُســـومِ العَارِيَـــهْ
يـــا بـــنَ الخَلائِـــفِ لا فُقِـــدْ تَ وَلا عَـــدَمْتَ العَافِيَـــهْ
إنَّ الأُصُـــولَ الطَّيِّبـــا تِ لَهـــا فُـــرُوعٌ زاكِيَـــهْ[1]

[مجزوء الكامل]

ومن الصور كذلك، صورة الخليفة بصفته مشروعاً استثمارياً، يلجأ إليه الشاعر لا لهدف إلا لكسب العطاء، وإن كان هذا الهدف هو الهدف الحقيقي لكثير من الشعراء، الذين ينذرون حياتهم الأدبية، في تصوير أمجاد ولاة أمور يكون كثير منها زائفاً؛ إلا أن هذا الهدف يكون في غاية الوضوح، عند الشاعر أبي دلامة؛ إذ يصرح في ذلك، ويستجدي الخليفة على نحو مكشوف، وإن ستره ببعض الملاحة والظرَف، فيقول:

إنِّـــي رَأيتُـــكَ فـــي المَنـــا مِ وأنْـــتَ تُعطِينِـــي خِيـــارَهْ
مَملـــوءَةً بِـــدَراهِمٍ وَعَلَيْـــكَ تَفسِـــيرُ العِبـــارَهْ[2]

[مجزوء الكامل]

وفي موطن آخر يقول أبو دلامة:

رأيتُـــكَ فـــي المَنـــامِ كَسَـــوْتَ جِلـــدِي ثِيابَـــاً جَمَّـــةً وَقَضَـــيْتَ دَيْنِـــي
فَكـــانَ بَنَفسَـــجِيّ الخَـــزِّ فِيهـــا وَســـاجٌ نَـــاعِمٌ فَـــأتَمَّ زَيْنِـــي
فصـــدِّق يـــا فَـــدتْكَ الـــنَّفْسُ رُؤيَـــا رَأتْهَا في المَنـــامِ كَـــذاكَ عَينِـــي[3]

[الوافر]

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 304.

[2] أبو دلامة: **ديوانه**. ت إميل بديع يعقوب. ط1. دار الجيل. بيروت. 1994م. ص 61.

[3] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا، يطلب الشاعر من الخليفة عطاء، من دون أن يقدم أي مديح، فهو يريد عطـــاء لأجـــل أحلام رآها في منامه، إن كان قد رأى حقاً شيئاً منها

ثانياً: الصور السلبية

وإلى جانب ما تم إيراده من صور إيجابية للخليفة والخلافة، فإننا لا نعدم أن نجد صوراً سلبية أخرى، وهكذا تكون الصور انعكاساً لرؤية صاحبها تجاه الخليفة، وتعبيراً عن وجهة نظره السياسية أو الفكرية. ومن الصور السلبية:

صورة الخليفة الذي يدعي بأنه المهدي المنتظر، وهو ما ادعاه الخليفة المهدي، على نحو مـــا ذكر في الفصل الأول؛ لذا يبادر السيد الحميري إلى الإشارة إلى أن الخليفة مجرد شخص عادي أمـــا المهدي فهو أفضل من ذلك وأعلى، وفي ذلك يقول:

تَظُنّـــا أنَّـــهُ المَهـــدِيُّ حَقّـــاً ... ولَـــمْ تَقَـــعِ الأُمُـــورُ كَمَـــا تَظُنّـــا
وَلا وَاللهِ مـــــا المَهـــــدِيُّ إلاّ ... إمـــامُ فَضْـــلُه أعْلَـــى وَأسْـــنَى[1]

[الوافر]

ومن الأمثلة على تلك الصور ما نظمه الشاعر دعبل الخزاعي، إذ يصور الخليفـــة المـــأمون بالعاجز، وفي ذلك يقول:

وَيَسُومُنِي المَـــأمونُ خِطَّـــةَ عـــاجِزٍ ... أوَمـــا رَأى بِـــالأمْسِ رَأسَ مُحَمَّـــدِ[2]
يُوفِي علـــى هَـــامِ الخَلائِـــفِ مِثْلَمَـــا ... تُوفي الجِبـــالُ علـــى رُؤُوسِ القَـــردَدِ
لا تَحْسَبَنَّ جَهْلِي كَحِلْـــمِ أَبِـــي فَمَـــا ... حِلْـــمُ المَشـــايِخِ مِثْـــلُ جَهْـــلِ الأَمْـــرَدِ
إنِّي مِـــنَ القَـــوْمِ الَّـــذِينَ ســـيُوفُهُمْ ... قَتَلَـــتْ أَخـــاكَ وَشَـــرَّفَتْكَ بِمِقْعَـــدِ
رَفَعُوا مَحَلَّـــكَ بَعْـــدَ طُـــولِ خُمولِـــهِ ... وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الحَضِيضِ الأسْـــفَلِ[3]
كَـــمْ مِـــنْ كَـــرِيم قَبْلَـــهُ وَخَلِيفَـــةٍ ... أَضْحَى لَنـــا دَمُـــهُ لَذِيـــذَ المَقْصَـــدِ[4]

[الكامل]

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 26.

[2] محمد هو الأمين الخليفة العباسي. وقتله جند المأمون بقيادة طاهر بن الحسين. السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص342.

[3] هذا البيت غير موجود في الديوان، وإنما موجود في الأصفهاني: **الأغاني**. 20/ 144. وعند السيوطي: **تـــاريخ الخلفـــاء**. ص 369 كان البيت برواية (شادوا بذكرك) بدل (رفعوا محلك)

[4] دعبل: **ديوانه**. ص 69، 70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الصور السلبية كذلك ما نظمه هذا الشاعر من صور منفرة للخليفة على نحو ينفي عنه كل الصور الإيجابية، وفي يقول دعبل الخزاعي:

وسمّوا رَشيداً لَيْسَ فيهم لِرُشْدِهِ وهـا ذاكَ مَأمونُ وَذاكَ أمينُ
فَما قُبِلَتْ بِالرُّشْدِ منهم رِعايَة ولا لولي بالأمانة دينُ
رشيدُهُم غاوٍ، وطِفْلاهُ بَعْدَه، لِهذا رزايا دون ذاك مجونُ[1]

[الطويل]

ثالثاً: الصور الحيادية

ومن الأمثلة على الصور الحيادية، الصور التي أوردها شعراء الزهد، عندما نفروا من الخلافة، وامتنعوا عن تقلد الوظائف العالية فيها، لأن متاع الدنيا زائل، ومن ذلك ما نظمه عبد الله بن المبارك في رسالة إلى صديق يلومه على تولي ديواني المظالم، يقول:

يا جاعِلَ الدينَ لَهُ بازِيَا يَصيدُ بِهِ أموالَ المساكينِ
احْتَلْتَ لِلدُّنيا وَلِذاتِها بِحيلة تذهبُ بالدينِ
فصرتَ مجنوناً بِها بَعْدَما كتبتَ دواءً للمجانينِ
لا تَبِع الدينَ بِالدُّنيا كَما يَفْعَلُ ضُلاّلُ الرهابينِ[2]

[السريع]

الجانب الثاني: خصائص الصور

أولاً: الصورة المتكاملة

من أبرز خصائص الصورة في مدح الخلفاء وتصوير الخلافة، هو ما يمكن أن يطلق عليه، الصورة المتكاملة؛ إذ يعمد الشاعر إلى مدح الخليفة بكل معاني الفضيلة، ويخلع عليه كل الفضائل؛ فالخليفة من أصل كريم، وفي ذلك يقول الشاعر:

---

[1] دعبل: **ديوانه**. ص 152.

[2] عبد الله بن المبارك: المحتسب. ص 153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَلِــكٌ تَفَــرَّعَ نَبعُــهُ مِــن هاشِــمٍ مَدَّ الإِلــهُ عَلــى الأَنــامِ ظِلالَهــا[1]

[الكامل]

والخليفة كذلك يحافظ على الدين، فهو حامي الأمة، والمدافع عن حرمات الله، يحيـي السـنن ويحارب البدع، ومن ذلك قول الشاعر:

أَحيــا أَميــرُ المُــؤمِنينَ مُحَمَّــدٌ سُنَنَ النَّبِــيِّ حَرامَهــا وَحَلالَهــا[2]

[الكامل]

وهو الوريث الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول الشاعر:

يا ابــنَ الَّــذي وَرِث النَّبِــيَّ مُحَمَّــداً دونَ الأَقارِبِ مِن ذَوي الأَرحــامِ[3]

[الكامل]

وهو قريب الرسول صلى الله عليه وسلم، وابن عمه كذلك، وفي ذلك يقول علي بن الجهم:

بــارَكَ اللهُ لِلخَليفَــةِ فــي العيــ ـدِ وفــي كُــلِّ طــارِفٍ وَتَليــدِ

صَفوةُ اللِــه وابــن عَــمِّ نَبِــيِّ اللــ ـهِ وابــن المَهــديِّ وابــن الرَّشــيد[4]

[الخفيف]

وهو فوق ذلك العليم ببواطن الأمور، بصير الفكر، ثاقب النظر، شجاع يفتك بالأعـداء، وفـي ذلك يقول الشاعر:

لَــم تَغشَــها مِمّــا تَخــافُ عَظيمَــةٌ إلا أَجــالَ لَهــا الأُمــورَ مَجالَهــا

حَتّــى يُفَرِّجهــا أَغَــرُّ مُبــارَكٌ أَلفــى أَبــاهُ مُفَرِّجــاً أَمثالَهــا

ثَبتٌ عَلــى زَلَلِ الحَــوادِثِ راكِــبٌ مِن صَــرفِهِــنَّ لِكُــلِّ حــالٍ حالَــهــا

---

[1] المرزباني: **معجم الشعراء**. 1/ 99.

[2] المصدر السابق. 1/ 99.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

[4] ابن الجهم: **ديوانه**. ص34، 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَتّـــى إذا ورَدَت أَوائِـــلُ خَيلِـــهِ جَيحـــانَ بَـــثَّ عَلَـــى العَـــدُوِّ رِعالَهـــا
أَدمَـــت دَوابِـــرَ خَيلِـــهِ وَشَـــكيمها غَـــاراتُهُنَّ وَأَلحَقَـــت آطالَهـــا[1]

[الكامل]

ثانياً: المبالغة في الصور: تبدو المبالغة في غير موطن، ومن مواطنها:

تصوير مبايعة الإنس والجن للخليفة، كناية عن اتفاق الناس عليه، وفي ذلك يقول سلم الخاسر بمناسبة أخذ الرشيد البيعة للأمين:

قَد بايَعَ الـثَّقَلانِ فـي مَهـدِي الهُـدى لِمُحَمَّدِ بـن زبيـدةَ ابنـةَ جَعفَـرِ[2]

[الكامل]

ومنها كذلك، المبالغة في تصوير كرم الخليفة ونوره، وفي ذلك قول الشاعر:

أَضْحَتْ يَمينـكَ مِـن جـودٍ مصـوّرةٌ لا بل يَمينـكَ مِنهـا صُـوِّر الجُـودُ
لَـو أنَّ مِـنْ نـورِه مِثقـالَ خَردَلَـةٍ في السُّودِ طراً إذن لابيضَّتِ السُّودُ[3]

[البسيط]

فالشاعر يرى الجود مشتقاً من الشاعر لأنه جواد، وليس أن الخليفة جواد لأنه يتصف بالجود. والشاعر بذلك يخالف طبيعة الواقع، بل يخالف طبيعة اللغة، عندما يرى الجود مشتقاً من الجواد وليس العكس.

ومن المبالغة في إضفاء هالة من التقديس على الخليفة، أن الشاعر يكاد يرى الخليفة يستحق العبادة، ومن ذلك قول الشاعر:

لو يُعبَدُ النـاَّسُ يـا مَهـديّ أَفْضَـلهُم ما كانَ في النّاسِ إلا أَنْتَ مَعْبُـودُ [4]

[البسيط]

---

[1] المرزباني: **معجم الشعراء**. 1/ 99.

[2] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 100.

[3] المصدر السابق. ص 77. والأصفهاني: **الأغاني**. 16/ 29.

[4] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص77. والأصفهاني: **الأغاني**. 16/ 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعروف في الدين أن العبادة لله وحده، ولكن تسابق الشعراء خلف الهبات والجوائز تـدفعهم إلى ذلك.

وتصل المبالغة في مدح الخليفة درجة تدفع الشاعر إلى وصف الخليفة بكل الصـفات الخلْقيـة والخُلُقية الحسنة، بل يرى أن فضله على الناس أمر مسلم به وليس محط نقاش، ومن ذلك قول الشاعر:

وإلـــى أميـــرِ المُؤمنيـــــ نَ مُحَمـــــد خيـــر الأنـــام
جَمَـــعَ الخِلافَـــةَ وَالسَّـــما حَـــةَ وَالشَّـــجاعَةَ فـــي نِظـــامِ
مَلِـــكٌ ضَـــريبَةُ رَأيـــهِ أمْضَـــى مِـــنَ السَّـــيْفِ الحُســـامِ
يَقضِـــي أمُـــورَ المُؤمنيـــ نَ بِـــرأيِ حَـــزمٍ وَاعْتِـــزامِ
قالَـــتْ قُـــريشٌ كُلُهَـــا وَهُـــم الكِـــرامُ بَنُـــو الكِـــرامِ
وَخِيـــارُ مَـــنْ وَطِـــئَ الحَصـــى مِـــنْ بَـــيْنِ كَهْـــلٍ أو غُـــلامِ
فَضَـــلَ المُلـــوكَ مُحَمـــد فضْـــلَ الحَـــلالِ علـــى الحَـــرامِ[1]

[مجزوء الكامل]

فهو خير الأنام، ويجمع الخلافة والسماحة والشجاعة، ورأيه قاطع كالسيف (غير متردد)، وهو حازم عازم، وفضله على الناس كفضل الحلال على الحرام.

ومن المبالغات ما قاله الشاعر في رثاء المنصور، حيث قال:

عَجَبَـــاً لِلـــذي نَعَـــى النّاعِيـــانِ كَيْـــفَ فَاهَـــتْ بِمَوْتِـــهِ الشَّـــفَتانِ
مَلِـــكٌ إنْ غَـــدا علـــى الـــدَّهْرِ يَوْمَـــاً أصْـــبَحَ الـــدَّهرُ سَـــاقِطاً لِلجِـــرانِ
لَيْـــتَ كَفَّـــاً حَثَّـــتْ عَلَيْـــهِ تُرابـــاً لَـــمْ تَعُـــدْ فـــي يَمينِهـــا بِبَنـــانِ
ذَهَبَـــتْ دُونـــه النُّفُـــوسُ حِـــذاراً غيـــرَ أن الأرواحَ فـــي الأبـــدانِ[2]

[الخفيف]

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون**. ص 114، 115.

[2] المصدر السابق. ص 117، 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات، يتعجب الشاعر من تجرؤ الناعي على إعلان وفاة الخليفة، ويدعو على الكف التي حثت عليه التراب، بل يورد في البيت الأخير مبالغة لا يتصورها العقل؛ فالنفوس قد ذهبت حزناً عليه ولكن الأرواح فيها، وكأنه يقول بأن الناس ماتوا حزناً عليه ولكنهم ظلوا أحياء!

ومن المبالغة في الصور كذلك، المبالغة في الولاء للخليفة، من دون أدنى تفكير، ومن ذلك قول علي بن الجهم:

أنْتُم خيرُ سادةٍ يا بَنِي العَبَّا ... سِ فابقوا ونَحْنُ خَيرُ العبيدِ
نَحْنُ أشياعُكُمْ مِنْ أهْلِ خُراسا ... نَ أُولُو قُوَّةٍ وبَأْسٍ شَديدِ
إنْ رَضِيتُمْ أمْراً رَضِينا وإن تَأْ ... بُوا أَبَيْنَا إباءض الأُسُودِ
حَسْبُنا اللهُ وَالخَلِيفَةُ مِنْ بَعْـ ... ـدُ، وَمِنْ بَعدِهِ وُلاةُ العُهُودِ[1]

[الخفيف]

فالشاعر هنا يعطي ولاء دائماً وغير مشروط لا للخليفة فحسب، بل لأولياء العهود من بعده، والغريب أن ولاءه هذا يمزجه بالفخر بقومه بأنهم أولو بأس شديد، ولا أدري كيف هم كذلك إذا كان شعارهم كما في ورد في البيت الثالث (إن رضيتم رضينا...)، علماً أن هذا الأمر منهي عنه في الدين، وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا. ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا"[2].

ومن المبالغة في المدح، تشبيه الخلافة بالنبوة، وفي ذلك يقول مروان بن أبي الجنوب:

كانَتْ خِلافَةُ جَعْفَرٍ كَنُبُوَةٍ ... جاءَتْ بِلا طَلَبٍ وَلا بِتَنَحُّلِ
وَهَبَ الإلهُ لَهُ الخِلافَةَ مِثلَما ... وَهَبَ النُّبُوَةُ لِلنَّبِيِّ المُرسَلِ[3]

[الكامل]

---

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. ص34، 35.

[2] الترمذي: **سنن الترمذي**. ج 4/ ص 364.

[3] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ **الأمم والملوك**. ج 5/ ص 339. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: هجاء الأعداء والخصوم

ويبلغ الولاء للخليفة حداً يدفع الشاعر إلى تبني مواقفه كلها، بل والوقوف معه ضد خصومه، فصارت من لوازم الولاء للخليفة هجاء الخصوم، وربما هجا الشاعر شخصاً كان بالأمس قد مدحه، ولكن الدنيا تتغير، فتتغير لذلك المواقف. ومن ذلك ما قاله علي بن الجهم في هجاء ابن أبي دؤاد لما أوقف المتوكل القول بخلق القرآن:

يا أحْمَدُ بنَ أَبِي دُؤاد دَعوَةً بَعَثْتُ إلَيْكَ جَنَادِلاً وَحَدِيدَا
ما هذِهِ البِدَعُ التي سَمَّيْتَها بالجَهلِ مِنْكَ العَدْلَ وَالتَّوحيدا
أَفْسَدتَ أمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلَيْتَهُ وَرَمَيْتَهُ بِأَبِي الوَلِيدِ وَلِيدا
لا مُحْكَمًا جَزْلاً وَلا مُسْتَطرَفاً كَهْلاً، وَلا مُسْتَحدَثاً مَحْمُودا[1]

[الكامل]

وشبيه بذلك شماتة مروان بن أبي الجنوب، بابن الزيات لما فتك به المتوكل، وكان ابن الزيات من الذين يتولون تعذيب الأئمة الذين لا يقولون بخلق القرآن، فلما قتل ابن الزيات، قال الشاعر:

وقيل ليَ الزياتُ لاقى حِمامَه فقلت أتاني الله بالفَتْح وَالنصْرِ
لقد حفر الزياتُ بالبغي حُفْرة فألقاه فيها الله بالكفر والغَدْرِ[2]

[الطويل]

ولما فتك المنصور بأبي مسلم الخراساني، سارع أبو دلامة إلى هجاء أبي مسلم والشماتة به، وفي ذلك يقول:

أبا مُجرِمٍ ما غَيَّرَ اللهُ نِعمَةً عَلَى عَبدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَها العَبدُ
أبا مُجرِمٍ خَوَّفْتَني القَتلَ فَاتَّقَى عَلَيكَ بما خَوَّفْتَنِي الأسَدُ الوَرِدُ
أَفي دَولَةِ المَهدِيِّ حَاوَلتَ غَدرَةً ألا إنَّ أَهلَ الغَدرِ آباؤُكَ الكُردُ[3]

[الطويل]

---

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 125، 126.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**. 218/23.

[3] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 52.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: الازدواجية في الصورة

ويقصد بها أن يمدح الشاعر الخليفة في موطن ويهجوه في موطن آخر، على نحو ما نجده عند شعراء الشيعة الذين ما انفكوا على ولائهم للعلويين، ولكن الظروف السياسية، تدفع بعضهم إلى مدح الخليفة والتزلف إليه على سبيل التقية، وهو ما يظهر عند السيد الحميري، الذي مدح الخليفة المنصور بقوله:

إنَّ الإلـهَ الَّـذِي لا شَـيءَ يُشـبِهُهُ أعْطـاكُم المُلـكَ لِلـدُّنيا ولِلـدِّينِ
أعطاكُم اللهـث مُلْكَـاً لا زَوالَ لَـهُ حَتَّـى يُقـادَ إلَـيكُمْ صـاحِبُ الصِّـينِ
وَصـاحِبُ الهِنْـدِ مَـأخُوذاً بِرمَتِـهِ وَصاحبُ التركِ محبوساً على هـون[1]
[البسيط]

ثم إنه يشدد النكير على الخلفاء العباسيين الذين تسموا بالمهدي والهادي، وهو يرى، على ما يبدو، أن هذه الأسماء حكر على العلويين، وفي ذلك يهجو العباسيين بقوله:

فَقُـل لِلنّاصِـب الهـادِي ضـلالاً تَقـوم ولـيس عنـدهم غنـاءُ
فـداءٌ لابـن خولـة كـل نَـذلٍ يطيـف بِـهِ وأنـت لَـهُ فِـداءُ[2]
[الوافر]

المطلب الثاني: الصور الفنية والمحسنات البديعية

الصور الفنية:

ومنها صورة وضوح أحقية العباسيين في الخلافة كوضوح النجوم والقمر في السماء، وفي ذلك يقول الشاعر:

هَل تَطمِسونُ مِـنَ السَـماءِ نُجومَهـا بِـأَكُفِّكُم أَم تَسـتُرونُ هِلالَهـا[3]
[الكامل]

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ت شاكر هادي شكر. ص 444. . **ديوان السيد الحميري**.

[2] ابن خولة هو محمد بن الحنفية، وخولة هي خولة بنت جعفر الحنفية. ص 50.

[3] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك قول سلم الخاسر:

فَضَـــــلَ المُلـــــوكَ مُحَمَّـــــدٌ فضْـــلَ الحـــلالِ علـــى الحـــرامِ[1]

[مجزوء الكامل]

صورة الخليفة في تفضيله على من سواه من الملوك، دون أدنى جهد لمـــن أراد الموازنـــة، كصـــورة أفضلية الحلال على الحرام.

ومن ذلك قول الشاعر:

وَانْفَضَّـــتِ الأعـــداءُ مِـــنْ حَوْلِـــهِ كحُمْـــرٍ أنفَرَهـــا قســـورُ[2]

[السريع]

وهنا يصور الشاعر هروب الأعداء من الخليفة كهروب الحمر من الأسد.

ومن الصور كذلك، قول الشاعر:

يَـــداهُ فـــي الجُـــودِ ضَـــرَّتان عَلَيْـــهِ كِلتاهُمَـــا تَغـــارُ[3]

[مخلع البسيط]

وهنا يشبه اليدين بالضَّرتين اللتين تغار إحداهما من الأخرى.

ومن الصور كذلك، قول الشاعر:

إذا الغَيْثُ أكْدَى وَاقْشَـــعَرَّتْ نُجومَـــهُ فَغَيْـــثُ أميـــرِ المُـــؤمِنينَ مَطيـــرُ[4]

[الطويل]

وهنا يصور الشاعر كرم الخليفة الرشيد بالغيوم الممطرة.

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114، 115.

[2] ابن الجهم: **ديوانه** . ص 73.

[3] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 396.

[4] النمري: **ديوانه**. ص 95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويلاحظ في الصور الواردة، هنا، أن الشعراء يعتمدون على التصوير السطحي المباشر، ويقل في الصور الخيال البعيد أو المعاني الغامضة، ويبدو أن طبيعة هذا النمط من الشعر السياسي، ربما تدفع الشعراء إلى انتهاج السهولة أسلوباً لمخاطبة أكبر شريحة من المجتمع، والتأثير في آرائهم.

الكناية: هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

ومنها قول الشاعر سلم الخاسر:

يَعُوذُ المُسْلِمُونَ بِحَقوَتَيهِ إذا ما كانَ خَوْفٌ أو رَجاءُ[1]

[الوافر]

ويعوذ بحقوتيه (الحقوة الإزار) أي يعوذون به وهي كناية عن نسبة.

ومن الأمثلة على الكناية أيضاً، قول سلم الخاسر:

لَمَّا أتَتْ خَيْرَ بَنِي هاشِم خِلافَةُ اللهِ بجرجانِ

شَمَّرَ لِلحَزمِ سِرابيلَهُ برأيِ لا غُمْرٍ ولا وانِي [2]

[السريع]

وشمر سرابيله كناية عن الحزم والعزم، وهي كناية عن صفة.

ومن الأمثلة على الكناية كذلك قول الشاعر:

قامَ وَأَهْلُ الأَرْضِ في رَجفَةٍ يَخْبطُ فيها المُقبِلَ المُدبِرُ[3]

[السريع]

وأهل الأرض في رجفة، كناية عن الظلام والظلم والخوف الذي بدده الخليفة، وهي كناية عن صفة. ومن الأمثلة على الكناية كذلك، قول الشاعر:

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 92.

[2] المصدر السابق. ص 117.

[3] ابن الجهم: **ديوانه** . ص 73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَنيعُ الحِمَــى لَكِــنَّ أعنــاقَ مالَــه يَظَلُ النَّــدَى يَســطُو بِهــا وَيســورُ[1]

[الطويل]

ويقصد بمنيع الحمى، القوي العزيز، وهي كناية عن صفة.

الاستعارة: وهي لفظ استخدم في غير معناه لعلاقة المشابهة مع قرينة لفظية او معنوية تمنع مــن إرادة المعنى الحقيقي.وهي نوعان : تصريحية ومكنية .

ومنها قول الشاعر:

أَحيــــا أَميــــرُ المُــــؤمِنينَ مُحَمَّــــدٌ سُنَنَ النَّبِــيِّ حَرامَهــا وَحَلالَهــا[2]

[الكامل]

وهنا يشبه الشاعر السنن بالإنسان الذي يحيا، فحذف المشبه به وأبقى بعض لوازمــه، وهــي الحياة، فالاستعارة مكنية.

ومن الأمثلة على الاستعارة، قول الشاعر:

فَذَروا الأُســودَ خَــوادِراً فــي غيلِهــا لا تــــولِغُنَّ دِمــــاءَكُم أَشــــبالَها[3]

[الكامل]

وهنا يشبه خلفاء بني العباس بالأسود، فصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

المجاز المرسل:

ومن الأمثلة على المجاز المرسل قول الشاعر:

كَــمْ فــي يَــديكَ مِــنَ النَّــدَى وَضُــرُوبِ أَلــوانِ الحِمــامِ[4]

[الكامل]

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 95.

[2] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 97.

[3] المصدر السابق. ص 99.

[4] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114، 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فذكر اليدين لأنهما سبب في الكرم؛ فالعلاقة سببية. ومن الأمثلة على المجاز كذلك قول الشاعر:

يَـدٌ لَـكَ فـي رِقـابِ بَنِـي عَلِـيٍّ وَمَـنٌّ لَـيْسَ بِـالمَنِّ اليَسـيرِ[1]

[الوافر]

وهنا مجاز مرسل علاقته سببية؛ لأن اليد سبب في العمل.

وبعد الاطلاع على الصور البيانية والمحسنات البديعية، نلاحظ أن الشعراء اقتصدوا في هذه الفنون البلاغية؛ فالموضوع المطروح ليس موضوعاً شخصياً ذاتياً يعمد الشاعر فيه إلى الخيال الواسع. كما يلاحظ في الصور الواردة، هنا، أن الشعراء يعتمدون على التصوير السطحي المباشر.

المبحث الثاني

الأسلوب واللغة

الأسلوب هو: "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ، وتأليف الكلام، أو هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة"[2]. وسنحاول في هذا المبحث ــ إن شاء الله تناول الأسلوب من حيث النواحي الآتية:

أولاً: أسلوب الخطاب

تنوعت نبرة الخطاب في شعر الخلافة، تبعاً لتغير المواقف، أو قل تبعاً لتغير موقف الشاعر من الخلافة العباسية من جهة، أو تغير الفئة التي يخاطبها الشاعر من جهة ثانية. ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن التنويع في نبرة الخطاب تؤدي في محصلتها إلى التأثير في الملتقي، من خلال طرح الموضوع الواحد من مداخل عدة، حتى لا يبقى للسامع مجال للتردد أو الرفض.

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 85، 87.

[2] خفاجي، محمد عبد المنعم وزميلاه: **الأسلوبية والبيان العربي**. ط1. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. 1992. ص 42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أساليب الخطاب في شعر الخلافة، أسلوب التقرير؛ حيث يميل الشاعر إلى طرح مواقفه أو أفكاره –إن كانت أفكاره حقاً– على أساس أنها حقائق مسلم في صحتها، ولا مجال إلى مناقشتها، فضلاً عن نفيها. ومن الأمثلة على هذا النوع من الخطاب ما نظمه الشاعر علي بن الجهم في قوله:

قامَ وَأهْلُ الأرضِ في رَجفَةٍ ... يَخْبِطُ فيها المُقْبِلُ المُدبِرُ
في فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ لا نارُهَا ... تَخْبُو وَلا مُوقِدُهَا يَفتُرُ
كُلٌّ حَنيفٍ مِنْهُمُ مسلمٍ ... لِلكُفْرِ فيهِ مَنظَرٌ مُنكَرُ
إمَّا قَتيلٌ وَإمَّا أسيرٌ فَلا ... يُرثَى لِمَنْ يُقْتَلُ أو يُؤسَرُ
فَأمَّرَ اللهُ إمامَ الهُدَى ... وَاللهُ مَنْ يَنصُرُهُ يُنْصَرُ
وَجَرَّدَ الحَقَّ فَأشجَى بِهِ ... مَنْ كانَ عَنْ أحكامِهِ يَنْفِرُ
وَانْفَضَّتِ الأعداءُ مِنْ حَوْلِهِ ... كَحُمْرٍ أنفَرَهَا قَسورُ
وَصاحَ إبليسُ بأصحابِهِ ... حَلَّ بِنا مَا لَمْ نَزَلْ نَحْذَرُ
الرِّدَّةُ الأُولَى ثَنَى أهلَها ... حَزْمُ أبِي بَكْرٍ وَلَمْ يكفُرُوا
وَهذِهِ أنْتَ تَلافَيْتَها ... فَعادَ ما قَدْ كادَ لا يُذكَرُ
فَاسْلَمْ لَنا يا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ ... مِنْ مَعشَرٍ ما مِثْلُهُم مَعشَرُ[1]

[السريع]

وفي هذه الأبيات يورد الشاعر جملة من المزاعم وهي: أن الخليفة نهض بأعباء الخلافة بعد تردي الأحوال حسب ما فصلها، ثم قيض الله لهذا الخليفة السداد وألهمه الصواب، حتى وضع الأمور في نصابها، وجليل عمله في ذلك لا يمكن مقارنته إلاّ بما قام به أبو بكر من قضاء على فتنة الردة.

ومن الأمثلة كذلك على هذا النوع من الخطاب، قول الشاعر علي بن الجهم:

بَسُرَّ مَنْ را إمامُ عَدلٍ ... تغرِفُ مِنْ بَحرِهِ البِحارُ
المُلْكُ فيهِ وَفِي بَنيهِ ... ما اخْتَلَفَ الليلُ وَالنَّهارُ

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. جمع وتحقيق خليل مردم بيك. ص 73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُرجَـــى ويُخشـــى لكُـــلِّ خَطـــبٍ كأَنَّـــــهُ جَنَّـــــةٌ ونَـــــارُ
يَـــداهُ فـــي الجُـــودِ ضَـــرَّتان عَلَيـــهِ كِلتاهُمـــا تَغـــارُ
لَـــمْ تَـــأتِ مِنْـــهُ اليَمـــينُ شـــيئاً إلاّ أتَـــتء مِثْلَـــهُ اليَســـارُ[1]

[مخلع البسيط]

وفي هذه الأبيات يذكر الشاعر أن الخليفة في مقره بسامراء، وهو مرجع يرجع إليه فـي كـل الأمور، وخلافته باقية أبد الدهر، وستنتقل إلى ولده، ثم إلى ولد ولده، وهو خليفة يرجى ويخشى، وهو كريم. ويورد هذه المزاعم على أساس التقرير، دون أدنى محاولة لتفسير موقفه من ذلك، وكـأن مـا يقوله حقائق مسلم بها.

وثاني أساليب الخطاب التي اعتمدها الشعراء أسلوب الحث والتحضيض، ومن ذلك مـا قالـه الشاعر الشيعي السيد الحميري، إذ يقول:

دونكمـــا يـــا بَنِـــي هاشِـــمٍ فَجـــدِدُوا مِـــن عَهـــدِها الطامسَـــا
دونكمـــا لا عَـــلا كَعـــبُ مَـــنْ أمْسَـــى عَلَـــيْكُم ملكهـــا مُنافِسَـــا
دونكمـــا فالبسُـــوا تاجَهَـــا لا تَعـــدِمُوا مِـــنْكُم لابِسَـــا
خِلافَـــةُ اللهِ وَسُـــلطانَهُ وَعُنصـــرٌ كـــانَ لَكُـــمْ دارِسَـــا
قَـــدْ ساسَـــها قَـــبلَكُم ساسَـــةٌ لَـــمْ يَترِكُـــوا رَطْبَـــاً وَلا يابِسَـــا
لَـــوْ خُيِّـــرَ المِنْبَـــرُ فُرســـانَهُ مـــا اختَـــارَ إلا مِـــنْكُم فارِسَـــا
فَلَسْـــتُ مـــن أنْ تَمْلِكُوهَـــا مَهـــبَطُ عيسَـــى مِـــنكُم آيســـا[2]

[السريع]

وفي هذه الأبيات، يحث الشاعر بني العباس على التمسك بالخلافة، وأنها حق مـن حقـوقهم، بصيغة الأمر مستخدماً اسم فعل الأمر (دونك) مكرراً في الأبيات السابقة، موضحاً في البيت الأخيـر من أنه لا مناص لهم من ذلك. ويفسر الدكتور شوقي ضيف أشعار السـيد الحميـري هـذه المؤيـدة

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 396.

[2] السيد الحميري: **ديوانه**. ت شاكر هادي شكر. ص258، 259.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للعباسيين، على أساس أنه من الشيعة الكيسانية التي لم تر بأساً في تولي العباسيين الخلافة طالما أنهم هاشميون، ولا سيما أن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية قد تنازل لهم عنها[1].

ومن أساليب الخطاب كذلك، أسلوب الاستنكار؛ إذ يستنكر الشاعر مروان بن أبي حفصة أن يعارض قومٌ بني العباس، أو ينافسونهم في الخلافة، ويرد عليهم بقوله:

هَل تَطمِسونُ مِنَ السَماءِ نُجومَها بِأَكُفِّكُم أَم تَستُرونُ هِلالَها
أَم تَجحَدونَ مَقالَةً عَن رَبِّكُم جبرِيلُ بَلَّغَها النَبِيَّ فَقالَها[2]

[الكامل]

وفي هذين البيتين، يرى الشاعر أن أحقية بني العباس في الخلافة ثابتة، ولا مجال لمناقشتها، ويستنكر على الذين يناوئونهم، ويرى أن من ينكر أحقية بني العباس في الخلافة، كمن يحاول أن ينكر وجود النجوم والقمر في السماء، وهو محال، مشيراً إلى أنهم بذلك ينكرون آية من القرآن الكريم، ويعطلون حكماً شرعياً.

ومن الأمثلة كذلك على النوع من الخطاب، قول الشاعر نفسه، مستنكراً أن يدعو العلويون لواحد من أئمتهم ليكون خليفة، فيجيبهم قائلاً:

يا ابنَ الَّذي وَرِثَ النَبِيَّ مُحَمَّداً دونَ الأَقارِبِ مِن ذَوي الأَرحامِ
الوَحيُ بَينَ بَني البَناتِ وَبَينَكُم قَطَعَ الخِصامَ فَلاتَ حينَ خِصامِ
ما لِلنِّساءِ مَعَ الرِجالِ فَريضَةٌ نَزَلَت بِذلِكِ سورَةُ الأَنعامِ
أَنّي يَكونُ وَلَيسَ ذاكَ بِكائِنٍ لِبَني البَناتِ وِراثَةُ الأَعمامِ
أَلغى سِهامَهُمُ الكِتابُ فَحاوَلوا أَن يَشرَعوا فيها بِغَيرِ سِهامِ[3]

[الكامل]

---

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 305 .

[2] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ت حسين عطوان. ط1. القاهرة: دار المعارف. ص 99.

[3] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الأبيات، يرفض الشاعر أن تكون البنت وريثة من دون العم، وهذا مخالف للدين، فيطرح سؤالاً على سبيل الاستفهام الاستنكاري قائلاً (أنى يكون)، وهو في رأيه لا يكون، ثم يوضح في الأبيات اللاحقة تفسيراً لحكمه هذا.

ومن أساليب الخطاب كذلك، أسلوب الأمر الذي يراد به التحقير، ومن ذلك قول الشاعر:

فَذَروا الأُسودَ خَوادِراً في غيلِها لا تولِغُنَّ دِماءَكُم أَشبالَها[1]

[الكامل]

والشاعر بذلك، يأمر المنافسين للخليفة العباسي ألا يحاولوا منازعته، فهم ليسوا أهلاً لذلك.

ثانياً: أسلوب الاحتجاج العقلي، والحوار والمناقشة:

نظراً لأن هذا النمط من الشعر يمكن إدراجه ضمن الشعر السياسي، فإن الحاجة فيه تكون ماسة إلى إظهار الأدلة، والتسلح بالبراهين المنطقية، وطبيعي من كل شاعر يتبنى مذهباً معيناً، أن يعمد إلى الدفاع عن مذهبه، وأن يحاول تجنيد الكثير من الأنصار له من خلال إقناع الناس بصواب رأيه أو إقناعهم بضلال الخصوم.

أدت هذه الأمور مجتمعة إلى أن يطغى جانب العقل على جانب العاطفة (وإن كانت العاطفة ضرورية)، في هذا الشعر. وإذا أردنا أن نستطلع آراء الشعراء؛ فإننا نجد شعراء يدافعون عن الحق العباسي في الخلافة، ويسوقون الأدلة على ذلك، وبالمقابل نجد شعراء يدلفعون عن حق العلويين بالخلافة، وبين هذين الفريقين نجد شعراء آخرين يتزلفون إلى الخلفاء ويسوقون الأدلة على حقهم في الخلافة، دون أن يكون ذلك حقيقة موقفهم السياسي.

ومن الشعراء الذين دافعوا عن حق العباسيين في الخلافة، الشاعر مروان بن أبي حفصة الذي يقول:

---

[1] **ديوان مروان بن أبي حفصة**. ص 99.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا ابــنَ الَّــذي وَرِث النّبــيَّ مُحَمَّــداً ... دونَ الأَقــارِبِ مِــن ذَوي الأَرحــامِ
الــوَحيُ بــينَ بَنــي البَنــاتِ وَبَيــنَكُم ... قَطَعَ الخِصامَ فَــلاتَ حــينَ خِصــامِ
مــا لِلنِّســاءِ مَــعَ الرِجــالِ فَريضَــةٌ ... نَزَلَــت بِــذلِكِ ســورَةُ الأَنعــامِ
أَنّــي يَكــونُ وَلَــيسَ ذاكَ بِكــائِنٍ ... لِبَنــي البَنــاتِ وِراثَــةُ الأَعمــامِ
أَلغــى سِــهامَهُمُ الكِتــابُ فَحــاوَلوا ... أَن يَشرَعوا فيهــا بِغَيــرِ سِــهامِ[1]

[الكامل]

والشاعر في أبياته هذه، يتعامل مع قضية الخلافة على أساس أنها قضية ميراث، ينظر فيها في مظان كتب الفقه، التي تنص على أن العم وريث أقوى من البنت، دون أن يقدم أدنى سبب منطقــي أو عقلي أو ديني على ذلك، ولا سيما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه مرضه أوصى بأبي بكر ليصلي في الناس، وكان ذلك إيحاء للناس اعتمدوا عليه في اختيار خليفة لرسول الله.

ومن الشعراء الذين دافعوا عن الحق العباسي، كذلك، الشاعر منصور النمري، إذ يقول:

وَمِنْ إمَامِ الهُــدَى المَنْصُــورِ يلْحَقُــهُ ... قَهْــرُ الأُمُــورِ وَحَــزْمٌ حِــينَ يَقْتَــرِعُ
وَتُشْــبِهُ القَــائِمَ المَهْــدِيَّ مَرْحَمَــةٌ ... مِنْــهُ وَبَحْــرُ نَــوَالٍ حِــينَ يُنْتَجَــعُ
يا بْنَ الأئِمَةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَــا بِــنْ ... نَ الأوْصِيَاءِ أَقَــرَّ النَّــاسُ أو دَفَعُــوا
إنَّ الخِلافَــةَ كانَــتْ إرْثَ وَالِــدِكُم ... مِــنْ دُونِ تَــيْمٍ وَعَفْــوُ اللهِ مُتَّسَــعُ
وَمَــا لآلِ عَلِــيٍّ فِــي إمَــارَتِكُم ... حَــقٌّ وَمَــا لَهُــمُ فــي إرْثِكُــمْ طَمَــعُ
يا أيُّهَــا النَّــاسُ لا تعــزُب عُقُــولُكُمُ ... وَلا تُضِــفْكُم إلَــى أكْنَافِهَــا البِــدَعُ
العَمُّ أَوْلَى مِنْ ابْــنِ العَــمِّ فاسْــتَمِعُوا ... قَوْلَ النَّصِيحِ فَــإنَّ الحَــقَّ يُسْــتَمَعُ[2]

[البسيط]

والشاعر، هنا، يقرر أن الخلافة من حق العباسيين دون العلويين، علماً أن هذا الشــاعر مكــن شعراء الشيعة، ويفسر ذلك الدكتور شوقي ضيف بقوله: "أما شعراء الإمامية، فقد وجدوا أمامهم فسحة

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

[2] النمري: **ديوانه**. ص97، 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كي ينافقوا العباسيين، وكي يظهروا غير ما يبطنون، لمبدأ التقية المشهور الذي كان يأخذ بـه الشـيعة الإمامية من اثني عشرية وإسماعيلية، ومن ثم رأيناهم يمدحون خلفاء بني العبـاس، يسـترون بـذلك حقائقهم، على نحو ما هو معروف عن منصور النمري"[1].

وهناك شعراء دافعوا عن الحق العلوي بالخلافة، وساقوا أدلتهم على ذلك، ومنهم الشاعر السيد الحميري الذي يقول:

صَـــحَّ قَـــوْلِي بِالإمامَـــةِ وَتَعَجَّلْـــتُ السَّـــلامَة
وَأزالَ اللهُ عَنِّـــي، إذ تَجَعفَـــرت، المَلامَـــة
قُلْـــت مِـــنْ بَعـــدِ حُســـين بِعَلِـــيٍّ ذي العَلامَـــة[2]

[مجزوء الرمل]

ومن أشعاره في أحقية العلويين في الخلافة، قوله:

ألا إنَّ الأئمَـــةَ مِـــنْ قُـــريشٍ وُلاةُ الحَـــقِّ، أربَعَـــةٌ سَـــواءُ[3]
عَلِـــيٌّ وَالثَّلاثَـــة مِـــنْ بَنيـــهِ هُـــمْ أسـباطُهُ وَالأولِيـــاء
فَـــأنِّي فـــي وَصـــيَتِهِ إلَـــيهم يَكـــونُ الشَّـــكُّ مِنَّـــا وَالمِـــراء
بِهِـــم أوصـــاهم وَدَعَـــا إلَـــيهم جَميـــعُ الخَلـــقِ لَـــو سَـــمعَ الـــدُّعاء
فسـبطٌ سِـبطُ إيمـانٍ وحلـم وسِـبطٌ غَيَّبَتـهُ كَـربَلاء
وَسِـبط لا يَـذوقُ المَـوْتَ حَتَّـى يَقـودُ الخَيـلَ يَقـدُمها اللـواء[4]

[الوافر]

وهكذا، تعامل شعراء الأحزاب والفرق مع موضوع الخلافة على أساس أنه قضـية ميـراث، ينظر إليها في باب المواريث في الشريعة، علماً أن الشريعة لها رأيها الواضح فـي أسـلوب اختيـار الخلافة، وفي شروطه ومقوماته، ومهامه وحقوقه.

---

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 305.

[2] **ديوان السيد الحميري**. ص 409.

[3] هم علي بن أبي طالب، وابناه الحسن والحسين، وابنه محمد بن الحنفية.

[4] **ديوان السيد الحميري**. ص 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: أسلوب الشعر من حيث التقليد والتجديد

من المعروف أن الشعر العربي بداية العصر العباسي، ونتيجة لظروف سياسية واجتماعية وثقافية، قد طرأ عليه تطور في الموضوعات والأساليب على حد سواء، ويذكر الدكتور شوقي ضيف إنه شاع في العصر العباسي أسلوب جديد في الشعر عرف بأسلوب المولدين، وهو "أسلوب يحافظ على مادة اللغة ومقوماتها التصريفية والنحوية، ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة، بحيث تنفى عنه ألفاظ العامة المبتذلة، كما تنفى عنه ألفاظ البدو الحوشية"[1]. وسنحاول في هذه السطور استشراف نواحي الحداثة في أسلوب الشعراء في شعر الخلافة.

ومن معالم التجديد في هذا الشعر اعتماد الأوزان القصيرة السهلة والمجزوءة، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر سلم الخاسر:

وَإلى أميرِ المُؤمنينَ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الأنامِ
جَمَعَ الخِلافَةَ وَالسَّماحَةَ وَالشَّجاعَةَ في نِظامِ
مَلِكٌ ضَريبةُ رأيِهِ أمضى من السَّيْفِ الحُسَامِ
يَقضِي أمُورَ المُؤمنينَ بِرأيِ حَزْمٍ وَاعتِزامِ
قَالَتْ قُريشٌ كُلُّها وَهُمُ الكِرامُ بَنُو الكِرامِ
وَخيارُ مِن وَطِئَ الحَصَى مِنْ بَينِ كَهْلٍ أو غُلامِ
فَضَلَ المُلوكَ مُحَمَّدٌ فضْلَ الحَلالِ عَلى الحَرامِ
فَاسْلَمْ أميرَ المُؤمنينَ فَأَنْتَ رَهْنٌ بِالسَّلامِ
كَمْ في يَدَيكَ مِنَ النَّدى وَضُروبِ ألوانِ الحِمامِ[2]

[مجزوء الكامل]

وينظم الشاعر هذه القصيدة على مجزوء الكامل، ومن الملاحظ فيها أن ألفاظها سهلة معروفة بسيطة، وتقترب في بساطتها من لغة الحياة اليومية، كما تقوم هذه القصيدة على وحدة الموضوع؛ إذ

---

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**. ص 146.

[2] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114، 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هناك ارتباطاً بين طول القصيدة من جهة، وبين بحرها وتنوع موضوعاتها من جهة أخرى. ولو نظرنا في قصيدة أخرى على مجزوء الكامل كذلك، وهي للشاعر أبي دلامة الذي يقول:

إنِّي رَأيْتُكَ في المَنا ... مِ وَأنْتَ تُعْطِينِي خِيارَهْ
مَملوءَةً بِدراهِمٍ ... وَعَلَيكَ تَفسيرُ العِبارَهْ[1]

[مجزوء الكامل]

ومن الواضح جداً بساطة ألفاظ الشاعر وسطحية أفكاره في هذين البيتين.

ومن الشعراء الذين أولعوا بالتجديد الشاعر أبو العتاهية الذي اعتمد البساطة والسهولة في موضوعاته الشعرية جميعاً حتى في المديح، فإنه لم يلجأ إلى تقليد فحول الشعراء السابقين، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

أتَتهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً ... إليهِ تُجَرِّرُ أذيالَها
ولَمْ تَكُ تَصلُحُ إلاّ لَهُ ... ولَمْ يَكُ يَصلُحُ إلاّ لَها
ولَوْ رامَها أحَدٌ غَيرَهُ ... لزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها
وإنَّ الخليفَةَ مِن بغضِ لا ... إليهِ لَيُبْغِضُ مَن قالَها[2]

[المتقارب]

وبالنظر في هذه الأبيات نجد أن هذه القصيدة قليلة الأبيات وجاءت على بحر المتقارب، وامتزت بألفاظها السهلة ومعانيها المباشرة الواضحة. ولا شك أن هذا أسلوب أبي العتاهية حتى قيل عنه: "والسهولة في الصياغة والتراكيب وقرب المعاني من الإفهام في شعر أبي العتاهية سماها الباحثون ــ الشعبية ــ لأنه موجه للجماهير عموماً"[3].

---

[1] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 61.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه أحد الأدباء اليسوعيين. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. 1886م. ص309.

[3] جامعة القدس المفتوحة: **نصوص شعرية (2)** ص. 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعلق شوقي ضيف هذه القصيدة بقوله: "فإن أبا العتاهية يخطو للأمام خطوة بمدائحه إذ يتنحى عن الصحراء والأطلال، إلا ما قد يأتي عرضاً، وأيضاً فإنه لا يتمسك غالباً بالأسلوب القديم الجزل الرصين"[1].

على أن هذا العصر شهد صراعاً بين القديم والجديد، وإذا رأينا معالم التجديد واضحة لدى أبي العتاهية على سبيل المثال، فإن هذه القاعدة لم تنسحب طراً على الشعراء جميعاً فهذا أبو نواس حافظ على أسلوبه الجزل الفخم في موضوعي المديح والرثاء، وكان مجدداً في موضوع الخمرة مثلاً. وما يهمنا هنا أشعاره في الخلافة والخليفة مادحاً كان أم راثياً، فإنه كان في هذه وتلك سائراً على نهج السابقين في الجزالة والرصانة. وبالنظر في ديوانه في المدائح مثلاً، نجد أنه نهج نهج القدماء في البدء بالأطلال[2].

ومن مدائحه التي استعطف بها الخليفة الأمين يقول أبو نواس:

تذكرْ أمينُ اللهِ- والعهدُ يذكرُ- مَقامِي، وإنشادِيكَ وَالنَّاسُ حُضَّرُ
وَنَثرِي عَلَيكَ الدُّرَّ يا درَّ هاشمٍ فيا مَنْ رَأى دُرَّاً عَلى الدُّرِّ يُنثَرُ
أبُوكَ الذِي لَمْ يَمْلِكَ الأرضَ مثلُهُ وَعمُّكَ موسى الصَّفوةُ المُتخَيَّرُ
وَجَدُّكَ مَهدِيّ الهُدى وَشَقيقُهُ أبو أمك الأدنى، أبو الفَضلِ جَعفَرُ
وَمِن قبلُ مَنصورَيكَ: مَنصورِ هاشمٍ وَمنصُورِ قحطانٍ إذا عُدَّ مَفخَرُ[3]

[الطويل]

وفي هذه الأبيات يتضح ما يتصف به أسلوب الشاعر من جزالة في اللفظ وفخامته، وهو بذلك ينهج نهج القدماء، كما أن هذه الأبيات جاءت على البحر الطويل.

أما رثاء أبي نواس للأمين فكان تقليدياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وفي ذلك يقول:

طَوى المَوتُ ما بَينِي وبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لَمَا تَطوِي المَنيَّةُ ناشِرُ

---

[1] ضيف: **تاريخ الأدب العربي**. ص 245.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 58 وما بعدها.

[3] المصدر السابق . ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَــلا وَصــلُ إلا عَبــرَةً تَســتَديمُهَا أحادِيثُ نفسٍ مــا لَهــا الــدَّهرَ ذاكِــرُ
وَكُنتُ عَلَيْهِ أَحْــذَرُ المَــوْتَ وَحــدَهُ فَلَمْ يَبْــقَ لِــي شَــيءٌ عَلَيــهِ أُحــاذِرُ
لَــئِنْ عمُــرَتْ دُورٌ بِمَــنْ لا أودُّهُ فَقَدْ عمُــرَتْ مِمَــنْ أُحِــبُّ المَقــابِرُ[1]

[الطويل]

جزالة الألفاظ في هذا الرثاء، الذي جاءت أبياته على البحر الطويل. ويرى الــدكتور شــوقي ضيف أن أبا نواس كان "يتوقر في شعره الرسمي، ويختار له إطاراً جزلاً قوياً متيناً، يقدم له بوصــف الصحراء، على طريقة القدماء"[2].

أما الشاعر مروان بن أبي حفصة، فقد كانت مدائحه في الخليفة تقليدية، ومنها قصــيدته التــي مطلعها:

طَرَقَتــكَ زائِــرَةً فَحَــيِّ خَيالَهــا بَيضاءُ تُخلِــطُ بِالحَيــاءِ دَلالَهــا[3]

[الكامل]

وقد بدأ الشاعر قصيدته هذه بالوقوف على الأطلال، ثم ولج في موضوع القصيدة وهو المديح، وقد جاءت قصيدته في نحو من (38) بيتاً من الشعر، لذا أمكن عدها من الشعر التقليدي الذي يتبع نهج القدماء، وبخاصة أنها لم تكن مجزوءة الوزن وإنما جاءت على البحر الكامل.

ومن الأمثلة على الشعر التقليدي كذلك قصيدة البحتري في وصــف بركــة المتوكــل ومــدح الخليفة، ومطلعها:

مِيلُوا إلى الــدَّارِ مــن ليلــى نُحيِّيهَــا نَعَمْ وَنَسأَلُهَا عَــنْ بَعــضِ أهليهَــا[4]

[البسيط]

وتتنوع الموضوعات في هذه القصيدة التي جاءت على البحر الكامل، وبلغ عدد أبياتها حــوالي (40) بيتاً، ومن موضوعاتها: المقدمة الغزلية، ثم وصف البركة، ويختمها بمدح الخليفة المتوكل.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 129.

[2] ضيف: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. ص 162.

[3] **ديوان مروان بن أبي حفصة**. ص 96.

[4] البحتري: **ديوانه**. 1/ 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا، فإن أغلب الشعر الذي نظم في موضوع الخلافة، كان تقليدياً نظراً لأن قضية الشعر المحدث لم تكن راسخة بين الشعراء جميعاً.

رابعاً: أسلوب الموازنة

من الأساليب التي انتهجها الشعراء في موضوع الخلافة، أسلوب الموازنة؛ فقد كان الشعراء يحرصون على مدح الخليفة الجديد، حتى أثناء رثائهم للخليفة المتوفى، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنصور غضب لما رثى أبو دلامة أبا العباس السفاح من دون أن يشير ببيت واحد من المديح له. ومن أجل ذلك حاول بعض الشعراء إظهار براعتهم في الموازنة بين التعزية والتهنئة، من خلال الجمع بين موضوعي الرثاء والمديح، وشيخهم في هذا الميدان أبو دلامة الذي يقول:

عينانِ: واحدَةٌ تُرى مَسرُورَةً بإمامِهَا جَذلَى وأُخرَى تَذرِفُ
تَبكِي وَتَضْحَكُ مَرَّةً وَيَسُوؤُهَا ما أبْصَرتْ وَيَسُرُهَا ما تَعرِفُ
فَيَسُوؤُهَا مَوْتُ الخَلِيفَةِ مُحرماً وَيَسُرُّهَا أنْ قَامَ هذا الأرْأَفُ
هَلَكَ الخَلِيفَةُ يَا لأمَّةَ أحْمَدٍ فَأتَاكُمْ مِنْ بَعدِهِ مَن يخلِفُ
أَهْدَى لِهذا اللهُ فَضلَ خِلافَةٍ وَلِذاكَ جَنّاتُ النَّعِيمِ تُزَخرَفُ
فَابكُوا لِمَصرَعِ خَيرِكُم وَوَلِيّكُم وَاسْتَشرِفُوا لِمقامِ ذا وَتَشَرَّفُوا[1]

[الكامل]

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة بعد موت المنصور وتولي المهدي من بعده، وقد حرص على إبراز الرثاء والمديح في كل بيت من الأبيات على نحو ما ورد.

وعلى الجانب الآخر، نجد بعض الشعراء المعارضين للخلافة العباسية يجمعون بين هجاء الخليفة السابق والخليفة الجديد، على نحو ما نجده عند الشاعر دعبل الخزاعي، فإنه لما مات المعتصم وخلفه الواثق قال:

---

[1] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 82، 83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحَمْـــدُ للـــهِ لا صَـــرٌ وَلا جَلَـــدٌ وَلا عَـــزاءٌ إذا أَهْـــلُ الـــبلا رَقَـــدُوا
خَليفَةٌ مـــاتَ لَـــمْ يَحْـــزَنْ لَـــهُ أحـــدٌ وَآخَـــرٌ قَـــامَ لَـــمْ يَفْـــرَح بِـــهِ أَحَـــدُ
فَمَـــرَّ هـــذا وَمَـــرَّ الشُّـــؤْمُ يَتْبَعُـــهُ وَقَـــامَ هـــذا فَقـــامَ الظُّلْـــمُ وَالنَّكَـــدُ[1]

[البسيط]

وهكذا، نجد الشاعر قد ذم الاثنين معاً في كل بيت من أبياته.

أما عند شعراء الزهد، فقد انشغلوا عن الخلافة، مهتمين بالعبادة والجهاد، وقد عمـد شـاعرهم عبد الله بن المبارك إلى الموازنة بين حياة العابد في المسجد، وحياة المجاهد المرابط علـى الثغـور، وذلك في الرسالة الشعرية التي بعث بها إلى الفضيل بن عياض، ويقول فيها:

يا عَابِـدَ الحَـرمَينِ لَـوْ أَبْصَـرْتَنَا لَعَلِمْـــتَ أَنَّـــكَ بِالعِبـــادَةِ تَلْعَـــبُ
مَنْ كانَ يَخْضِـبَ جيـدهُ بِدُمُوعِـهِ فَنُحورنَـــا بِـــدِمائِنَا تَتَخَضَّـــبُ
أَوْ كـــانَ يُتعِـبُ خَيلَـــهُ فـــي باطِـــلٍ فَخُيولنَـــا يَـــوم الصَّـــبيحَةِ تَتعَـــبُ
وَلَقَـــدْ أَتَانَـــا مِـــنْ مَقَـــالِ نَبِـــيّكُمْ قَـــولٌ صَـــحيحٌ صـــادِق لا يَكْـــذِبُ
لا يَسْـــتوي غُبـــارُ خَيـــلِ اللهِ فـــي أَنْـــفِ امـــرئٍ، وَدُخـــان نـــارٍ تَلهَـــبُ
هـــذا كِتـــابُ اللهِ يَنْطِـــقُ بَينَنَـــا لَـــيْسَ الشَّـــهيدُ بِمَيِّـــتٍ، لا يَكْـــذِبُ[2]

[الكامل]

وفي هذه الأبيات يوازن الشاعر بين نمطي حياة، تاركاً للقارئ الحكم.

خامساً: الأفكار ومصادرها

بالنظر في أشعار الخلافة، نجد أن معاني هذه الأشعار وأفكارها قد استمدت من واقـع الحيـاة السياسية والعقلية في العصر العباسي خلال القرنين: الثاني والثالث الهجريين. ونظراً للثراء الفكـري والعقلي الذي ساد في هذا العصر، فإن الأفكار قد استمدت من عناصر متعددة، وقد تبين أثر ذلك فـي الشعر.

---

[1] دعبل: **ديوانه**. ص 59.

[2] عبد الله بن المبارك. ص 153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن مصادر الأفكار الدين الإسلامي؛ حيث استمد الكثير من الشعراء أفكارهم ومعانيهم من واقع الحياة الدينية، واستدلوا على موقفهم بآيات قرآنية، وأحاديث شريفة، ناهيك من الكثير من الألفاظ الذي كان الدين الإسلامي مصدراً لها. ومن ذلك قول سلم الخاسر:

لَقَدْ فَازَ موسى بِالخِلافَةِ وَالهُدَى وَمَاتَ أميرُ المُؤمنينَ مُحَمَّدُ[1]

فَمَاتَ الذِي عَمَّ البَرِيَّةَ فَقْدُهُ وَقَامَ الذِي يَكفيكَ مَنْ يَتَفَقَّدُ [2]

[الطويل]

ويظهر في هذين البيتين ألفاظ مستمدة من الشريعة الإسلامية، كألفاظ: الخلافة، والهدى، وأمير المؤمنين، البرية.

ويقول الشاعر نفسه أيضاً:

فَهوَ الخَليفَةُ عَنْ أبِيهِ وَجَدِّهِ شَهِدا عَليهِ بِمَنْظَرٍ وَبِمَخْبَرِ

قَد بايَعَ الثَّقَلانِ في مهدي الهُدى لِمُحَمَّدِ بن زُبَيدَةَ ابنةِ جَعْفَرِ

ولَّيْتَهُ عَهْدَ الأنامِ وَأمْرَهُمْ فَدَمَغتَ بِالمَعْروفِ رأسَ المُنْكَرِ [3]

[الكامل]

ومن الألفاظ الإسلامية الواردة هنا: الثقلان، والمعروف، والمنكر.

وترد ألفاظ أخرى عند الشعراء؛ كالحلال والحرام، ومن ذلك قول الشاعر:

فَضَلَ الملوكَ محمد فضْلَ الحلالِ على الحرامِ[4]

[مجزوء الكامل]

---

[1] موسى هو اسم الخليفة الملقب بالهادي.

[2] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 96.

[3] المصدر السابق. ص 100.

[4] المصدر السابق. ص 114، 115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وترد ألفاظ إسلامية أخرى تعبر عن قضايا إسلامية كالردة مثلاً، ومن ذلك قول الشاعر علي بن الجهم:

الـــرِّدَّةُ الأولَـــى ثَنـــى أَهْلَهَـــا حَـــزْمُ أَبِـــي بَكْـــرٍ ولَـــمْ يَكْفُـــرُوا
وَهَـــــذِهِ أَنْـــــتَ تَلافَيْتَهَـــــا فَعَـــادَ مَـــا قَـــدْ كَـــادَ لا يُـــذكَرُ[1]

[السريع]

ومن مصادر اشتقاق الأفكار كذلك، المذاهب الكلامية والمعتزلة، حيث وردت كثير من الألفاظ ذات الصلة بهم، ومن ذلك قول الشاعر:

يَـــا أَحْمَـــدُ بـــنَ أَبِـــي دُؤَاد دَعْـــوَةً بَعَثْـــتْ إِليـــكَ جَنَـــادِلاً وَحدِيـــدا
مـــا هـــذِهِ البِـــدَعُ التـــي سَـــمَّيْتَهَا بِالجَهلِ مِنْـــكَ العَـــدْلَ وَالتَّوحيـــدَا[2]

[الكامل]

ووردت في هذين البيتين ألفاظ المعتزلة؛ كالعدل، والتوحيد، وهما من المبادئ التي قام عليها المذهب الاعتزالي. كما وردت كلمة النظير، وهي من ألفاظ المتكلمين، ومن ذلك ما قاله أبو نواس في مدح الأمين، حيث يقول:

ألا يَـــا خَيْـــرَ مَـــنْ رَأَتِ العُيـــونُ نَظيـــرُكَ لا يَحِـــسُّ وَلا يَكـــونُ[3]

[الوافر]

ومن مصادر اشتقاق الأفكار المذهب الشيعي، حيث وردت ألفاظ كثيرة ومصطلحات عدة يستخدمها الشيعة ومن ذلك قول السيد الحميري:

ألا إنَّ الأئِمَـــةَ مِـــنْ قُـــرَيشٍ ن وُلاةُ الحَـــقِّ، أَرْبَعَـــةٌ سَـــواءُ
عَلِـــيٌّ والثَّلاثَـــةُ مِـــنْ بَنِيـــهِ هُـــمْ أَسْبَـــاطُـــهُ والأَولِيـــاءُ

---

[1] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 73.

[2] المصدر السابق. ص 125، 126.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص 116.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـــأتَّى فـــي وَصِـــيتهِ إلـــيهم ... يكـــون الشـــك منـــا والمـــراء
بهـــم أوصـــاهم ودعـــا إلـــيهم ... جَميعُ الخَلـق لَـو سَـمِعض الـدُّعاءُ
فَسِـــبطٌ سِـــبط إيمـــانٍ وَحلـــم ... وسِـــــبطٌ غَيَّبَتـــــهُ كَـــــربَلاءُ
وَسِـــبطٌ لا يَـــذوقُ المَـــوتَ حَتَّـــى ... يَقُـــودُ الخَيـــلَ يقـــدمها اللـــواءُ[1]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات يحدد الأئمة ويذكرهم واحداً واحداً. ومن ذلك قول الشاعر كذلك:

سَـــميُّ نَبِيِّنـــا لَـــمْ يَبـــقَ مِـــنهُم ... سِـــواهُ فعنـــدَهُ حَصَـــلَ الرَّجَـــاءُ[2]
تَغَيَّـــبَ غَيبَـــةً مِـــنْ غَيْـــرِ مَـــوتٍ ... وَلا قَتـــلٍ وَســـارَ بِـــهِ القَضـــاءُ
وَبَينَ الوَحشِ يَرعَـى فـي رِيـاضٍ ... مِـــنَ الآفـــاق مَرتعهَـــا خَـــلاءُ[3]

[الوافر]

وفي هذه الأبيات يشير إلى آخر إمام من أئمة الشيعة الذي دخل سرداباً واختفى وأنه يعيش مع الوحش، وهو لم يمت بعد. ويكثر ذكر الأئمة في شعر الشيعة ومن ذلك قول دعبل:

يَـــا أحْمَـــدُ بـــنَ أبِـــي دُؤاد دَعْـــوَةً ... أحِبَّـــايَ مـــا عاشُـــوا وَأهْـــلُ ثِقـــاتِي
مـــا هـــذِهِ البِـــدَعُ الـــي سَـــمَّيْتَهَـــا ... وَزِدْ حُبَّهـــم يـــا رَبِّ فـــي حَسناتِـــي
أَلَمْ تَـــرَ أنّـــي مِنْ ثلاثِيـــن حِجَّـــةً ... أرُوحُ وَأغْـــدُو دائِـــمَ الحَســـراتِ
أرَى فَيـــئَهُم فـــي غَيـــرِهِمُ مُتَقَسَّـــماً ... وَأيـــدِيهُم مِـــن فَيـــئِهم صَـــفِراتِ
وَلَوْلا الذِي أرجُوهُ في اليـومِ أو غَـدٍ ... تَقَطَّـــعَ قَلبِـــي إثْـــرهم حَســـراتِ
خُـــروجُ إمـــامٍ لا مَحالَـــةَ خَـــارِجٌ ... يَقُـــومُ علـــى اسْـــمِ اللهِ وَالبَرَكـــاتِ
يُمَيِّـــزُ فينـــا كـــل حَـــقٍّ وَباطِـــلٍ ... وَيُجـــزِي علـــى النَّعمـــاءِ والنَّقمـــاتِ[4]

[الطويل]

---

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 51.

[2] المذهب الكيساني يرى رجعة محمد بن الحنفية إلى الدنيا وكان السيد يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسـد ونمـر يحفظانه وعنده عينان نضاختان يجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً .

[3] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 49، 50.

[4] دعبل: **ديوانه**. ص 42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: الألفاظ والمعاني

من أبرز الملاحظات التي تطالع القارئ لشعر الخلافة في العصر العباسي، طابع السهولة والشعبية والبساطة في هذا الشعر؛ فنادراً ما يحتاج القارئ إلى معجم ليستخرج منه معنى مبهماً، أو يستوضح منه تركيباً صعباً.

ومن الطبيعي أن يكون شعر الخلافة بهذه الصفة، طالما أنه شعر سياسي موجه لكل الناس بهدف التأثير فيهم، وتوجيههم للوجهة التي يريدها الشاعر، فليس الشعر والحالة تلك موجهاً لفئة خاصة من الناس حتى يكون خاصاً في ألفاظه ومعانيه وأفكاره وصوره وأساليبه. ومن أبرز الأشعار التي تتصف بالسهولة واليسر، أشعار أبي العتاهية، ومنها قصيدته التي مدح فيها الخليفة بقوله:

أتَتْهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً إليهِ تُجَرِّرُ أذيالَهَا
ولَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَهُ ولَمْ يَكُ يَصْلُحُ إلاّ لَهَا
ولَوْ رامَهَا أحَدٌ غَيْرَهُ لزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالَهَا
وإنَّ الخليفَةَ مَنْ بغضِ لا إليه لَيُبْغضُ من قالها[1]

[المتقارب]

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن الشاعر "يختار لمديحه أسلوباً خفيفاً يجعله قريباً إلى النفوس، وهو في ذلك يخطو بعد بشار خطوة، فقد كان بشار يحافظ في مدائحه على الأسلوب الجزل القوي، وكذلك كان يصنع أبو نواس غالباً، أما أبو العتاهية فالتزم هذا الأسلوب اليسير لا في غزلياته شأن أبي نواس، بل أيضاً في مدائحه، وهي سهولة تقترن بموسيقا صافية حلوة"[2].

ومن السمات المتعلقة بالصياغة كذلك، وضوح المعاني وقربها من الأفهام؛ فشعر الخلافة في الأعم الأغلب يتسم بالوضوح في تراكيبه ومعانيه، ومن الأمثلة على ذلك، قول مروان بن أبي حفصة:

---

[1] أبو العتاهية: **ديوانه** . ص309

[2] ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ص 169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عُقِــدَتْ لِموسَـــى بِالرَّصـــافَةِ بَيعَـــةٌ شَـدَّ الإلـــهُ بِهـــا عُـــرَى الإســـلامِ
موسى الذي عَرَفَـتْ قُـريشٌ فَضـلَهُ وَ لَهـــا فَضـــيلَتُها علـــى الأقـــوامِ
بِمُحَمَّـــدٍ بَعـــدَ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــد حَيِّ الحَـــلالَ وَ مـــاتَ كُـــلِّ حَـــرامِ
مَهـــدي أمَّتـــهِ الـــذي أمْسَـــتْ بِـــهِ لِلـــــذُّلِ آمنَـــــةٌ وَ لِلإعـــــدامِ
موسَـــى وَلـــي عَهـــدُ الخِلافَـــةِ بَعـــده جَفَّتْ بِذاكَ مَواقِـــعَ الأقلامِ[1]

[الكامل]

فالألفاظ في هذه الأبيات تشرح نفسها بنفسها، ولا داعي للبحث عن معانٍ لها، وهـــي بســـاطة تدفع بالشعر إلى الاقتراب من لغة الحياة اليومية، وبالرجوع إلى الأشعار الواردة في الفصل الأول من هذه الدراسة يظهر لنا صدق هذا الرأي، اللهم إلا من أشعار لأبي نواس نظمها في المـــديح والرثـــاء، وحرص أن يتبع فيها أساليب القدماء على نحو ما أشرنا.

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 317.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الموسيقا الشعرية

المطلب الأول: الموسيقا الخارجية

أولاً: الوزن العروضي

يرى بعض الباحثين "أن البحر الطويل قد نُظِم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولا سيما الأغراض الجدّيّة، الجليلة الشأن، وهو لكثرة مقاطعه؛ يتناسب وجلال مواقف المفاخرة، والمهاجاة، والمناظرة، تلك التي عُنِيَ بها الجاهليون عناية كبيرة... ثم نرى كلاًّ من الكامل والبسيط، يمثل المرتبة الثانية في نسبة الشيوع، وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف. وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ، يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم منها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية"[1]. وعن البحر الطويل يقول الدكتور أحمد الشايب: إن البحر الطويل "يتسع لكثير من المعاني"[2].

وهكذا، نجد أن البحور الأكثر استعمالاً في العصور القديمة، هي: الطويل، والبسيط، والكامل، والخفيف، والوافر. ومما لا شك فيه أن هناك ارتباطاً بين البحر العروضي، والموضوع الشعري المطروق، وإن كان هذا الارتباط يختلف على تقدير حجمه الباحثون؛ فيميل بعضهم إلى تقرير الموسيقا الداخلية، وما للألفاظ ومعانيها وإيحاءاتها من أثر في تحقيق الموسيقا الشعرية، وهو ما سنتعرض له في الموسيقا الداخلية.

والعصر العباسي الذي نتعرض بدراسة موضوع شعر الخلافة فيه، اتسم بمحاولات جادة قام بها كثير من الشعراء للثورة على الأساليب القديمة في الشعر، سواء من ناحية الموضوع، أو من ناحية

---

[1] أنيس، إبراهيم: **موسيقا الشعر العربي**. ص210. بيروت: دار القلم. 1965م.

[2] الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. ص322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوزن، وقد تم تفصيل التطور من ناحية الموضوع في المبحثين السابقين، أما من ناحية الوزن، فإننا سنحاول التعرض إلى ما طرأ من تطور في هذا المجال.

ولما كانت الثورة ضد الأساليب القديمة في هذا العصر لم تصل إلى درجة النضج، فإننا وجدنا كثيراً من الشعراء الداعين إلى هذه الثورة، يضطرون في كثير من الأحيان إلى السير على نهج القدماء، وبخاصة ما ورد عن أبي نواس في تقليده لمعاني القدماء في مديحه ورثائه؛ لأنه في هذه الأشعار ينظم أبياتاً لتلقى استحسان الناس، وعلى رأسهم الخليفة، بخلاف شعره الخمري الذي نهج فيه النهج الذي يريد.

وما دام الأمر كذلك، فإننا نجد في شعر الخلافة مزجاً لأساليب القدماء فيما يتعلق بالوزن العروضي، ومنهج المحدثين في ذلك؛ أي أننا نجد بعض الأوزان التي اشتهر بها المتقدمون، بالإضافة إلى أوزان خفيفة ومجزوءة أخرى أولع بها المحدثون، ولا سيما وأن التطور الشعري كان في مرحلة المخاض بعد.

ومن الأمثلة على الأبيات التي جاءت على البحر الطويل، مثلاً، قول الشاعر:

لَقَدْ فازَ مُوسى بِالخِلافَةِ وَالهُدى وَماتَ أميرُ المُؤمنينَ محمَّدُ [1]

وقول الشاعر كذلك:

أبا مُجرِمٍ ما غَيّرَ اللهُ نِعمَةً عَلَى عَبدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَها العَبدُ[2]

وقول الشاعر أبي نواس في رثاء الأمين:

طَوَى المَوتُ ما بَيني وَبين مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تُطوَي المَنيَّةُ ناشِرُ[1]

وهكذا، نجد أن الأشعار التي نظمت على البحر الطويل كانت في موضوعات المدح (المثال الأول)، والهجاء السياسي (المثال الثاني)، والرثاء (المثال الثالث). وهي موضوعات جدية إن جاز

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: شعراء عباسيون (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 96.

[2] أبو دلامة: ديوانه. ص 52.

[1] أبو نواس: ديوانه. ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعبير أو قل موضوعات مدفوعة الأجر، وقد لا تعبر عن موقف الشاعر حقيقة، أو غير صادرة عن عاطفة صادقة.

أما البحر الكامل، فالأمثلة عليه وفيرة، ومنها قول الشاعر:

طَرَقَتْكَ زائِرَةً فَحَيِّ خَيالَها بَيضاءُ تُخلِطُ بِالحَياءِ دَلالَها[1]

دَلالَها[1]

وهي قصيدة تقع في (38) بيتاً، وموضوعها المديح، ولكن الشاعر بدأه بالغزل وهي طريقة تقليدية. ومن الأمثلة على الكامل كذلك، قول الشاعر:

قُلْ لِلْمَنازِلِ بِالكثيبِ الأعفَرِ أُسْقيتِ غاديةَ السحابِ الممطِرِ[2]

الممطِرِ[2]

وقول الشاعر:

عينان: واحدة تُرى مَسْرورَةً بإمامِها جَذْلَى وأخرَى تَذرِفُ[3]

تَذرِفُ[3]

وقول الشاعر:

ما هذِهِ البِدَعُ التي سَمَّيتَها بالجهلِ مِنْكَ العَدلَ والتَّوحيدا

أَفسَدتَ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلِيتَهُ وَرَمَيتَهُ بِأَبِي الوَلِيدِ وَلِيدا [4]

[4]

وحتى لا نطيل الكلام عن هذه البحور، فإن الأمثلة على البحور المشهورة كثيرة؛ فعلى البحر البسيط، قول الشاعر:

لَو يُعبَدُ النَّاسُ يا مَهدِيَ أَفْضَلَهُم ما كانَ في النَّاسِ إلا أَنْتَ مَعبُودُ[1]

---

[1] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 96.

[2] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 100.

[3] أبو دلامة: ديوانه. ص 82، 83.

[4] ابن الجهم: **ديوانه**. ص 125، 126.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَعبُــودُ[1]

وعلى البحر الوافر، قول الشاعر:

ألا يــا خَيْـرَ مَــنْ رَأتِ العُيــونُ نَظـيرُكَ لا يَحِــسُّ وَلا يَكُــونُ[2]

و قول الشاعر:

سَمــيُّ نَبينــا لَــمْ يَبْــقَ مِنْــهُــم سِــواهُ فَعِنــدَهُ حَصَــلَ الــرَّجاءُ [3]

أما البحور الخفيفة والمجزوءة، فإن من الأمثلة عليها، قول الشاعر:

وإلــى أمــيــرِ المُــؤمــنيــنَ مُحَمَّــدٍ خَيْــرِ الأنــــــام[4]

والقصيدة على مجزوء الكامل، وقد وردت أبيات على البحر السريع، ومنها:

لَمَّــا أَتَــت خَيــرَ بَنِــي هاشِــمٍ خِلافَــــةُ اللهِ بِجرجــــانِ
شَمَّــرَ لِلحَــزمِ سَــرابيــلَــهُ بِــرأيِ لا غُمْــرٍ ولا وانِــي [1]

أما البحر المتقارب، فمنه قول الشاعر:

أَتَتــــهُ الخِلافَــــةُ مُنْقــــادَةً إليــــهِ تُجَــــرِّرُ أذيالَهَــــا
ولَــمْ تــكُ تَــصلُــحُ إلاّ لــهُ ولَــمْ يَــكُ يَــصلُــحُ إلاّ لَهَا[2]

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص77. والأصفهاني: **الأغاني**. 16/ 29.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 116.

[3] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 49، 50.

[4] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 114، 115.

[1] المصدر السابق. ص 117.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه أحد الأدباء اليسوعيين. ص309.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا، نجد الشعراء راوحوا بين استخدامهم للأوزان الطويلة والتامة، وبين الأوزان القصيرة والمجزوءة، وإن كانت أمثلة النوع الأول أكثر وروداً.

ثانياً: القافية

للقافية دور مهم في تشكيل الموسيقا الخارجية للشعر، ولا نقصد بالقافية، هنا، الروي فقط، بل كل ما يتعلَّق بموسيقا الشعر من حروف القافية، كالوصل، والخروج، والردف، والتأسيس[1]. وقد تنبه الأدباء والباحثون إلى دور الروي في إضفاء موسيقا شعرية للأبيات تسهم في تكامل الموسيقا الشعرية للقصيدة، وتحقيقها، وقد رأى بعضهم أن هناك حروفاً"تصلح للروي، فتكون جميلة الجرس، لذيذة النغم، سهلة المتناول، وبخاصة إذا كانت القافية مطلقة، ومن ذلك الهمزة، والباء، والدال، والراء، والعين، واللام"[2].

وسنحاول في الأسطر التالية تتبع الروي في أشعار الخلافة لنتبين مدى توافقها مع ما ذهب إليه الشايب. وبالنظر في الأشعار التي نظمت في صورة الخلافة، وبالأخص ما ورد منها في هذه الدراسة؛ فإن حضوراً كبيراً لهذه الأحرف نجده في رويها؛ فعلى سبيل المثال، فإن من الأشعار التي وردت على روي الدال، مثلاً، قول الحسين بن مطير:

لَوْ يُعبَدُ النَّاسُ يا مَهدِيَ أَفْضَلهُم ما كانَ في النَّاسِ إلا أنْتَ مَعبُود [1]

[الوافر]

وقصيدة سلم الخاسر التي يقول فيها:

---

[1] الوصل: حرف مد ناتج عن إشباع حركة الروي، أو هاء ساكنة تتبع الروي. الخروج: حرف مد ناتج عن إشباع هاء الوصل. الردف: حرف مد يسبق الروي. التأسيس: حرف مد بينه وبين الروي حرف صحيح. عتيق، عبد العزيز: علم العروض والقافية. دار النهضة العربية. بيروت. 1987. ص143 وما بعدها

[2] الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي. ص325.

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص77. والأصفهاني: الأغاني. ج 16/ ص 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَقَدء فَازَ مُوســى بِالخِلافَــةِ وَالهُــدَى وَمــاتَ أميــرُ المُــؤمنينَ محمَّــدُ [1]

[الطويل]

وقصيدة أبي العتاهية التي يقول فيها:

أنـــــتَ المُقابِـــــلُ والمُـــــدا بِــرُ فــي المناســبِ والعَديــدِ[2]

[مجزوء الكامل]

أما روي الراء، فقد ورد في قصيدة سلم الخاسر التي جاء فيها:

قُـــلْ لِلمنـــازِلَ بِلكثيـــبِ الأعفَـــرِ أُسَقيتِ غادِيَــةَ السَّــحابِ المُمطِــرِ[3]

[الكامل]

كما ورد في قصيدة أبي دلامة التي جاء فيها:

إنِّـــي رَأيتُـــكَ فـــي المَنَـــا مِ وأنـــتَ تُعطِينِـــي خِيـــارَهْ

مَملـــــــوءَة بِـــــــدراهمٍ وعليـــكَ تفســـيرُ العِبـــارَهْ[4]

[مجزوء الكامل]

وقصيدة منصور النمري التي جاء فيها:

يَــدٌ لَــكَ فــي رِقــابِ بَنِــي علــي ومــنٌّ لَــيسَ بِــالمَنِّ الصَّــغيرِ[1]

[الوافر]

وقصيدة أبي نواس في استعطاف الأمين التي جاء فيها:

تذكرْ أمــين الله- والعهــدُ يــذكرُ- مقامي، وإنشاديك، والنــاسُ حُضَّــرُ[2]

[الطويل]

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 96.

[2] أبو العتاهية: **ديوانه**. ص 310.

[3] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 100.

[4] أبو دلامة: ديوانه. ت إميل بديع يعقوب. ص 61.

[1] النمري: **ديوانه**. ص 85، 87.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص 106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وورد اللام روياً في قول الشاعر مروان بن أبي حفصة:

طَرَقَتــــكَ زائِـــرَةً فَحَـــيِّ خَيالَهـــا بَيضاءُ تُخلِـطُ بِالحَيــاءِ دَلالَهــا[1]

[الكامل]

كما وردت الهمزة روياً في قول السيد الحميري:

ألا إن الأئِمَّـــــةَ مِـــنْ قُـــريشٍ وُلاةُ الحَـــــقِّ، أربَعَـــةٌ سَـــواء

عَلِـــيٌّ والثَّلاثَـــةُ مِـــنْ بَنيـــهِ هُـــمْ أســـباطُهُ والأوليـــاء[2]

[الوافر]

وورد العين روياً في قول الشاعر السيد الحميري:

إنَّ الخِلافَـــةَ كانَـــت إرثَ والَـــدِكُم مـــن دونِ تَـــيم وعَفْـــو اللهِ مُتَسَـــعُ

وَمَـــا لآلِ عَلِـــيٍّ فـــي إمـــارَتِكُم حَقٌّ وما لَهُـــم فـــي إرثِكُـــم طَمَـــعُ[3]

[البسيط]

وورد الباء روياً في قول الشاعر:

سَـــخَّرَ اللهُ للأمـــينِ مَطَايـــا لَـــمْ تُسَـــخَّرْ لِصـــاحِبِ المِحـــرابِ

فَـــإذا مَـــا رِكابَـــهُ سِـــرنَ بَحْـــرَاً سارَ في الماءِ راكِبـــاً لَيْـــثَ غـــابِ[1]

[الخفيف]

وهكذا، كانت الأصوات التي رأى الباحثون أنها تصلح للروي أكثر من غيرها، لها حضور في شـــعر وصف الخلافة.

المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية

---

[1] مروان بن أبي حفصة: **ديوانه**. ص 96.

[2] السيد الحميري: **ديوانه**. ص 51.

[3] النمري: ديوانه. ص97، 103

[1] المصدر السابق . ص 116.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرى بعض الباحثين أن العروض لا يستطيع أن يحقق الموسيقا الداخلية للشعر، ولا بد لذلك من توافر جانبين مهمين: الأول، اختيار الكلمات وترتيبها. والثاني، المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها، وعليه فإن الشعراء يتفاضلون فيما بينهم[1].

وإذا كانت الأوزان الشعرية وحرف الروي لها دور في تحقيق الموسيقا الشعرية، فإن الموسيقا الداخلية التصويرية لا تتحقق؛ فقد تتشابه القصائد في البحور التي تنظم عليها وقد تتوحد كذلك في القافية، وفي الموضوع الشعري، كما يحدث في المعارضات أو النقائض مثلاً، ولكن القصائد تتفاوت فيما بينها في القيمة الفنية؛ مما يتطلب البحث عن أمر آخر، ربما يكون هو السر في تحقيق سحر البيان.

ومن مظاهر الموسيقا الداخلية:

أولاً: التجسيم والتشخيص

من التقنيات الفنية التي استخدمت في العصر العباسي، ظاهرة التجسيم والتشخيص؛ فكثيراً ما يحقق التشبيه والاستعارة صورة تقريبية لشيء ذهني، ولكن التشخيص يعني خلع الحياة على الجوامد أو ما في حكمه من نباتات وأشجار بعض صفات الأشخاص كقول الشاعر : (فنسيم المياه يسرق عطرا) فهو هنا يشخص النسيم في صورة لص ظريف يسرق العطر من الطبيعة، أما التجسيم : هو نقل ما هو معنوي إلى صورة المحسوس، ثم بث الحياة فيها كالقول : (شحبت الفضيلة) : فالفضيلة شيء معنوي أُحيل إلى شيء ملموس (إنسان مريض)، فإكساب الجمادات صفة الاشخاص، يحقق موسيقا داخلية تجعل للجوامد صفات الأحياء. ومن الأمثلة على التشخيص، قول الشاعر سلم الخاسر:

قُـــل لِلمنـــازِلِ بِالكَثيـــبِ الأعفَـــرِ اُسَـــقيتِ غادِيَـــةَ السَّـــحابِ المُطِـــرِ[1]

[الكامل]

فالشاعر هنا، يخاطب المنازل وهي من الجماد، بينما يرى الشاعر نفسه في موطن آخر الخلافة تأتي للخليفة هي، فيقول:

---

[1] درويش، العربي حسن: الشعراء المحدثون في العصر العباسي. ص 186.

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 100.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَمَّـــا أتـــتْ خَيـــرَ بَنِـــي هاشِـــمٍ خِلافَـــــــةُ اللهِ بجرجـــــــانِ
شَـــــمَّرَ لِلحَـــــزمِ سَـــــرابيلَهُ بِـــرأيٍ لا غُمْـــرٍ ولا وانِـــي [1]

[السريع]

وللدلالة على كرم الخليفة، يرى الشاعر أن البحار تغرف من بحر الخليفة، فيقول:

بِسُـــرَّ مـــن را إمـــامَ عَـــدلٍ تَغـــرِفُ مِـــنْ بَحـــرِهِ البحـــارُ[2]

[مخلع البسيط]

أما أبو نواس فيرى أن الخلافة تزهو وتتفاخر بالخليفة الأمين، إذ يقول:

إنَّ الخِلافَـــــةَ لَـــــم تَـــــزَلْ تَزهُـــــو وتَفْخَـــــرُ بِـــــالأمينِ
وَتَحِـــــنُّ مِـــــنْ شَـــــوقٍ إليـــــ ـــــهِ دائِمـــــــةَ الحَنـــــينِ[3]

[مجزوء الكامل]

وأما أبو العتاهية، فيقرر أن الخلافة هي التي أتت للخليفة مذعنة منقادة، فيقول:

أتَتـــــهُ الخِلافَـــــةُ مُنقـــــادَةً إليـــــهِ تُجَـــــرِّرُ أذيالضـــــها[1]

[المتقارب]

ثانياً: السيولة والتدفق

نعني بالسيولة والتدفق، أن الأبيات والألفاظ تتسلسل في القصيدة كما تتسلسل العواطف والأفكار الذهنية عند الشاعر؛ وعندها تكون القصيدة، أو مجموعة الأبيات، جسماً متلاحماً متآلفاً، يؤدي السابق منه للتالي، وتكون الأبيات عندئذ متسلسلة كتسلسل القصة. ومن الأمثلة على السيولة والتدفق هذا، ما نظمه الشاعر دعبل الخزاعي، في هجاء المعتصم، في قصيدته التي جاء فيها:

---

[1] المصدر السابق. ص 117.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 396.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص 115.

[1] أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه احد الأدباء اليسوعيين. ص309.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقـــامَ إمـــامٌ لَـــمْ يَكُـــن ذا هِدايَـــة فليسَ لَـــهُ ديـــنٌ ولَـــيسَ لَـــهُ لُـــبُّ [1]

[الطويل]

ففي هذا البيت يقرر الشاعر أن الخليفة لم يكن مهدياً، ولا لب له، وهو الآن (الشاعر) لم يحدد الخليفة الذي يتحدث عنه. ثم يمضي في البيت الثاني ليقرر أن الأنباء والأخبار تشير إلى عدم أهليتـــه للخلافة، وبذلك هو يقدم الدليل على ما قاله في البيت الأول، فيقول:

ومَـــا كانَـــتِ الأنبـــاءُ تَـــأتِي بِمِثلِـــهِ يُمَلَّكُ يومـــاً أو تـــدينُ لَـــهُ العـــربُ[2]

[الطويل]

ثم يمضي في البيتين الثالث والرابع ليقرر أن خلفاء بني العباس هم سبعة فقط، أما الثامن فهـــو محـــط شك، وبذلك بدأ الشاعر يحدد المقصود من هجائه هذا، وهو المعتصم، فيقول:

ولَكِـــن كَمـــا قـــالَ الـــذينَ تَتـــابَعُوا مِنَ السَّلَفِ الماضِينَ إذ عَظُمَ الخَطـــبُ

مُلوكُ بني العَبَّاس في الكُتُبِ سَـــبْعَةٌ ولَمْ تَأتِنا عـــن ثـــامِنٍ لُهـــم كُتُـــبُ [3]

[الطويل]

وبعد أن اتهم الشاعر الخليفة بقلة العقل وقلة الهداية، وأن الأخبار لم تشر إلى خلافته، وأنـــه لا يستحق هذا المنصب، مشيراً إلى أن خلفاء بني العباس هم سبعة فقط، يبدأ في هجاء الخليفة من طرف خفي عندما يقول: إن الخلفاء العباسيين كأهل الكهف سبعة أما الثامن فهو كلبهم، فيقول:

كَذلِ أهلُ الكَهفِ في الكَهـــفِ سَـــبْعَةٌ خِيـــارٌ إذا عُـــدُّوا، وَثـــامِنُهُم كَلـــبُ[1]

[الطويل]

ثم يستدرك الشاعر، عندما يرى أن تشبيهه هذا غير كاف، فيقرر أن كلب أصحاب الكهف ليس له ذنب بخلاف الخليفة فهو مذنب، فيقول:

وإنِّي لأُعلِـــي كَلـــبَهُم عَنْـــكَ رِفْعَـــةً لأنَّكَ ذُو ذَنْـــبٍ، ولَـــيْسَ لَـــهُ ذنْـــبُ[2]

---

[1] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 369.

[2] السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 369.

[3] المصدر السابق. ص 369.

[1] المصدر السابق. ص 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الطويل]

ويمضي الشاعر بعد ذلك ليقرر النتيجة الطبيعية لذلك (حسب وجهة نظره) وهي ضياع حقوق الناس والعباد، فيقول:

لَقَدْ ضَاعَ مِلكُ النَّاسِ إذ سَاسَ مِلكَهُم وَصيفٌ، وأشناسٌ، وَقَد عَظُمَ الكَرْبُ[2]

[الطويل]

وهكذا، وجدنا الشاعر يتسلسل في هجاء المعتصم، بادئاً بالحديث عن خليفة لم يسمه، ثم كنى عنه عندما أشار إلى أن هجاءه ينصب على ثامن الخلفاء، وقد شبه العباسيين بأصحاب الكهف للإيحاء بشتم المعتصم، ثم استدرك مشيراً إلى تفضيل الكلب عليه، وخلص إلى النتيجة التي حدثت وهي فساد الأمة نتيجة إطلاق المعتصم يد الموالي الترك ليتحكموا في رقاب الناس وأموالهم.

ثالثاً: التكرار والمشتقات

يشكل التكرار ظاهرة أسلوبية داخل النص الشعري فلا يأتي عبثاً ن وإنما يعمل على توضيح وإنارة الشعر من عدة جوانب ، الجانب الأول :أنه يظهر الوحدة العضوية بحيث تبدو الأبيات داخل النص متماسكة بعضها ببعض، وكأنها منظومة في عقدٍ فريد ، أمّا الجانب الثاني فيتصل بالقيمة الجمالية التي يحدثها أسلوب التكرار من خلال الكشف عن مشاعر الذات، ودهشة وانبهار المتلقي بشعرية الشعر (1). فالتكرار مهم في بناء النص الشعري .

---

(1) المصدر السابق. ص 369.

(2) السيوطي: **تاريخ الخلفاء**. ص 369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يؤدي تكرار الكلمة بلفظها أو إحدى مشتقاتها، إلى منح الأشعار جرساً موسيقياً، من خلال تكرار وحدات معنوية كالكلمات أو التراكيب. ومن الأمثلة على التكرار، قول الشاعر مروان بن أبي حفصة:

لَم تَغشَها ممّا تَخافُ عَظيمَةٌ إلا أَجالَ لَها الأُمورَ مَجالَها
حَتّى يُفَرِّجُها أَغَرُّ مُبارَكٌ أَلفى أَباهُ مُفَرِّجاً أَمثالَها
ثَبتٌ عَلى زَلَلِ الحَوادِثِ راكِبٌ مِن صَرفِهِنَّ لِكُلِّ حالٍ حالَها
[الكامل]

وفي البيت الأول تكرار أجال، ومجال، وهما من الاشتقاق نفسه. وفي الثاني يفرِّج، ومفرِّج من الأصل (فرج)، وفي البيت الثالث تكرار حال، وحالها.

ومن الأمثلة كذلك على التكرار، قول الشاعر مروان بن أبي حفصة:

الوَحيُ بينَ بَني البَناتِ وَبَينَكُم قَطَعَ الخِصامَ فَلاتَ حينَ خِصامِ
أَنّي يَكونُ وَلَيسَ ذاكَ بِكائِنٍ لِبَني البَناتِ وِراثَةُ الأَعمامِ
أَلغى سِهامَهُمُ الكِتابُ فَحاوَلوا أَن يَشرَعوا فيها بِغَيرِ سِهامِ[1]
[الكامل]

ففي البيت الأول تكرار كلمة (الخصام)، وفي الثاني تكرار (يكون وكائن) وهما من الأصل (كان)، وفي الثالث تكررت كلمة (سهام).

ومن الأمثلة على التكرار كذلك قول الشاعر:

سقَى الله نجداً والسَّلامُ على نَجدِ ويا حَبَّذا نجدٌ على النَّاي والبعدِ
نظرتُ إلى نَجدٍ وبغدادُ دونها لَعلِي أرَى نجداً وهيهاتَ من نَجدِ

[1] الأصفهاني: **الأغاني**. 13/ 220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بــــلادٌ بِهـــا قـــومُ هَـــواهُمْ زِيـــارتي ولا شيء أشهى من زِيارتِهم عِندي[1]

[الطويل]

ففي هذه الأبيات تكرار لكلمة (نجد) حيث وردت خمس مرات في البيتين الأول والثاني، أمـــا كلمة زيارة فقد وردت مرتين في البيت الثالث.

ما سبقت الإشارة إليه كان تكراراً لألفاظ محددة، ولكن، هناك أمثلة على تكرار تراكيب، ومنها قول الشاعر:

أبـــا مُجـــرِمٍ ما غَيّـــرَ اللهُ نِـــعمَـــــــةً عَلَـــى عَبـــدِهِ حَتَّـــى يُغَيِّـــرَها العَبـــدُ

أبـــا مُجـــرِمٍ خَـــوَّفْتَني القَتـــلَ فَـــانتَحَى عَلَيـــكَ بمـــا خَـــوَّفتَنِي الأسَـــدُ الـــوَرَدُ

أَفـــي دَولَـــةِ المَهـــدِيِّ حَاوَلـــتَ غَـــدرَةً ألا إنَّ أَهـــلَ الغَـــدرِ آبـــاؤُكَ الكُـــردُ [2]

[الطويل]

حيث تكرر التركيب (أبا مجرم) في البيتين الأول والثاني، بالإضافة إلى تكرار كلمات: (العبد) في البيت الأول، و(خوفتني) في البيت الثاني، و(الغدر) في البيت الثالث.

ومن الأمثلة على تكرار التراكيب قول الشاعر:

دونكمـــا يـــا بَنِـــي هاشِـــمٍ فَجَـــدِدُوا مِـــنْ عَهـــدِها الطَّامســـا

دونكمـــا لا عَـــلا كَعـــبُ مَـــنْ أمْسَـــى عَلَـــيكُم مَلِكُهَـــا مُنافِسَـــا

دونكمـــا فَالبِسُـــوا تاجَهَـــا لا تَعـــدِمُوا مِـــنْكُم لابِسَـــا[1]

[السريع]

وقد كرر الشاعر التركيب (دونكما) في الأبيات الثلاثة.

رابعاً: ملاءمة اللفظ للمعنى

من الأمور اللازمة لتحقيق الموسيقا الشعرية ملاءمة الألفاظ لمعانيها، ولا بد من وجود ارتباط بين الموضوع الشعري والألفاظ المعبرة عن معانيه، فالمطلوب من الشاعر اختيار الكلمـــات الرقيقـــة

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني** . 23/ 216.

[2] أبو دلامة: **ديوانه**. ص 52.

[1] السيد الحميري: **ديوانه**. ت شاكر هادي شكر. ص258، 259.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتعبير عن المعاني الرقيقة، واستخدام الألفاظ الجزلة للتعبير عن المعاني الجدية السامية. ومن الأمثلة على ملاءمة الألفاظ لمعانيها، ما نظمه الشاعر منصور النمري مصوراً مقتل الحسين، فيقول:

فَوافَوْا كَرْبَلاءَ مَعَ المَنايا ... بِمِرداةٍ مُسَوَّمَةِ الخُيولِ
فَمَا بَخلَتْ أَكُفُّهُمُ بِضَرْبٍ ... كَأَمْثَالِ المَصاعِبَةِ البُزولِ
وَلا وُجِدَتْ عَلى الأصْلابِ مِنْهُمْ ... وَلا الأكْتَافِ آثَارُ النُّصولِ
وَلكِنَّ الوُجوهَ بِهَا كُلُومٌ ... وَفَوقَ نُحورِهِمْ مَجْرَى السُّيولِ
أُرِيقَ دَمُ الحُسَينِ وَلَمْ يُراعُوا ... وَفي الأحْيَاءِ أمْواتُ العُقولِ[1]

[الوافر]

وما دام الشاعر يتحدث عن مقتل الحسين بوحشية؛ فإنه يحشد الكثير من ألفاظ القسوة والشدة، ومنها: (المنايا)، و(ضرب)، و(النصول)، و(كلوم)، و(مجرى السيول)، و(أريق دم الحسين)، و(أموات).

ولو توجهنا إلى أبي نواس لوجدنا نمطين شعريين عنده؛ فعندما رثى الأمين استخدم الألفاظ الجزلة الدالة على الحزن والموت، على نحو ما يقول:

طَوَى المَوتُ ما بَيني وَبَينَ مُحَمَّدٍ ... وَلَيْسَ لِمَا تَطوي المَنِيَّةُ ناشِرُ
فَلا وَصْلُ إلا عَبْرَةٌ تَسْتَديمُهَا ... أحاديثُ نَفْسٍ مَا لَهَا الدَّهرَ ذاكِرُ
وَكُنتُ عَليهِ أَحْذَرُ المَوتَ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيءٌ عَلَيهِ أُحَاذِرُ
لَئِنْ عَمُرَتْ دورٌ بِمَنْ لا أودُّهُ ... فَقَدْ عَمُرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المَقَابِرُ[1]

[الطويل]

فقد استخدم أبو نواس لفظ الموت أو ما يرادفه ثلاث مرات، ثم أورد الألفاظ الدالة على الحزن، كـ (طوى)، و(تطوي)، و(عبرة)، و(أحذر)، و(أحاذر)، و(المقابر).

أما عندما تحدث أبو نواس عن الخمرة، فإن ألفاظه جاءت بمنتهى الرقة والبساطة والسلاسة، فيقول:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ ... وَداوِنِي بِالتِي كانَتْ هِيَ الدَّاءُ

---

[1] النمري: **ديوانه**. ص 126، 127.

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صَفْراءُ لا تَنْزِلُ الأحْـزانُ سَـاحَتها لَـوْ مَسَّـهَا حَجَـرٌ مَسَّـتهُ سَـرَّاءُ
قامَـتْ بِإبْرِيقِهَـا وَاللَّيْـلُ مُعتَكِـرٌ فَلاحَ مِـنْ وَجْهِهَـا فـي البَيْـتِ لألاءُ
فَأرْسَلَتْ مِنْ فَـمِ الإبريـق صَـافِيَةً كَأنَّمَـا أخـذُها بِـالعَينِ إغْفَـاءُ
رَقَّتْ عَنْ الماءِ حَتَّـى مـا يُلائِمُهـا لَطافَـةً وَجَفَـا عَـن شـكلها المـاءُ

[البسيط]

ولو نظرنا في الأدب العربي فيما قبل أبي نواس، لوجدنا ذكراً للخمرة، على نحو ما نجده فـي معلقة عمرو بن كلثوم مثلاً، أو في قول الأعشى:

وَكَـأسٌ شَـرِبْتُ عَلَـى لَـذةٍ وَأُخـرَى تَـداوَيتُ مِنْهَـا بِهَـا

[المتقارب]

إلا أن فرقاً في التعبير بين الشاعرين، مع التشابه الظاهري في قوليهما. ويرى بعض الباحثين أن المعنى الذي جاء به أبو نواس وإن لم يكن جديداً "إلا أنه اتخذ على يدي النواسـي إيقاعـاً جديـداً اتضحت فيها بعض صفات العصر من أناقة في التنسيق التركيبي، وذوق موسيقي في اختيار الألفـاظ وترتيبها فلم يذكر الخمر صراحة، لا ليبعد ذكرها بل ليجعلنا نتمثل لها صورة جديـدة ويؤكـد أنهـا حاضرة في وجدانه وروحه"[1].

[1] حمدان، ابتسام أحمد البل: **الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي**. مراجعة أحمد عبد الله فرهود. ط1. دار القلم العربي. حلب. 1997. ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، أمكننا أن نرصد أهم النتائج التي تم التوصل إليها. فقد كان موضوع الخلافة موضوعاً شعرياً خصباً، تناوله شعراء تلك الفترة الزمنية، كل بما يوائم هواه، وتبعاً لآرائه وأهوائه. وقد ظهر أثر التيارات الفكرية والسياسية، والطبقات الاجتماعية والعرقية بارزاً في هذا الموضوع.

أولى هذه النتائج تمثل في أن تناوُل موضوع الخلافة لم يكن نزيهاً ولا موضوعياً حيادياً عند أي صنف من الشعراء ؛ فشعراء الدولة العباسية، مثلاً، تناولوا الموضوع تحت تأثير الرغبة في الجوائز، والحاجة إلى نيل المكانة العليا في البلاط العباسي؛ فأسبغوا على الخلافة والخليفة هالة من القداسة، كانت المبالغة أبرز معالمها، وأوضح خصائصها، ولم ينسَ هؤلاء الشعراء مناسبة شخصية ولا عامة، إلا وأظهروا تأييدهم المطلق للخليفة العباسي فيها؛ فعند موت خليفة، وتولي آخر ينفرون إلى رثاء الأول وتهنئة الثاني، من خلال الجمع بين هذين الفنين، في كل بيت من الأبيات تقريباً، على نحو ما نجده عند سلم الخاسر، مثلاً، إذ يقول:

لَقَدْ فازَ مُوسَى بِالخِلافَةِ وَالهُدى وَماتَ أميرُ المُؤمنينَ مَحَمَّدُ
فَماتَ الذِي عَمَّ البَرِيَّةَ فَقدُهُ وَقامَ الذي يَكفيكَ مِن يَتَفَقَّدُ [1]

[الطويل]

أما شعراء الشيعة، فقد تناولوا هذا الموضوع على نحو مغاير تماماً؛ فقد مال بعضهم إلى هجاء الخليفة والخلافة، ما سنحت لهم الفرصة، ولعل الشاعر دعبل الخزاعي من أبرز الأمثلة على ذلك، وهجاؤه للخليفة المعتصم أشهر من أن يذكر[2]. أما مناسبة موت خليفة وتولي آخر، فقد اغتنمها للجمع بين هجاء الحي و هجاء الميت على نحو قوله:

---

[1] غرونباوم، غوستاف فون: **شعراء عباسيون** (مطيع بن إياس، سلم الخاسر، أبو الشمقمق). ص 96.

[2] **الرسالة**. ص 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحَمْـــدُ للهِ لا صَـــبرٌ ولا جَلَـــدٌ ولا عَـــزاءٌ إذا أهـــلُ الـــبلا رَقَـــدُوا

خَليفَةٌ مـــاتَ لَـــمْ يَحـــزَنْ لَـــهُ أحَـــدٌ وآخـــرٌ قَـــامَ لَـــمْ يَفْـــرَحْ بِـــهِ أحـــدُ

فَمَـــرَّ هـــذا وَمَـــرَّ الشُّـــؤمُ يَتبَعَـــهُ وَقَـــامَ هـــذا فَقَـــامَ الظُّلْـــمُ وَالنَّكَـــدُ[1]

[البسيط]

ولم يكن شعراء الشيعة كلهم على هذه الشاكلة؛ فقد مال بعضهم إلى مهادنة الخليفة تبعاً لمبـــدأ التقية الذي يؤمن به الشيعة، على نحو ما نجده عند منصور النمري الذي كان يصل به الأمر إلى هجاء العلويين، على الرغم من أنه من أنصارهم[2].

أما شعراء الزهد، فقد نأوا بأنفسهم عن الخليفة وعن الخلافة، وانشغلوا بالعبادة، ومال بعضـــهم إلى عتاب زميل لهم إن رضي إشغال منصب رفيع في الدولة، مثل ما وجـــدناه عنـــد عبـــد الله بـــن المبارك، وتمثلت خصائص الزهد عنده، كذلك، في الانشغال بمدح الأئمة كأبي حنيفة، والإعـــلاء مـــن شأن الجهاد في سبيل الله[3]. أما الزاهد الآخر، فكان أبا العتاهية الذي وظف شعره للتعبير عن همـــوم الطبقات المسحوقة، على نحو ما وجدناه في قصيدته عن غلاء الأسعار[4].

أما شعراء المجون والزندقة، فقد مالوا إلى مدح الخليفة طمعاً في التكسب، ورغبة في التســـتر على مجونهم ولهوهم.

والنتيجة الثانية، تمثلت في أن العوامل السياسية والفكرية والعرقية والاجتماعية كان لها أثر في بلورة موقف الشعراء من هذا الموضوع. ويبدو أن موضوع الخلافة ربما كان مطية للتنظير للمـــذاهب المختلفة، أو متنفساً يعبر من خلاله الشاعر عن هموم طبقته أو طبقة معينة من الناس. وقد أدى رقـــي الحياة العقلية، وانتشار العلوم المختلفة، إلى الميل بالشعر خطوة إلى الأمـــام نحـــو الإقنـــاع والجـــدال والمناظرة، على نحو لم يكن مألوفاً في العصور السابقة؛ فقد مال بعض الشعراء إلى اســـتخدام ألفـــاظ المتكلمين وتعبيراتهم على نحو ما وجدناه عند أبي نواس، مثلاً[5].

---

[1] دعبل: **ديوانه**. ص 59.

[2] الرسالة. ص 50، 51

[3] المصدر السابق . ص 58، 59.

[4] المصدر السابق . ص 63، 64.

[5] **الرسالة**. ص 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما النتيجة الثالثة، فهي أن موضوع الخلافة لم يتم تناوله على نحو عادل، وجل ما في الأمـر، أن الشعراء على اختلاف طبقاتهم، تناولوا الموضوع على أساس أنه وراثة، والمطلوب تحديد الوريـث الشرعي؛ فشعراء الدولة العباسية رأوا في الخلفاء العباسيين الأجدر لتولي الخلافة، والأولى بها، طالما أنهم هاشميون. أما شعراء العلويين، فذهبوا، في أغلبهم، إلى ضرورة وضع الخلافة في آل علي، ولـم يكن لهم أسباب مقنعة في ذلك. والغريب أن أية فئة من الفئات الفكرية، لم تنظر إلى الموضـوع مـن ناحية شرعية، حتى شعراء الزهد أنفسهم. ومن الممكن أن تكون فكرة الخوارج عن الخلافة هي الأكثر قبولاً لدى الناس؛ لأنها تجعلها حقاً عاماً للمسلمين، ولكن الخوارج انشـغلوا بقتـال الدولـة وتكفيـر خصومهم، فتلقوا ضربات شديدة منذ العصر الأموي، وما إن حل العصر العباسي، حتى لم يكن لهؤلاء وزن يذكر في الحياة السياسية، وجل نشاطهم عدة ثورات متفرقة لم يلبث أن قضى عليها العباسيون[1].

أما فيما يتعلق بالخصائص الفنية، فإن هذه الأشعار مثلت أبرز الخصـائص الفنيـة للعصـر العباسي لسببين: الأول، اشتراك أعلام الشعراء العباسيين في تناول الموضوع، والثـاني، أن هـؤلاء الشعراء وظفوا ثقلهم الأدبي، وأخرجوا كل ما بجعبتهم من أفكار، وعواطف. ومن أبـرز الخصـائص الفنية لهذا الشعر، جانب التصوير؛ إذ فزع الشعراء إلى التصوير لتوضيح الفكـرة، تـارة وللإقنـاع أخرى. وتميزت الصور عندهم بأنها كانت مثالية أحياناً، حيث عرض الشـعراء الصـور المتكاملـة للخليفة، وبالغوا في التصوير. وقد وجدنا ازدواجية في الصور في بعض الأحيان؛ حيث تردد الشـاعر بين المدح والهجاء على نحو ما وجدناه عند السيد الحميري، من شعراء الشيعة.

وقد تنوعت أساليب التعبير؛ فوجدنا أسلوب التقرير، وأسلوب الاستنكار، كما اتخـذ بعضـهم الاحتجاج العقلي أسلوباً للإقناع. وقد تنوعت مصادر الأفكار؛ فمنها مستمد من مصادر دينية شـرعية مشتقة من الكتاب والسنة، وبعضها مشتق من المذاهب الكلامية، أو من التيارات الفكرية.

وبعد هذا العرض، نسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

---

[1] **الرسالة**. ص 130.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1	وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي	142	الأعراف	4
2	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ	75	الأنفال	22
3	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ	7	محمد	32
4	كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٖ	/50 51	المدثر	36
5	هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ	63	الأنفال	64
6	وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ	30	البقرة	74
7	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ	26	ص	74
8	وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡطَةٗۖ	69	الأعراف	75
9	وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ	165	الأنعام	75

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10	ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	14	يونس	75
11	وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ	247	البقرة	76
12	وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ	83	النساء	76
13	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ	59	النساء	76
14	وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ	88	الحجر	76
15	وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	215	الشعراء	76
16	إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا	124	البقرة	82
17	كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ	38	المدثر	84
18	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ	13	الحجرات	90
19	ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ	64	غافر	132
20	وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ	11	الأعراف	132
21	هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ	24	الحشر	132
22	هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ	6	آل عمران	145
23	فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ	8	الانفطار	145

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المختصر**. تحقيق مصطفى ديب البغا. 6 أجزاء. ط3. دار ابن كثير. بيروت. 1987م.

2) الترمذي، محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. 5 أجزاء. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

3) ابن جماعة: **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**. طبعة أوروبا.

4) الجزيري، عبد الرحمن: **الفقه على المذاهب الأربعة**. 5 مج.

5) أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. 6 مج. مؤسسة قرطبة. القاهرة.

6) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن محمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين. 4 أجزاء. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. 1995.

7) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ت عبد القادر أحمد عطا. 9 أجزاء. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

8) السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**. ط1. دار الحديث.القاهرة.

9) الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. 5 أجزاء.

10) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد: **جامع البيان عن تأويل آي** القرآن

11) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. 4أجزاء. دار الفكر. بيروت. 1401هـ.

12) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج: **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. 5 أجزاء. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المصادر الأدبية والتاريخية

1) الأصفهاني، أبو الفرج: **كتاب الأغاني**. ت سمير جابر. ط2. دار الفكر. بيروت.

2) أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**. 3 مج. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1997م.

3) أنيس، إبراهيم: **موسيقا الشعر العربي**. ص210. بيروت: دار القلم. 1965م.

4) البحتري: ديوانه. جزآن. مطبعة الجوائب.

5) ابن برد، بشار: **ديوانه**. شرح محمد الطاهر تعليق محمد شوقي أمين. 4 أجزاء. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1957.

6) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي: **الملل والنحل**. قدم لـه وحققه ألبير نصري نادر. دار المشرق. بيروت.

7) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوانه**. بشرح الخطيب التبريزي. ت محمد عبده عزام. 4أجزاء. ط5. دار المعارف. القاهرة.

8) الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**. ط1. دار صعب. بيروت. 1968.

9) الجاحظ، عمرو بن بحر: **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام هارون. ط3. المجمع العلمي العربي الإسلامي. بيروت. 1969م.

10) ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**. ت محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية. بيروت.

11) ابن الجهم: **ديوانه**. ت خليل مردم بيك. ط2. دار الآفاق. بيروت. 1959.

12) ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة**. ت حامد أحمد الطاهر. ط1. دار الفجر للتراث. القاهرة. 2004م.

13) الخزاعي: دعبل بن علي: **ديوانه**. ج-عبد الصاحب عمران الدجيلي. ط2. دار الكتاب اللبناني .بيروت. 1972 م.

14) أبو دلامة: **ديوانه**. تحقيق إميل بديع يعقوب. ط1. دار الجيل. بيروت: 1994م.

15) ابن الرومي: **ديوانه**. شرح أحمد حسن بسج. 3 أجزاء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

16) السيد الحميري: **ديوانه**. ت شاكر هادي شكر. دار الحياة. بيروت.

17) السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تاريخ الخلفاء**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. بيروت. 1989م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

18) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**. 5 أجـزاء. ط 1. بيـروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ.

19) أبو العتاهية: **ديوانه**. جمعه أحد الأدباء اليسوعيين. مطبعة الآبـاء اليسـوعيين. بيـروت. 1886م.

20) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: **البداية والنهاية**. مكتبة المعـارف. بيروت.

21) المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران: **معجم الشعراء** ، ومعه **المؤتلف والمختلـف في أسماء الشعراء وكناهم وأنسابهم وبعض شعرهم**.لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمـدي . تصحيح وتعليق الدكتور ك ف- ترانسكو .ط1. مكتبة القدس . موقع الـوراق.-دار الكتـب العلمية.بيروت .لبنان .ط2. 1982م.

22) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب**. تحقيق محمد محـي الـدين عبد الحميد. ط2. مطيعة السعادة .مصر .1958م.

23) ابن المعتز: **طبقات الشعراء**. تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج.دار المعارف .مصر

24) ابن منظور: **أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه**. ت عمر أبـو النصـر. 1969م

25) ابن منظور: **لسان العرب**. دار صادر. بيروت.

26) النمري، منصور : جمعه وحققه الطيب العشاش . مطبوعات مجمع اللغـة العربيـة .دار المعارف للطباعة ، دمشق . 1981م.

27) أبو نواس: **ديوانه**. ط1. المطبعة العمومية. القاهرة.

28) مروان بن أبي حفصة: ديوانه. تحسين عطوان. ط1. القاهرة: دار المعارف.

29) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك : الوافي بالوفيات. اعتناء هلموت -بتير . دار النشر فرانز شتايز .شتوتفارت.ط2. 1963م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المراجع

1) أمين، أحمد: **ضحى الإسلام**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1997م. 3 مج.

2) أنيس، إبراهيم: **موسيقا الشعر العربي**. بيروت: دار القلم. 1965م.

3) البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الأعصر العباسية**. دار الجيل. بيروت. 1988.

4) الجارم، علي ومصطفى أمين: **البلاغة الواضحة**. ط21. دار المعارف .مصر .1969م.

5) جامعة القدس المفتوحة. علم البلاغة.

6) جامعة القدس المفتوحة: **مصادر الدراسة الأدبية واللغوية**. 2007م.

7) جامعة القدس المفتوحة: **مناهج النقد الأدبي عند العرب**. ط1.. عمان 1997م.

8) جامعة القدس المفتوحة: **نصوص شعرية (2)**. 2006.

9) حسين، طه: **حديث الأربعاء**. دار الكتب المصرية. القاهرة. 1937.

10) الحفني، عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية**. ط 2. مكتبة مدبولي. 1999.

11) حمدان، ابتسام أحمد: **الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي**. مراجعة أحمد عبد الله فرهود. ط1. دارالقلم العربي. حلب. 1997.

12) الخضري، محمد بك: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية**. ط1. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. 1995م.

13) خفاجي، محمد عبد المنعم ومحمد سعدي فرهود، وعبد العزيز شرف: **الأسلوبية والبيان العربي**. ط1 . الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. 1992.

14) خفاجي، محمد عبد المنعم: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**. ط1. دار الجيل. بيروت. 1992م.

15) خليف، يوسف: **تاريخ الشعر في العصر العباسي**. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة. 1980.

16) درويش، العربي حسن: **الشعراء المحدثون في العصر العباسي**. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. 1979.

17) الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**. ج3. ط1. دار الاستقامة. 1940.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

18) الزيات، أحمد حسين: **تاريخ الأدب العربي**. ط14. مكتبة الأنجلو مصرية. 1955.

19) الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. ط 8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

20) صبح، علي علي: **البناء الفني في الصورة الأدبية**. المكتبة الأزهرية للتراث. 1996.

21) صبح، علي علي: **الصورة الأدبية تأريخ ونقد**. ط1. القاهرة: دار قباء للطباعة. 2000م.

22) ضيف شوقي: **العصر العباسي الأول**. ط2.. القاهرة: دار المعارف.

23) ضيف،شوقي : **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. ط11. دار المعارف.القاهرة.

24) ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**. ط2. دار المعارف. القاهرة.

25) العقاد، عباس محمود: **الحسن بن هانئ دراسة نفسية وتحليل**. مطبعة الرسالة. القاهرة.

26) عتيق، عبد العزيز: **علم العروض والقافية**. دار النهضة العربية. بيروت. 1987.

27) علي، أحمد يوسف: **مفهوم الشعر عند العباسيين**. رسالة دكتوراة مخطوطة،.كلية الآداب . جامعة الزقازيق. 1984م.

28) فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية**. ط6. 3أجزاء. دار العلم للملايين. بيروت. 1997.

29) القاسمي، ظافر: **نظام الحكم في التشريع والتاريخ الإسلامي** (الحياة الدستورية). ط 2. دار النفائس. بيروت. 1977م.

30) قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**. ط10. دار المعارف. القاهرة.

31) متولي، عبد الستار السيد: **أدب الزهد في العصر العباسي**، نشأته وأشهر رجاله. الهيئة العامة للكتاب. 1984م.

32) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. من منشورات الندوة العالمية للشباب

33) موسى، محمد يوسف: **نظام الحكم في الإسلام**. ط2. دار المعرفة.القاهرة .مصر .1964م.

34) النوري، محمد جواد وعلي خليل حمد: **فصول في علم الأصوات**. ط1. مطبعة النصر. نابلس. 1991.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

An-jah National University

Faculty of Higher Studies

Caliph in Abbasid's Poetry in the Second and Third Centuries Hijrah

Prepared by

Sahera Abdel Havis Muhammad Hamdan

Supervised by

Dr. Abdel Khaleg Eisa

This Thesis has been submitted as acompletion of the requirements that lead to a Master degree in Arabic Language and Literature from the Faculty of Higher Studies at An- Najah National University, Nablus - Palestine.

2010

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Caliphate in Abbasid's poetry in the Second and

Third Centuries Hijrah

Prepared by

Sahera Abdel Haviz Muhammad Hamdan

Supervised by

Dr.Abdel Khaleq Eisa

Abstract

This study examined the Abbasid caliphate, in the Abbasid poetry In the second and the third centuries (Hijrah). To this end, the researcher the Abbasid state. The researcher, after analysis, noticed that these poets had exaggerated their praise of the caliph and bestowed him with a halo of holiness, However, the Shiite poets, portrayal of the caliph was influenced by their attitude towards the Abbasid caliphate. And due to the diversity of the Shitte sects, their positions. Also varied. Some of them supported others opposed it and still others remained neutral. As for the poets of asceticism, these had withdrawn themselves for the pleasures of worldly things and devoted their life, to the Other Day The image of the caliphate in their poetry was influenced by their attitude toward this world and their asceticism in it. The poets of buffoonery and atheism expressed their support for the sake of gaining and covering of their crossing of the red lines.

The study also dwelt on the factors which had influenced the image of the caliph. It specifically examined the religious and ideological factors and their impact on the concept of this image. This image crossed between the Sunnis and

www.manaraa.com

the Shiites and even among the Shiites themselves. Other parties, however, had other attitudes.

In addition to the religious and ideological factors, the study tackled the political factors, and the subsequent political parties and trends, to illustrate the image. The study also examined the impact of the social and ethnic factors and the sequent ethnic mixture and diversity of classes and the effect of all that on the caliphate. It was found, thorough these factors combined, that the image had developed according to the effect of these factors in the psyches of these poets. The study ended with the study of the concept of artistic image, the style, the language and the ideas as exemplified in the poetry of these poets. In the light of these findings, the researcher provided several important conclusions.

www.manaraa.com